

أَحْيَاءُ الْمَمْلُومِ الدِّينِيِّ

للإمام أبي حامد الغزالي

مضاف إليه :

تخريج الحافظ العراقي

الجزء التاسع

الطبعة الثانية

١٩٨٧

الناشر



دار الفكر العربي

للصحافة والنشر والاعلان

لليقون : ٨٢٤٣٢٩

أَحْيَاءُ الْمَمْلُومِ الدِّينِيِّ

للإمام أبي حامد الغزالي

مضاف إليه :

تخريج الحافظ العراقي

الجزء التاسع

الطبعة الثانية

١٩٨٧

الناشر



دار الفكر العربي

٣ شارع دانتس - بالعباسية
القاهرة

ALEXANDRIA

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الآفة الثالثة

الخوض في الباطل

وهو الكلام في المداخى ، كحكاية أحوال النساء ، ومجالس الخمر ، ومقامات الفساق وتنعم الأغنياء ، وتجبر الملوك ، ومراسمهم المذمومة ، وأحوالهم المكروهة . فإن كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه ، وهو حرام . وأما الكلام فيما لا يعنى ، أو أكثر مما يعنى ، فهو ترك الأولى ، ولا تحريم فيه . نعم من يكثر الكلام فيما لا يعنى ، لا يؤمن عليه الخوض في الباطل ، وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ، ولا يمدو كلامهم التفكه بأعراض الناس ، أو الخوض في الباطل .

وأشياء الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفنتها . فذلك لا يخلص منها إلا بالاعتصار على ما يعنى من مهمات الدين والدنيا . وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها ، وهو يستحقرها . فقد قال بلال بن الحارث ، ^(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ ، أَيْظُنُّ أَنْ تُبْلَغَ بِهِ مَا بَدَأَتْ فِيكَتُبُ اللَّهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ، أَيْظُنُّ أَنْ تُبْلَغَ بِهِ مَا بَدَأَتْ فِيكَتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » وكان علقمة يقول : كم من كلام ممنهية حديث بلال بن الحارث . وقال النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ يَهْوَى بِهَا أُنْعَدَ مِنَ النَّارِ » وقال أبو هريرة : إن الرجل ليتكلم بالكلمة ، ما بقي لها بالا ، يهوى بها في جهنم ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ، ما بقي لها بالا يرفعه الله بها في أعلى الجنة .

﴿ الآفة الثالثة - الخوض في الباطل ﴾

- (١) حديث بلال بن الحارث أن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله - الحديث : هـ ت وقال حسن صحيح
(٢) حديث أن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أن يعد من النار : ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن ولاشيخين وت أن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوى بها سبعين خريفا في النار لفظت وقال حسن غريب

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « أَكْظَمُ النَّاسِ خَطَايَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا فِي الْبَاطِلِ » وإليه الإشارة بقوله تعالى (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَافِضِينَ ^(٢)) وبقوله تعالى (فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ ^(٣)) وقال سلمان: أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة . أكثرهم كلاماً في معصية الله : وقال ابن سيرين : كان رجل من الأنصار يمر بعجلس لهم فيقول لهم ، توضؤوا ، فإن بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل ، وهو وراء ماسياتي من الذيبة والهمية والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها ، أو تدبر للاتوصل إليها ، من غير حاجة دينية إلى ذكرها . ويدخل فيه أيضاً الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة ، وحكاية ماجرى من قتال الصحابة على وجه يوم الطعن في بعضهم ، وكل ذلك باطل ، والخوض فيه خوض في الباطل ؛ نسأل الله حسن العون بلطفه وكرمه .

الآفة الرابعة

المراء والجسدال .

وذلك منهي عنه . قال على الله عليه وسلم ^(١) « لَا تُمَارَ أَخَاكَ وَلَا تُمَارِضَهُ وَلَا تَمْدُهُ مَوْعِدًا فَتُخْلَفَهُ » وقال عليه السلام ^(٢) « ذَرُّوا أَلْمَاءَ فَإِنَّهُ لَا تَهْتَمُّ حِكْمَتُهُ وَلَا تُؤْمِنُ فِتْنَتُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « مَنْ تَرَكَ أَلْمَاءً وَهُوَ مُحِقٌّ يُبْنَى لَهُ بَيْتٌ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ تَرَكَ أَلْمَاءً وَهُوَ مُبْطِلٌ يُبْنَى لَهُ بَيْتٌ فِي رِجْلِ الْجَنَّةِ » وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت

(١) حديث أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل : ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلًا ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني موقوفاً على ابن مسعود بسند صحيح (الآفة الرابعة المراء والمجادلة)

(٢) حديث لا تمار أخاك ولا تمارضه ولا تدمه موعداً فتخلفه : من حديث ابن عباس وقد تقدم (٣) حديث ذروا الراء فإنه لا تهتم حكمتهم ولا تؤمن فتنته : طب من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس ابن مالك ووالله بن الأستق بسناد ضعيف دون قوله لا تهتم حكمتهم ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوفاً على ابن مسعود

(٤) حديث من ترك المراء وهو محق يبني له بيت في أعلى الجنة - الحديث : تهدم في العلم

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ أَوَّلَ مَا عَهِدَ إِلَى رَبِّي وَنَهَانِي عَنْهُ بَعْدَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ مَلَا حَاجَةُ الرَّجَالِ » وقال أيضا (٢) « مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ أَنْ هَدَاهُمُ اللَّهُ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ » وقال أيضا (٣) « لَا يَسْتَكْمِلُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَدَعَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا » وقال أيضا (٤) « سِتٌّ مِنْ كُرَى فِيهِ بَلَغَ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ الصِّيَامُ فِي الْعَتِيفِ وَضَرْبُ أَعْدَاءِ اللَّهِ بِالسَّيْفِ وَتَعْجِيلُ الصَّلَاةِ فِي الْيَوْمِ الدَّجَنِ وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَصِيبَاتِ وَاسْتِغَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَسْكَارَةِ وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَهُوَ صَادِقٌ »

وقال الزبير لابنه : لا تجادل الناس بالقرءان ، فإنك لا تستطيعهم ، ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن العزيز رحمه الله عليه : من جعل دينه عرضة للخصومات ، أكثر التثقل . وقال مسلم بن يسار : إياكم والمراء ، فإنه ساعة جهل العالم ، وعندها يبتغى الشيطان زلته . وقيل ما ضل قوم بعد إذ هداهم الله إلا بالجدال . وقال مالك بن أنس رحمه الله عليه ليس هذا الجدال من الدين في شيء . وقال أيضا المراء يقسى القلوب ، ويورث الضغائن . وقال لقمان لابنه يابني لا تجادل العلماء فيمقتوك . وقال بلال بن سعد ، إذا رأيت الرجل لجوجا ، مماريا معجبا برأيه ، فقد تمت خسارته . وقال سفيان . لو خالفت أخى في رمانة ، فقال حلوة ، وقالت حامضة ، لسعى بى إلى السلطان . وقال أيضا : صاف من شئت ، ثم أغضبه بالمراء ، فليرمينك بداهية تمنعك العيش . وقال ابن أبي ليلى ، لا أمارى صاحبي ، فإما أن أكذبه ، وإما أن أغضبه . وقال أبو الدرداء ، كفى بك إثما أن لا تزال مماريا

(١) حديث أم سلفة أن أول ما عهد إلى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال

ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني والبيهقي بسند ضعيف وقد رواه ابن أبي الدنيا في الراسل

من حديث عروة بن روم

(٢) حديث ما ضل قوم إلا أوتوا الجدال : بت من حديث أبي أمامة وصححه وزاد بعدهى كانوا عليه وتقدم

في العلم وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كذا ذكره السنن

(٣) حديث لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يذر المراء وإن كان عفا : ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة

بسند ضعيف وهو عند أحمد بلفظ لا يؤمن المبدى حتى يترك الكذب في الزاحة للرأى وإن كان صادقا

(٤) حديث ست من كُرَى فيه بلغ حقيقة الإيمان - الحديث : وفيه ترك المراء وهو صادق أبو منصور الديلمي

من حديث أبي مالك الأشعري بسند ضعيف بلفظ ست خصال من الخير - الحديث :

* ملاحاة الرجال : مفاولتهم ومخاسمتهم يقال : لاحيته ملاحاة ولحا . إذا نازعته

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) «تَكْفِيرُ كُلِّ لُحَاةٍ رَكْمَتَانِ» وقال عمر رضي الله عنه ،
لا تتعلم العلم ثلاث ، ولا تركه ثلاث . لا تتعلمه لتزاري به ، ولا لتباهي به ، ولا لتزاني به
ولا لتركه حياء من طلبه ، ولا زهادة فيه ؛ ولا رضا بالجهل منه . وقال عيسى عليه السلام ، من كثر
كذبه ، ذهب جماله . ومن لاحى الرجال ، سقطت مروءته . ومن كثر همه ، سقم
جسمه . ومن ساء خلقه ، عذب نفسه

وقيل لميمون بن مهران ، مالك لا تترك أخاك عن قلبي ؟ قال لأنني لا أشاركه ولا أماريه
وما ورد في ذم المراء والجدال أكثر من أن يحصى

وحده المراء هو كل اعتراض على كلام الغير ، بإظهار خلل فيه ، إما في اللفظ ، وإما في
المعنى ، وإما في قصد المتكلم . وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض . فكل كلام سمعته
فإن كان حقاً فصدق به ، وإن كان باطلاً أو كذباً ولم يكن متعلقاً بأمور الدين ، فاسكت عنه
والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه ، بإظهار خلل فيه من جهة النحو ، أو من
جهة اللغة ، أو من جهة العريية ، أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير . وذلك
يكون تارة من قصور المعرفة ، وتارة يكون بطنين اللسان . وكيفما كان فلا وجه لإظهار خلله
• وأما في المعنى ، فبأن يقول ليس كما تقول ، وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا

وأما في قصده ، فبأن يقول هذا الكلام حق ، ولكن ليس قصدك منه الحق ، وإنما
أنت فيه صاحب غرض . وما يجرى مجراه . وهذا الجنس إن جرى في مسألة علمية ، ربما
خص باسم الجدال ، وهو أيضاً مذموم . بل الواجب السكوت ، أو السؤال في معرض
الاستفادة ، لا على وجه العناد والنكارة أو التلطف في التعريف لاني معرض الطعن
وأما المجادلة ، فعبرة عن قصد إغرام الغير ، وتعجيزه وتنقصيه بالقدح في كلامه ، ونسبته
إلى القصور والجهل فيه ، وآية ذلك . أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروهاً عند
المجادل ؛ يجب أن يكون هو المظهر له خطأه ؛ ليبين به فضل نفسه ؛ وتقص صاحبه . ولا نجاة
من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يائس به لو سكوت عنه .

وأما الباعث على هذا فهو الترفع بإظهار العلم والفضل ، والتهجم على الغير بإظهار نقصه ^{الباعث على}
وهما شہوتان باطلتان للنفس ، قويتان لها ^{المراء والجدل}

أما إظهار الفضل ، فهو من قبيل تركية النفس ، وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان
دعوى العار والكبرياء ؛ وهي من صفات الربوبية

وأما تنقيص الآخر ، فهو من مقتضى طبع السبعية ، فإنه يقتضى أن يزق
غيره ، ويقصمه ويصدمه ويؤذيه

وهاتان صفتان مذمومتان . هلكتان . وإنما توثبهما المراء والجدال . فالماواظب على المراء
والجدال مقول هذه الصفات المهلكة . وهذا مجاوز حد السكراة ؛ بل هو معصية . بها حصل
فيه إيذاء الغير ، ولا تنفك المارة عن الإيذاء وتسيج الغضب ، وحمل المعارض عليه على أن
يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ، ويقدح في قائله بكل ما يتصور له ، فيثور الشجار
بين المتأمرين ، كما يثور المهراش بين الكلبين ، يقصد كل واحد منهما أن يعض صاحبه
بما هو أعلم بسكاية ، وأقوى في إغمامه وإلجامة

وأما علاجه . فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله ، والسبعية الباعثة له على ^{مردج}
تنقيص غيره ، كما سيأتى ذلك في كتاب ذم الكبر والعجب ، وكتاب ذم الغضب . فإن ^{المراء والجدل}
علاج كل علة بإمالة سببها ، وسبب المراء والجدال ما ذكرناه ، ثم المواظبة عليه تجعله عادة
وطبعا ، حتى يتمكن من النفس ، ويعسر الصبر عنه

روى أن أبا حنيفة رحمة الله عليه ، قال لداود الطائي . لم آثرت الاتزواء ؟ قال لأجاهد
نفسى بترك الجدال ؛ فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ، ولا تتكلم . قال ففعلت ذلك
فما رأيت مجاهدة أشد على منى . وهو كما قال ، لأن من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على
كشفه ، تسمر عليه الصبر عند ذلك جدا . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ
وَهُوَ مُحِقٌّ بَنَى اللَّهُ لَهُ يَتِيمًا فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ » لشدة ذلك على النفس :

وأكثر ما يغلّب ذلك في المذاهب والمقائد ، فإن المراء طبع ، فإذا ظن أن له عليه ثوابا
اشتد عليه حرصه ، وتعاون الطبع والشرع عليه ، وذلك خطأ محض . بل ينبغي للإنسان
أن يكف لسانه عن أهل القبلة . وإذا رأى مبتدعا تلطف في نصحه في خلوة ، لا بطريق

الجدال . فإن الجدال يخيّل إليه أنها حيلة منه في التابيس ؛ وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا . فنستمر البدعة في قلبه بالجدل وتناكد . فإذا عرف أن التصحح لا ينفع ، اشتغل بنفسه وتركه . وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « رَحِمَ اللَّهُ مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ عَنْ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ إِلَّا بِأَحْسَنِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ » وقال هشام بن عروة . كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات . وكل من اعتاد المجادلة مدة ؛ وأثنى الناس عليه ؛ ووجدان نفسه بسببه عزاً وقبولاً ، قويت فيه هذه المهلكات ؛ ولا يستطيع عنها نزوعاً إذا اجتمع عليه سلطان الغضب ، والكبر ، والرياء ؛ وحب الجاه ، والتمزز بالفضل . وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها ؛ فكيف بمجموعها !

الآفة الخامسة

الخصومة

وهي أيضاً مذمومة . وهي وراء الجدال والمراء . فالمرء طعن في كلام الغير ، بإظهار خلل فيه ، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير ، وإظهار مزية الكياسة . والجدال عبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها . والخصومة لجأج في الكلام ، يستوفي به مال أو حق مقصود . وذلك تارة يكون ابتداء ، وتارة يكون اعتراضاً . والمرء لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق . فقد قالت عائشة رضی الله عنها ، ^(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « إِنْ أَبْغَضَ الرَّجُلُ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدَ الْخَصْمُ » ، وقال أبو هريرة ، ^(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ جَادَلَ فِي خُصُومَةٍ يَغْيِرُ عَلَيْهِ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ »

(١) حديث رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة الأبا حسن ما يقدر عليه ؛ ابن أبي الدنيا باسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلفظ رحم الله امرأاً كف لسانه عن أعراض المسلمين وهو منقطع وضعيف جداً

(الآفة الخامسة الخصومة)

(٢) حديث عائشة ان أبغض الرجال الى الله الألد الخصم : بخ وقد هدم

(٣) حديث أبي هريرة من جادل في خصومة بغير علم لمزل في سخط الله حتى ينزع ؛ ابن أبي الدنيا والأصمهاني في الترغيب والترهيب وفيه رجاء أبو يحيى ضعفه الجمهور

وقال بعضهم ، إياك والخصومة ، فإنها تحقق الدين . ويقال ، ما خصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة ، سرّ بي بشر بن عبد الله بن أبي بكرة ، فقال ما يجلسك ههنا ؟ قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي . فقال إن لأبيك عندي يدا ، وأنى أريد أن أجزيك بها . وإني والله ما رأيت شيئا أذهب للدين ، ولا أقصص للروءة ، ولا أضيع للذة ، ولا أشغل للقلب من الخصومة . قال فقامت لأنصرف . فقال لي خصمي ، مالك ؟ قلت لأخاصمك . قال إنك عرفت أن الحق لي . قلت لا ، ولكن أكرم نفسي عن هذا . قال فإني لأطلب منك شيئا هو لك فإن قلت : فإذا كان للإنسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه ، أو في حفظه ، مهما ظلمه ظالم ، فكيف يكون حكمه ؟ وكيف تنم خصومته

الخصومة

المذمومة

فاعلم أن هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل ، والذي يخاصم بغير علم ، مثل وكيل القاضي ، فإنه قبل أن يتعرف أن الحق في أي جانب ، هو يتوكل في الخصومة من أي جانب كان ، فيخاصم بغير علم . ويتناول الذي يطلب حقه ، ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة ، بل يظهر اللد في الخصومة ، على قصد التسلط ، أو على قصد الإيذاء . ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ، ليس يحتاج إليها في نصرته الحاجة ، وإظهار الحق . ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد ، لقهر الخصم وكسره ، مع أنه قد يستحق ذلك القدر من المال . وفي الناس من يصرح به ويقول ، إنما قصدى عناده وكسر عرضه ، وإني إن أخذت منه هذا المال ربما رميت به في بئر ولا أبالي . وهذا مقصوده اللد والخصومة واللجاج ، وهو مذموم جدا .

فأما المظلوم الذي ينصر حجه بطريق الشرع ، من غير لد وإسراف وزيادة لجاج ، على قدر الحاجة ، ومن غير قصد عناد وإيذاء ، ففعله ليس بمحرام ، ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا . فإن ضبط الإنسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر ، والخصومة توغر الصغر وتهيج الغضب . وإذا هاج الغضب نسي التنازع فيه ، وبقى الحقد بين المتخاصمين ، حتى يفرح كل واحد بمساة صاحبه ، ويحزن بمسرة ، ويطلق اللسان في عرضه . فمن يبدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المذورات . وأقل ما فيه تشويش خاطره ، حتى أنه في صلاته يشتمل بمحاجة خصمه ، فلا يبقى الأمر على حد الواجب .

الخصومة
التي

فالخصومة مبدأ كل شر، وكذا المراء والجدال. فينبغي أن لا يفتح بابه إلا لضرورة، وعند الضرورة يبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة، وذلك متعذر جداً. فن اقتصر على الواجب في خصومته سلم من الإثم، ولا تدم خصومته، إلا أنه إن كان مستغنياً عن الخصومة فيما خاص فيه، لأن عنده ما يكفيه، فيكون تاركاً للأولى، ولا يكون آثماً. نعم أقل ما يغوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام، وما ورد فيه من الثواب إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار الموافقة، ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض، الذي حاصله إما تهويل، وإما تكذيب. فإن من جادل غيره أو مراه أو خاصمه، فقد جهله أو كذبه، فيفوت به طيب الكلام.

وقال صلى الله عليه وسلم: «يَمَكِّنُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ طَيْبُ الْكَلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ» وقد قال الله تعالى (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا^(١)) وقال ابن عباس رضي الله عنهما، من سلم عليك من خالق الله، فاررد عليه السلام وإن كان مجوسياً، إن الله تعالى يقول (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَجَوبُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا^(٢)) وقال ابن عباس أيضاً لو قال لي فرعون خير ارددت عليه. وقال أنس^(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَنَرَفًا يَرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ وَأَلَانَ الْكَلَامَ»

وروى أن عيسى عليه السلام مر به خنزير، فقال مر بسلام. فقيل يا روح الله أتقول هذا لخنزير؟ فقال أكره أن أعود لسانى الشر. وقال نبينا عليه السلام^(٤) «السَّكِينَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» وقال^(٥) «اتَّقُوا النَّارَ لَوْ يَشَقُّ مِزْرَةٌ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِي كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَقَالَ عمر رضي الله عنه، البر شيء هين، وجه طليق وكلام لين. وقال بعض الحكماء، الكلام اللين ينسل الضغائن المستكنة في الجوارح. وقال بعض الحكماء: كل كلام لا يخطر برك.

(١) حديث يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام: الطبراني من حديث جابر وفيه من لا أعرفه وله

من حديث هني أبي شريح يساند جيد وجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام

(٢) حديث أنس أن في الجنة لرفاً يرى ظاهرها من باطنها - الحديث: ت وقد تهمس

(٣) حديث السكينة الطيبة صدقة ثم من حديث أبي هريرة

(٤) حديث اتقوا النار ولو يشق مِزْرَةٌ - الحديث: متفق عليه من حديث عدى إبراهيم وقد تهمس

(٥) البقرة: ٨٣: النساء: ٨٦

إلا أنك ترضى به جليلة ، فلا تكن به عليه بخيلا ، فإنه لعله يموصك منه ثواب المحسنين وهذا كله في فضل السلام الطيب ، وتفاذه الموصومة ، والمراء ، والجدال ، واللاجاج فإنه الكلام المستكره الموحش ، المؤذي للقلب ، المنصن للميش ، المبهيج للنفس ، المورغر للصدر ، نأل الله حسن التوفيق عنه وكرمه

الآفة السادسة

التعمر في الكلام

بالتشديق . وتكلف السجع والفصاحة ، والتمنع فيه بالنشيبات والمقدمات ، وما جرت به عادة المتفاحمين ، المدعين للخطابة . وكل ذلك من التصنع المذموم ، ومن التكلف المذموم ، الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف » وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « إن أنفصكم إلى وأبعدكم مني مجلسا الثراءون المتفيعون المتشدقون في الكلام » وقالت فاطمة رضي الله عنها ^(٢) « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شرار أمتي الذين غدوا بالبعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « ألا هلك المتكلمون » ثلاث مرات . والتعطر هو التعمق والاستقصاء .

وقال عمر رضي الله عنه ، إن شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان . وجاء عمرو بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة . فتكلم بين يدي حاجته بكلام . فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ^(٤) « يأتي على الناس زمان يخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلا بالسنتها »

(الآفة السادسة التعمر في الكلام والتشديق)

(١) حديث أن أنفصكم إلى الله وأبعدكم مني مجلسا الثراءون المتفيعون المتشدقون أحمد من حديث أبي ثعلبة

وهو عذبت من حديث جابر وحسنه بلفظ أن أنفصكم إلى

(٢) حديث فاطمة شرار أمتي الذين غدوا بالبعيم - الحديث : وفيه يتفيعون ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب

(٣) حديث ألا هلك المتكلمون م من حديث ابن مسعود

(٤) حديث سعد يأتي على الناس زمان يخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلا بسنتها رواه أحمد

وكانه أنكر عليه ما قدمه على الكلام ، من التشبب ، والمتقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا أيضا من آفات اللسان ، ويدخل فيه كل سجع متكلف ، وكذلك التفاصيل الخارج عن حد العادة ، وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات ، إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة في الجنين ، فقال بمض قوم الجاني ، ^(١) كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ، ومثل ذلك بطل ! فقال : **أَسَجَّعًا كَسَجِّعِ الْأَعْرَابِ** ، وأنكر ذلك ، لأن أثر التكلف والتصنع يتبين عليه . بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفيهم للعرض ، وما وراء ذلك تصنع مذموم

ولا يدخل في هذه محسين ألفاظ الخطابة ، والتذكير من غير إفراط وإغراب ، فإن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها ، وقبضها وبسطها ، فلرشفة اللفظ تأثير فيه ، فهو بـ . فأما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات ، فلا يليق بها السجع والتشدد ، والاشتغال به من التكلف المذموم ، ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة ، والتميز بالبراعة ، وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ، ويزجر عنه

الآفة السابعة

الفحش والسب وبذاءة اللسان

وهو مذموم ومنهى عنه ، ومصدره الخبث والاذم . قال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « **لِيَأْكُمُ وَالْفُحْشَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا الْفَحْشَ** » ^(٣) ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تسب قتلى بدر من المشركين ، فقال « **لَا تَسُبُّوا هَؤُلَاءِ فَإِنَّهُ لَا يَخْلُصُ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ** »

(١) حديث كيف ندى من لا شرب ولا أكل . الحديث : من حديث الشيرة بن شعبة وأبي هريرة وأصله ما عندنا أيضا (الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان)

(٢) حديث اياكم والفحش - الحديث : ن في الكبرى في التفسير والحاكم وصححه من حديث عبد الله ابن عمر ورواه ابن جبان من حديث أبي هريرة

(٣) حديث النهي عن سب قتلى بدر من المشركين - الحديث : ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسلًا ورجاله ثقات والانسائي من حديث ابن عباس باستناد صحيح ان رجلا وقع في أب للباس كان في الجاهلية فاعطاه - الحديث : وفيه لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحيانا

بِمَا تَقُولُونَ وَتُؤْذُونَ الْأَحْيَاءَ إِلَّا إِنْ الْبَذَاءُ لَكُمْ ۖ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) «لَيْسَ الْكُفْرُ مِنْ بِالْعَمَانِ وَلَا اللَّعَانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ» وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) «الْجَنَّةُ حَرَامٌ عَلَى كُلِّ فَاحِشٍ أَنْ يَدْخُلَهَا» وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) «أَرْبَعَةٌ يُؤْذُونَ أَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الْأَذَى يَسْعَوْنَ بَيْنَ الْجَحِيمِ وَالْجَحِيمِ يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَالْثُبُورِ رَجُلٌ يَسِيلُ فُؤُهُ قَيْحًا وَدَمًا فَيَقَالُ لَهُ مَا أَلَّ الْأَبَدُ تَدَاذَانَا عَلَى مَا بَنَاهُ مِنَ الْأَذَى فَيَقُولُ إِنْ الْأَبَدُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى كُلِّ كَلِمَةٍ قَذِيعةً خَبِيثةً فَيَسْتَلْذِهَا كَمَا يَسْتَلْذِ الرَّفَثَ» وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة ^(٤) «يَا عَائِشَةُ لَوْ كَانَ الْفَحْشُ رَجُلًا لَكَانَ رَجُلٌ سَوْءٌ»

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) «الْبَذَاءُ وَالْيَبَاسُ شُعْبَتَانِ مِنْ شُعْبِ التَّفَاقُحِ» فيحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه، ويحتمل أيضا المبالغة في الإيضاح، حتى يذهب إلى حد التكلف، ويحتمل أيضا البيان في أمور الدين، وفي صفات الله تعالى، فإن لقاء ذلك بجملا إلى أسماع العوام أولى من المبالغة في بيانه، إذ قد يشور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس فإذا أجملت بادرته القلوب إلى القبول ولم تضطرب. ولكن ذكره مقرونا بالبذاء، يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحي الإنسان من بيانه، فإن الأولى في مثله الإغماض والتغافل، دون الكشف والبيان

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٦) «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ التَّفَحُّشَ الصَّيَّاحَ فِي الْأَسْوَاقِ»

- (١) حديث ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء: بإسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم ومجتبى موقوف قال النار قطعي في الملك والموقوف أصح
- (٢) حديث الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها: ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن عمرو
- (٣) حديث أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى - الحديث: وفيه أن الأبد كان ينظر إلى كل كلمة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث ابن أبي الدنيا من حديث شق بن مائع واختلف في محبة فذكره أبو نعيم في الصحابة وذكره خ ح في السابقين
- (٤) حديث يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجلا سوء: ابن أبي الدنيا من رواية ابن أبي عمير عن أبي النضر عن أبي سلمة عنها

- (٥) حديث البذاء والبيان شعبتان من التفافح: وحسنه وك وصححه على شرطهما من حديث أبي امامة وقد تقدم
- (٦) حديث إن الله لا يحب الفاحش ولا التفحش الصيَّاح في الأسواق: ابن أبي الدنيا من حديث جابر بن عبد الله بن مسعود وله والطبراني من حديث أسامة بن زيد إن الله لا يحب الفاحش التفحش واستاده جيد

وقال جابر بن سمرة ^(١)، كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم، وأبى أمامي. فقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْفُحْشَ وَالْفَاحِشَ لَيْسَا مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ إِسْلَامًا أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا»

وقال إبراهيم بن ميسرة: يقال يؤتى بالفاحش التفحش يوم القيامة في صورة كلب أوفى جوف كلب. وقال الأنحف بن قيس، ألا أخبركم بأدوا الداء: اللسان البذي، والخلق الدني. فهذه مذمة الفحش

مهر الفحش

فأما حده وحقيقته، فهو التمييز عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة. وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الواقع وما يتماق به. فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه، وأهل الصلاح يتحاشون عنها، بل يكونون عنها، ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقاربها ويتماق بها. وقال ابن عباس، إن الله حيي كريم، يفوق ويكنو. كنى بالامس عن الجماع، فالسيس، والامس، والدخول، والصحبة، كنيات عن الواقع. وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة: يستقبح ذكرها، ويستعمل أكثرها في الشتم والتمييز. وهذه العبارات متفاوتة في الفحش، وبعضها أخف من بعض، وربما اختلف ذلك بادة البلاد، وأوائلها مكروهة، وأواخرها محظورة، وبينهما درجات يتردد فيها. وليس يختص هذا بالواقع، بل بالكناية بقضاء الحاجة عن البول، والغائط أولى من لفظ التفوط والغراء وغيرهما. وإن هذا أيضا مما يخفى، وكل ما يخفى يستحيا منه، فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة، فإنه فحش

وكذلك يستحسن في المادة الكناية عن النساء، فلا يقال قالت زوجتك كذا، بل يقال قيل في الحجرة، أو من وراء الستر: أو قالت أم الأولاد، فالتلطف في هذه الألفاظ محمود، والتصریح فيها يفضى إلى الفحش

وكذلك من به عيوب يستحيا منها، فلا ينبغي أن يدبر عنها بصريح لفظها، كالبرص، والقرع، والبواسير، بل يقال المارض الذي يشكوه، وما يجري مجراه. فالتصریح بذلك داخل في الفحش. وجميع ذلك من آفات اللسان قال الملا بن هرون، كان عمر بن عبد العزيز

(١) حديث جابر بن سمرة أن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء. الحديث: أحمد وابن أبي الدنيا بإسناد صحيح

يتحفظ في منطقه ، فخرج تحت إبطه خراج ، فأتيناه نسأله لنرى ما يقول ، فقلنا من أين خرج ؟ فقال من باطن اليد

والباعث على الفحش إما قصد الإيذاء ، وإما الاعتیاد الحاصل من غالبة الفساق ، وأهل الخبث والذم ، ومن عاداتهم السب . وقال أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « أوصني فقال » عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِنْ أَمْرُؤُ عَرِكَ بِشَيْءٍ يَلْمُهُ فَبِكَ فَلَا تُعِيرُهُ بِشَيْءٍ تَلْمُهُ فِيهِ يَكُنْ وَبِأَلِّهِ عَلَيْهِ وَأَجْرُهُ لَكَ وَلَا تَسُبَّنْ شَيْئًا » قال فما سببت شيئا بعده .

وقال عياض بن حمار ^(٢) قلت يا رسول الله ، إن الرجل من قومي يسبني وهو دوني ، هل علي من بأس أن أتصر منه ؟ فقال « الْمُسَابَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَعَاوَيَانِ وَيَهَارَجَانِ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « سَبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٤) « الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا قَتَلَ الْبَادِي مِنْهُمَا حَتَّى يَبْتَدِيَ الْمَظْلُومُ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٥) « مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ وَالِدَيْهِ » وفي رواية « مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَايِرِ أَنْ يَسُبَّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ » قالوا يا رسول الله ، كيف يسب الرجل والديه ؟ قال « يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أُمَّهُ »

الصفة السابعة

اللعن

إما لحیوان أو جماد أو إنسان . وكل ذلك مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث قال أعرابي أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن أمرؤ عرك بشيء تلمه فبك فلا تعيره بشيء . تلمه فيه - الحديث : أحمد والطبرانی باسناد جيد من حديث أبي جری المجبمی قيل اسمه جابر ابن سليم وقيل سليم بن جابر

(٢) حديث عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن أتصر منه فقال المستبان شيطانان يتكاذبان ويتهارجان - د الطيالسي واسله عند أحمد

(٣) حديث سباب السلم فوق وقتاله كفر : متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٤) حديث السببان ما قالا قتل البادي حتى يتدلى المظلوم : م من حديث أبي هريرة وقال ما لم يتد (٥) حديث ملعون من سب والده وفي رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه - الحديث :

أحمد وأبو يعلى والطبرانی من حديث ابن عباس باللفظ الأول باسناد جيد واتفق الشيخان على اللفظ الثاني من حديث عبد الله بن عمرو

(١) «الْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِلَمَّانٍ» وقال صلى الله عليه وسلم (٢) «لَا تَلَاعَنُوا بِلَعْنَةِ اللَّهِ وَلَا يَنْفَضِيهِ وَلَا يَجْهَتُمْ» وقال حذيفة، ما تلاعن قوم قط إلا حق عليهم القول. وقال عمران بن حصين (٣) بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، إذا امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها، فلعلتها. فقال صلى الله عليه وسلم «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَأَعْرِضُوا عَنْهَا، مَلْعُونَةٌ» قال فكأنني أنظر إلى تلك الناقة تمشي بين الناس، لا يتعرض لها أحد.

وقال أبو الدرداء، ما لمن أحد الأرض إلا قالت، لمن الله أعصانا الله. وقالت عائشة رضي الله عنها سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) «أَبَا بَكْرٍ وَهُوَ يَلْمِزُ بَعْضَ رَقِيقَةٍ»، فالتفت إليه وقال «يَا أَبَا بَكْرٍ أَصِدِّيقِينَ وَتَلْمِزَانِ أَكَلًا وَرَبَّ الْكُتَيْبَةِ» مرتين أو ثلاثا، فأعق أبو بكر يومئذ رقيقه، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال لا أعود.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وقال أنس (٦) «كَانَ رَجُلٌ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَعِيرٍ فَلَمَنَ بَعِيرُهُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَا بَسَدَ اللَّهِ لَا تَسِيرْ مَعَنَا عَلَى بَعِيرٍ مَلْعُونٍ» وقال ذلك إنكارا عليه.

واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى، وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة تبعده من الله عز وجل، وهو الكفر والظلم، أن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين.

(الآفة الثامنة العن)

(١) حديث المؤمن ليس بلمعان: تقدم حديث ابن مسعود ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان - الحديث قبل هذا بأحد عشر حديثا ولترمدى وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون المؤمن لعانا

(٢) حديث لا تلاعنوا بلعنة الله - الحديث: تقدم من حديث سمرة بن جندب قال ت حسن صحيح

(٣) حديث عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذا امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها فلعلتها - الحديث: رواه م

(٤) حديث عائشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه وهو يلمز بعض رقيقه فالتفت إليه فقال يا أبا بكر لعانين وصديقين - الحديث: ابن أبي الدنيا في السمعت وشيخه بشار

ابن موسى الخفاف ضعفه الجمهور وكان أحمد حسن الرأي فيه

(٥) حديث إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة: م من حديث أبي الدرداء

(٦) حديث أنس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون ابن أبي الدنيا بإسناد جيد

وينبغي أن يتبع فيه لفظ الشرع، فإن في اللعنة خطراً، لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أبعده الملعون، وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى، ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أطلعه الله عليه والصفات المقتضية لللعن ثلاثة، الكفر، والبدعة، والفسق، وللعن في كل واحدة ثلاثة مراتب، الأولى: اللعن بالوصف الأعظم، كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعين، والفسقة الثانية: اللعن بأوصاف أخص منه: كقولك لعنة الله على اليهود، والنصارى، مراتب اللعن والجوس، وعلى القدرة، والخوارج، والرافض، وأعلى الزناة، والظلمة، وأعلى الربا، وكل ذلك جائز، ولكن في لعن أوصاف المبتدعة خطر، لأن معرفة البدعة عامضة، ولم يرد فيه لفظ مأثور، فينبغي أن يمنع منه العوام، لأن ذلك يستدعي الممارسة مثله، ويشير نزاعاً بين الناس وفساداً الثالثة: اللعن للشخص الملعن، وهذا فيه خطر. كقولك زيد لعنة الله، وهو كافر، أو فاسق، أو مبتدع والتفصيل فيه، أن كل شخص ثبتت لعنته شرعاً، فتجاوز لعنته. كقولك فرعون لعنة الله، وأبو جهل لعنة الله، لأنه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعاً. أما شخص بعينه في زماننا، كقولك زيد لعنة الله، وهو يهودي مثلاً فهذا فيه خطر. فإنه ربما يسلم: فيموت مقرباً عند الله، فكيف يحكم بكونه ملعوناً؟ فإن قلت: يلزم لكونه كافراً في الحال، كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلماً في الحال، وإن كان يتصور أن يرتد

الاعتباط
الشديد في
لعن شخص
بدينه

فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله، أي ثبته الله على الإسلام، الذي هو سبب الرحمة. وعلى الطاعة. ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب الأمانة. فإن هذا سؤال للكفر، وهو في نفسه كفر. بل الجائز أن يقال، لعنة الله إن مات على الكفر ولا لعنة الله إن مات على الإسلام. وذلك غيب لا يدري. والمطلق متردد بين الجهتين، ففيه خطر، وليس في ترك اللعن خطر وإذا عرفت هذا في الكافر، فهو في زيد الفاسق، أو زيد المبتدع أولى. فلعل الأعيان فيه خطر، لأن الأعيان تتقلب في الأحوال إلا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر، ولذلك عين قوماً باللعن، فكان يقول في دعائه على قريش، ^(١) «اللَّهُمَّ عَلَيكَ يَا بَنِي جَهْلَ بْنِ هِشَامٍ وَعُتْبَةُ بْنُ رَيْمَةَ» وذكر جماعة

(١) حديث اللهم عليك يا بني جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة: متفق عليه من حديث ابن مسعود

قتلوا على الكفر بيدر حتى أن من لم يعلم عاقبته كان يلعنه قتهى عنه .^(١) إذ روى أنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بثرعمونة في قنوته شهرا ، فنزل قوله تعالى (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ^(٢)) يعني أنهم ربما يسلمون ، فمن أين تعلم أنهم لم يؤمنوا وكذلك من بان لنا موته على الكفر ، جاز لعنه ، وجازمه ، إن لم يكن فيه أذى على مسلم فإن كان لم ييجز ، كما روى^(٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سأل أبا بكر رضى الله عنه عن قبر مرثبه ، وهو يريد الطائف . فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص ، فغضب ابنه عمرو بن سعيد ، وقال يا رسول الله ، هذا قبر رجل كان أطعم للطعام ، وأضرب للهام من أبى حنيفة . فقال أبو بكر ، يكلمنى هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « اكفُفْ عَنْ أَبِي بَكْرٍ » فانصرف ثم أقبل على أبي بكر فقال « يَا أَبَا بَكْرٍ إِذَا ذَكَرْتُمُ الْكُفَّارَ فَمَعُوا فَإِنَّكُمْ إِذَا خَصَصْتُمْ غَضِبَ الْأَنْبَاءُ لِلْآبَاءِ » فكف الناس عن ذلك

سأله صلى الله عليه وسلم
فصل الصورة

^(٤) وشرب لعيان الحجر ، فحدث مرثبات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال بعض الصحابة ، لعنه الله ، ما أكثر ما يؤتى به . فقال صلى الله عليه وسلم « لَا تَكُنْ عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ »

(١) حديث أنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بثرعمونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الأمر شيء . الشيخان من حديث أنس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بثرعمونة ثلاثين صباحا - الحديث : وفي رواية لهما قنت شهرا يدعو على رعل وذكوان - الحديث : ولها من حديث أبي هريرة وكان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه - الحديث : وفيه اللهم ألحقه لحيان ورعلا - الحديث : وفيه ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله ليس لك من الأمر شيء لفظا .

(٢) حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر عن قبر مرثبه وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وطهر رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه - الحديث : د في المراسيل من رواية طي بن ربيعة قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فور ذلك إلى الطائف وبعده أبو بكر ومنه ابن سعيد بن العاص قال أبو بكر بن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن الله صاحب هذا القبر فانه كان مجاهدا لله ورسوله - الحديث : وفيه فإذا سبتم للمتركن فسبهم جميعا

(٣) حديث شرب نهبان الحجر فحدث مرثبات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن عوناً للشيطان على أخيك وفي رواية لا تهل هذا فانه يجب لله ورسوله ابن عبد البر في الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار

قَتْلِي أَخِيكَ ، وفي رواية : « لَا تَقُلْ هَذَا فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » ، فتهام عن ذلك . وهذا يدل على أن لمن فاسق بميله غير جائز

وعلى الجملة ، ففي امن الأشخاص خطر ، فليجتنب . ولا خطر في الكوت عن امن إيس . مثلاً . فضلاً عن غيره

فإن قيل : هل يجوز لمن يزيد ، لأنه قاتل الحسين أو أمره ،

قلنا : ماذا لم يثبت أصلاً ، فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمره ما لم يثبت ، فضلاً عن اللعنة ، لأنه لا يجوز نسبة مسلم إلى كبير من غير تحقيق . نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم علياً ، وقتل أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنهم ، فإن ذلك ثبت متواتراً . فلا يجوز أن يرمى مسلم بفسق أو كفر من غير تحقيق . قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْكَفْرِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْفِسْقِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « مَا شَهِدَ رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ بِالْكَفْرِ إِلَّا بَابُهُ أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَافِرًا أَهْوَى كَمَا قَالَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَافِرًا فَقَدْ كَفَرَ بِتَكْفِيرِهِ إِيَّاهُ » وهذا منناه أن يكفروه وهو يعلم أنه مسلم . فإن ظن أنه كافر يبدعه أو غيرها ، كان غلطاً لا كافراً . وقال حماد ^(٣) قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَنْتَ أَنْ تَشْتَمَ مُسْلِمًا أَوْ تَغِيِبَ إِمَامًا عَادِلًا »

والتعريض للأذى ، وات أشد . قال مسروق ، دخلت على عائشة رضي الله عنها ؛ فقالت ما فعل فلان لعنه الله ؟ قالت توفي . قالت رحمه الله ، قلت وكيف هذا ؟ قالت قال رسول الله

من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلاً ومحمد هذا ولدني حياته من الله عليه وسلم . وجاء محمد وكناه عبد الملك والبخاري من حديث عمر أن رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يقلب حمرا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جلده في الشرب فأتى به يوماً فأمر به فجده فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله من حديث أبي هريرة في رجل شرب ولم يسم وفيه لا تلعنوا عليه الشيطان وقرواية لا تكونوا عون الشيطان على أخيك

(١) حديث لا يرمى رجل رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك : متفق عليه

والسياق للبخاري من حديث أبي ذر مع تقديم ذكر الفسق

(٢) حديث ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا أتى أحدُهُما أن كان كافرًا فهو كافر وإن لم يكن كافرًا فقد كفر

بتكفيره إياه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف

(٣) حديث ما ذأناك أن تشتم مسلماً أو تغيب إماماً عادلاً : أبو نعيم في الحلية في أثناء حديث له طويل

صلى الله عليه وسلم ^(١) « لَا تَسْبُوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدْ وَءَا » وقال عليه السلام ^(٢) « لَا تَسْبُوا الْأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا بِهِ الْأَحْيَاءَ » وقال عليه السلام ^(٣) « أَيُّهَا النَّاسُ احْفَظُوا نَفْسِي فِي أَصْحَابِي وَإِخْوَانِي وَأَصْهَارِي وَلَا تَسْبُوهُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ فَادُّ كُرُومَهُ خَيْرًا »

فإن قيل : فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله ؟ أو الأمر بقتله لعنه الله قلنا الصواب أن يقال ، قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله . لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة . فإن وحشيا قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قتله وهو كافر ، ثم تاب عن الكفر والقتل جريماً . ولا يجوز أن يلحقه . وللقتل كبيرة ، ولا تنتهي إلى رتبة الكفر . فإذا لم يقيد بالتوبة وأطلق ، كان فيه خطر . وليس في السكوت خطر ، فهو أولى وإنما أوردناه هذا لتهاون الناس باللهة ، وإطلاق اللسان بها . والمؤمن ليس باللهة . فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللهة إلا على من مات على الكفر ، أو على الأجناس المروفين بأوصافهم دون الأشخاص المعينين . فلا اشتغال بذلك الله أولى ، فإن لم يكن ، ففي السكوت سلامة . قال مكى بن إبراهيم ، كنا عند ابن عون ، فذكروا بلال بن أبي بردة ، فجمعوا يلعنونه ويقعون فيه . وابن عون ساكت . فقالوا يا ابن عون ، إنما نذكره لما ارتكب منك ، فقال إنما هما كلمتان يخرجان من صفيق يوم القيامة . لا إله إلا الله ، ولنن الله فلانا . فلأن يخرج من صفيق لا إله إلا الله ، أحب إلى من أن يخرج من هنا المن الله فلانا . وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٤) أوصني ، فقال « أوصيك أن لا تكون لعاناً »

(١) حديث عائشة لا تسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قد فاضوا إليه وهو عند ابن المبارك في الزهد والرفائق مع القصة

(٢) حديث لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء : الترمذي من حديث المغيرة بن شعبة ورجاله ثقات إلا أن بعضهم

أدخل بين المغيرة وبين زياد بن علاقة رجلاً لم يسم
(٣) حديث أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصهارى ولا تسبوهم أيها الناس إذ ماتت لبيت فاذكروا منه خيراً : أبو منصور اللبلى في مسند الفردوس من حديث عيسى الأنصاري احفظوني في أصحابي وأصهارى وإسناده ضعيف وللشيخين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة لا تسبوا أصحابي ولأبي داود والترمذي وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم وللإسائي من حديث عائشة لا تذكروا موتاكم إلا بخير وإسناده جيد

(٤) حديث قال رجل أوصني قال أوصيك أن لا تكون لعاناً : أحمد والطبراني وابن أبي عمير في الآحاد والثاني من حديث جرير بن مزعوم المجبى وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبي عمير

وقال ابن عمر ، إن أنفض الناس إلى الله كل طه أن لمان ، وقال بعضهم : لمن يؤمن بعدل قتله . وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا ، لو قلت إنه مرفوع لم أبال . وعن أبي قتادة ، قال ^(١) كان يقال من لمن مؤمن فهو مثل أن يقاتله . وقد نقل ذلك حديثاً مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقرب من اللحن الدعاء على الإنسان بالشر ، حتى الدعاء على الظالم . كقول الإنسان : مثلاً لا صحح الله جسمه ، ولا سلمه الله ، وما يجري مجراه . فإن ذلك مذموم . وفي الخبر ^(٢) « إِنَّ الظَّالِمَ لَيَدْعُو عَلَى الظَّالِمِ حَتَّى بُكَافَتْهُ ثُمَّ يَبْقَى لِلظَّالِمِ عِنْدَهُ فَضْلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

الآفة التاسعة

الفناء والشعر

وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الفناء وما يحل ، فلا نعيده . أما الشعر ، فنكلام حسن حسن ، وقيحه قبيح . إلا أن التجرد له مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) « لَأَنْ يَمْتَلِي جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا حَتَّى يَرِيَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِي شِعْرًا » وعن مسروق أنه سئل عن بيت من الشعر ، فكرهه ، فقيل له في ذلك ، فقال أنا أكره أن يوجد في صحيفتي شعر . وسئل بعضهم عن شيء من الشعر ، فقال اجعل مكان هذا ذكرًا ، فإن ذكر الله خير من الشعر .

وعلى الجلبة : فإنشاد الشعر ونظمه ليس بحرام ، إذا لم يكن فيه كلام مستكره . قال صلى الله عليه وسلم ^(٤) « إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً » نعم مقصود الشعر المدح ، والذم ، والتشبيب ، وقد يدخله الكذب . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٥) حسان بن ثابت

(١) حديث لمن المؤمن كفته : متفق عليه من حديث ثابت بن الضحالك

(٢) حديث إن الظالم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضله يوم القيامة : لم أقف له على أصل . وللهذه من حديث عائشة بسند ضعيف من دعا على من ظلمه فقد اتهم

(الآفة التاسعة الفناء والشعر)

(٣) حديث لأن يمتلي جوف أحدكم قَيْحًا حتى يريه خير من أن يمتلي شعرا : مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص وأتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة نحوه وبالحارثي من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبي سعيد

(٤) حديث إن من الشعر لحكمة : تقدم في العلم وفي آداب السماع

(٥) حديث أمره حسان أن يهجو للشركين : متفق عليه من حديث البراءة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان أهجهم ونجربك بك

الانصارى بهجاء الكفار . والتوسع في المدح ، فإنه وإن كان كاذبا ، فإنه لا يلتحق في التحريم بالكذب . كقول الشاعر

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليثق الله سائله

فإن هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء . فإن لم يكن صاحبه سخيا ، كان كاذبا . وإن كان سخيا . فالبالغة من صنعة الشعر ، فلا يقصد منه أن يعتد بصورته . وقد أشدت أبيات

انصرح
بعض المبالغة
في التشهير

بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو تقيمت ، لوجد فيها مثل ذلك ، فلم يمنع منه قالت عائشة رضى الله عنها : ^(١) ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ، وكنت جالسة أغزل فنظرت إليه ، فجعل جبينه يبرق ، وجعل عرقه يتولد نورا ، قالت فبهت ، فنظر إلى فقال « مَا لَكَ بَهَتْ ؟ » فقلت يارسول الله ، نظرت إليك ، فجعل جبينك يبرق وجعل عرقك يتولد نورا ، ولورأك أبو كبير الهذلي ، لعلم أنك أحق بشعره . قال « وَمَا يَقُولُ يَا عَائِشَةُ أَبُو كَبِيرٍ الْهَذَلِيُّ ؟ » قلت يقول هذين البيتين

ومبرا من كل غير حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض التهلل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده ، وقام إلى ، وقبل ما بين عيني ، وقال « جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا عَائِشَةُ مَا مُرِدْتُ مِنِّي كَسْرُورِي مِنْكَ » ^(٢) ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفنائم يوم حنين ، أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص ، فاندفع يشكو في شعر له وفي آخره

(١) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت أغزل قالت فنظرت إليه فجعل جبينه

يبرق وجعل عرقه يتولد نورا - الحديث : وفيه انشاد عائشة لشعر أبي كبير الهذلي

ومبرا من كل غير حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل

فإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض التهلل

الآخر الحديث : رواه البيهقي في دلائل النبوة

(٢) حديث لما قسم الفنائم أمر العباس بن مرداس بأربع قلائص وفي آخره شعره

وما كنت بدو ولا حابس يسودان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عن لسانه - الحديث : مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى

رسول الله صلى الله عليه وسلم أسفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأفراع

ابن حابس كل انسان منهم ماؤه من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس

وما كان بدر ولا حابس يسودان مرداس في جمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع
فقال صلى الله عليه وسلم « افطموا عني لسانه » فذهب به أبو بكر الصديق رضي الله عنه
حتى اختار مائة من الإبل ، ثم رجع وهو من أرضي الناس . فقال له صلى الله عليه وسلم
« أَتَقُولُ فِي الشَّعَرِ ؟ » فجعل يمتدح إليه ويقول ، بأبي أنت وأمي ، إني لأجد للشعر ذيبا
على لساني كذيب النمل ، ثم يقرصني كما يقرص النمل ، فلا أجد بدا من قول الشعر . فتبسم
صلى الله عليه وسلم وقال « لَا تَدْعُ الرَّبَّ الشَّعْرَ حَتَّى تَدْعَ الْإِبِلَ الْحَنِينِ »

الآفة العاشرة

المزاح

وأصله مذموم منهي عنه ، إلا قدرا يسيرا يستثنى منه . قال صلى الله عليه وسلم
(١) « لَا تَمَارِ أَخَاكَ وَلَا تَمَارِ حَتَّةً »

فإن قلت : الماراة فيها إيذاء ، لأننيها تكذبا للأخ والصديق ، أو تجهيلا له ، وأما المزاح
فطائفة ، وفيه انبساط وطيب قلب ، فلم ينهي عنه ؟
فاعلم . أن المنهي عنه الإفراط فيه ، أو المداومة عليه

أما المداومة ، فلا نه اشتغال باللعب والهزل فيه ، واللعب مباح ، ولكن المواظبة عليه مذمومة
وأما الإفراط فيه ، فإنه يورث كثرة الضحك ، وكثرة الضحك تيمت القلب ، وتورث
الضعف في بعض الأحوال ، وتسقط المهابة والوقار . فما يخلو عن هذه الأمور فلا يذم ،

أجعل نهى ونهب البعيد بين عينة والأفرع

وما كانت بدر ولا حابس يفرقان مرداس في جمع

وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

قال فأنم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما تنوزاد في رواية وأعطى علقمة بن علاثة مائة وأما زيادة

أفطموا عني لسانه فليت في شيء من الكتب للشهيرة

(الآفة العاشرة للمزاح)

(١) حديث لا تمار أخاك ولا تمارحه : الترمذي وقد هدم

كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ^(١) «إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً» إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقاً. وأما غيره إذا فتح باب المزاح، كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) «إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها في النار أبعد من الثريا»

وقال عمر رضي الله عنه، من كثر ضحكك، قلت هيئته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثرت سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ولأن الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم ^(٣) «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتكم قليلاً»

وقال رجل لأخيه يا أخي، هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم، قال. فهل أتاك أنك خارج منها؟ قال: لا قال. فقيم الضحك؟ قيل فما رثي ضاحكا حتى مات، وقال يوسف بن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك. وقيل: أقام عطاء السلمي أربعين سنة لم يضحك. ونظر وهيب بن الورد إلى قوم يضحكون في عيد فطر، فقال: إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين. وكان عبد الله بن أبي بعلی يقول، أتضحك ولعل أكفأ لك قد خرجت من عند القصار! وقال ابن عباس، من أذنب ذنبا وهو يضحك، دخل النار وهو يسيك. وقال محمد بن واسع: إذا رأيت في الجنة رجلا يسيك، ألسنت تعجب من مكانه أقبل يلى، قال. فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه فهذه آفة الضحك. والمذموم منه أن يستغرق ضحكا. والمحمود منه التبسم الذي ينكشف فيه السن، ولا يسمع له صوت. وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٤) قال القاسم مولى معاوية ^(٥) أنبل أعرايى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، على قلوب له صعب

(١) حديث أنى أمزح ولا أقول إلا حقا: تهم

(٢) حديث أن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا: تهم

(٣) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا: متفق عليه من حديث أنس وعائشة

(٤) حديث كان ضحكه التبسم: تهم

(٥) حديث القاسم مولى معاوية أنبل أعرايى إلى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوب له صعب

كما دنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله في وجهه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون منه

فسلم ، فجعل كلما نادى من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله ، يفر به ، فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه . ففعل ذلك مراراً ثم وقصه فقتله . فقيل يا رسول الله ، إن الأعرابي قد صرعه قلوبه ، وقد هلك . فقال « تَمَّ وَأَفْوَاهُكُمْ مَلَأَى مِنْ دَمِهِ » وأما أداء المزاح إلى سقوط الوفاة ، فقد قال عمر رضى الله عنه ، من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر ، قالت لى أبى ، يا بنى لا تمازح الصبيان فتهمون عندم . وقال سعيد ابن العاص لابنه ، يا بنى لا تمازح الشريف فيحقد عليك ، ولا الدنيا فيجتري عليك . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ، اتقوا الله وإياكم والمزاح ، فإنه يورث الضغينة ، ويجر إلى القبيح . تحدثوا بالقرآن ، وتجالسوا به ، فإن ثقل عليكم حديث حسن من حديث الرجال . وقال عمر رضى الله عنه . أتدرون لم سمي المزاح مزاحاً ؟ قالوا لا . قال لأنه أزعج صاحبه عن الحق . وقيل لكل شيء بذور ، وبذور العداوة المزاح . ويقال المزاح مسلبة للنهى ، مقطعة للأصدقاء .

فإن قلت . قد ثقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينهى عنه فأقول . إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقاً ، ولا تؤذى قلباً ، ولا تفرط فيه ، وتقتصر عليه أحياناً على التدور فلا خرج عليك فيه . ولكن من الغلط العظيم ، أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليه ، ويفرط فيه ، ثم يتمسك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم . وهو كمن يدور نهاره مع الزنوج ، ينظر إليهم وإلى رقصهم ، ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة ^(١) في النظر إلى رقص الزنوج في يوم عيد . وهو خطأ . إذ من الصفات ما يصير كبيرة بالإصرار ، ومن المباحات ما يصير صغيرة بالإصرار . فلا ينبغي أن يغفل عن هذا

فعل ذلك ثلاث مرات . ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قلوبه فهلك

قال نعم وأفواهكم ملأى من دمه : ابن المبارك في الزهد والرقائق وهو مرسل

(١) حديث أذنه لعائشة في النظر إلى رقص الزنوج في يوم عيد : تقدم

بعض أسنانه
منه صلى الله
عليه وسلم

نعم روى أبو هريرة ^(١) أنهم قالوا يارسول الله، إنك تداعبنا، فقال: «إني وإن دأبتكم لأقول إلا حقا» ^(٢) وقال عطاء: «إن رجلا سأل ابن عباس، أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح؟ فقال نعم. قال فما كان مزاحه؟ قال كان مزاحه: إنه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوبا واسما، فقال لها: «الْبَسِيهِ وَأَحْمَدِي، وَجُرِّي مِنْهُ ذَيْلًا كَذْبِيلَ الْكُرُوسِ» وقال أنس، إن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٣) كان من أفكه الناس مع نسائه. وروى ^(٤) أنه كان كثير التبسم. وعن الحسن ^(٥) قال، أتت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لها صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةُ عَجُوزٌ»، فبكت فقال: «لَأَنْتِ لَسْتِ بِعَجُوزٍ يَوْمَئِذٍ» قال الله تعالى: (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ^(٦))

وقال زيد بن أسلم ^(٧) إن امرأة يقال لها أم أيمن، جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت، إن زوجي يدعوك، قال: «وَمَنْ هُوَ؟ أَهُوَ الَّذِي يَبْعِيهِ بَيَاضٌ؟» قالت والله ما بعينه بياض. فقال: «بَلَى إِنَّ يَبْعِيهِ بَيَاضًا» فقالت لا والله، فقال صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَبَيْتُهُ بَيَاضٌ» وأراد به البياض المحيط بالحدقة. وجاءت امرأة أخرى فقالت: يارسول الله، احملني على بعير، فقال: «بَلْ نَحْمِلُكَ عَلَى ابْنِ الْبَعِيرِ» فقالت ما أصنع به؟ إنه لا يحملني. فقال صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ بَعِيرٍ إِلَّا وَهُوَ ابْنُ بَعِيرٍ» فكان يمزح به

(١) حديث أبي هريرة قالوا أنك تداعبنا قال إني وإن دأبتكم فلا أقول إلا حقا: الترمذي وحسنه

(٢) حديث عطاء بن رباح سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال ابن عباس نعم - الحديث:

فذكر منه قوله لا امرأة من نسائه البسيه واحمدى وجرى منه ذيل كذبيل الكروس لم أقف عليه

(٣) حديث أنس كان من أفكه الناس: تقدم

(٤) حديث أنه كان كثير التبسم

(٥) حديث الحسن لا يدخل الجنة عجوز: الترمذي في الثعالب هكذا مرسل وأسنده ابن الجوزي في الوفاء

من حديث أنس بسند ضعيف

(٦) حديث زيد بن أسلم في قوله لا امرأة يقال لها أم أيمن قالت إن زوجي يدعوك أهو الذي بعينه بياض - الحديث: الزبير

ابن بكاري كتاب الفكهة وللزاح ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عتبة بن رستم الفهري مع اختلاف

(٧) حديث قوله لا امرأة استحملته غملك على ابن البعير - الحديث: أبو داود والترمذي ومحمد بن حنبل

أنس بلفظ أنا حملك على ولد الناقة

وقال أنس : كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير^(١) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم ويقول « يَا أَبَا عُمَيْرٍ أَفَعَلَّ اللَّهُ بِكَ » انتهى كان يلعب به وهو فرخ المصفور .
وقالت عائشة رضي الله عنها^(٢) : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال « تَمَالَى حَتَّى أَسَاقَكَ » فشددت درعى على بطنى ، ثم خططنا خطأ ، فأمنا عليه واستبقنا ، فسبقتنى . وقال « هَذِهِ مَسْكَانُ ذِي الْجَنَازِ » وذلك أنه جاء يوما ونحن بذى الجواز ، وأنا جارية قد بعثنى أبى بشيء : فقال أعطينيه ، فأبيت وسمعت : وسعى فى أثرى ، فلم يدركنى . وقالت أيضا^(٣) : ساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقتته : فلما حملت اللحم ساءتني فسبقتنى وقال « هَذِهِ بِلَالُكَ » وقالت أيضا رضي الله عنها^(٤) : كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسودة بنت زمعة ، فصنعت حريرة وجئت به ، فقلت لسودة كلي . فقالت لا أحبه : فقلت والله لتأكلن أولاً لطخن به وجهك : فقالت ما أنا بذاتته . فأخذت يدي من الصحيفة شيئاً منه . فلطخت به وجهها ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها . فغضب لها رسول الله ركبته لتستفيد منى . فتناوات من الصحيفة شيئاً ، فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتحك وروى أن الضحاک بن سفيان الكلبي^(٥) كان رجلاً دميماً قبيحاً ، فلا يابده النبي صلى الله عليه وسلم ، قال إن عندى امرأتين أحسن من هذه الحميراء ، وذلك قبل أن تنزل

(١) حديث أنس أباعمر مائل الغير : متفق عليه وقد تم فى أخلاق النبوة

(٢) حديث عائشة فى مسابقتها صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر فسبقتها قال هذه مكان ذى الجواز لم أجده أصلاً ولم تمكن عائشة منه فى غزوة بدر

(٣) حديث عائشة سابقى فسبقته : النسائي وابن ماجه وقد تقدم فى الكساح

(٤) حديث عائشة فى لطم وجه سودة بجريرة ولطم وجه عائشة فجعل صلى الله عليه وسلم يفتحك الزبير بن بكار فى كتاب الفكاهة وأبو يعلى بلسان جيد

(٥) حديث أن الضحاک بن سفيان الكلبي قال عندى امرأتان أحسن من هذه الحميراء أقلأ أنزل لك عن إحداهما فتزوجها وعائشة جالسة قبل أن يضرب الحجاب فقالت أهى أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان دميماً : الزبير بن بكار فى الفكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسل أو مضعلاً وللدارقطني نحو هذه القصة مع عيينة ابن حسن الفزارى بعد نزول الحجاب من حديث أبى هريرة

آية الحجاب ، أفلا أنزل لك عن إحداهما فتزوجها ؟ وعائشة جالسة تسمع فقالت ، أهي أحسن أم أنت ؟ فقال بل أنا أحسن منها وأكرم . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها إياه ، لأنه كان دميما

وروى علقمة عن أبي سلمة ^(١) ، أنه كان صلى الله عليه وسلم يدلغ لسانه للحسن بن علي عليهما السلام ، فيرى الصبي لسانه ، فيمش له . فقال له عيينة بن بدر الفزاري ، والله ليكون لي الابن قد تزوج ، وبقل وجهه ، وما قبلته قط . فقال صلى الله عليه وسلم « إن من لا يرحم لا يرحم » فأكثر هذه المطايات منقولة مع النساء والصبيان . وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم ، من غير ميل إلى هزل . وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) مرة لصبيب وبه رمد ، وهو يأكل تمره أتنا كل التمر وأنت رمد ؟ ، فقال : إنما أكل بالشق الآخر يارسول الله . فتبسم صلى الله عليه وسلم . قال بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجذه .

وروى ^(٣) أن خوات بن جبير الأنصاري كان جالسا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة . فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال « يا أبا عبد الله مالك مع النسوة ؟ » فقال يفتلن صغيرا لجل لي شرود . قال فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ، ثم عاد

مطابقة صلى الله عليه وسلم
ظلمات
الأنصاري

(١) حديث أبي سلمة عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم كان يدلغ لسانه للحسن بن علي فيرى الصبي لسانه فيمش إليه فقال عيينة بن بدر الفزاري والله ليكون لي الابن رجلا قد خرج وجهه وما قبلته قط فقال إن من لا يرحم لا يرحم : أبو يعلى من هذا الوجه دون ما في آخره من قول عيينة ابن بدر وهو عيينة بن حصن بن بدر ونسب إلى جده وحكي الخطيب في الميهات قولين في قائل ذلك أحدهما أنه عيينة بن حصن والثاني أنه الأقرع بن حابس وعند مسلم من رواية الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم

(٢) حديث قال لصبيب وبه رمد أتنا كل التمر وأنت رمد فقال إنما أكل بالشق الآخر فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم : ابن ماجه والحاكم من حديث صبيب ورجاله ثقات

(٣) حديث أن خوات بن جبير كان جالسا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن صغيرا لجل لي شرود - الحديث : الطبراني في الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوات بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات وأدخل بعضهم بين زيد وبين خوات ربيعة بن عمرو

عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَسْأَلُ مِنْ نِسْأَوْ عَسَى أَنْ يَكُنْ خَيْرًا مِنْهُمْ^(١) (ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير، والتنبيه على العيوب والنقائص، على وجهه يضحك منه. وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء. وإذا كان بحضرة المستمزم به، لم يسم ذلك غيبة، وفيه معنى الغيبة. قالت عائشة رضي الله عنها،^(٢) حاكيت إنسانا، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَتْنِي حَاكَيْتُ إِنْسَانًا وَلِي كَذَا وَكَذَا» وقال ابن عباس في قوله تعالى: (يَاوَيْلَتَنَا مَا هَذَا الْكِتَابِ لَا بُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا^(٣)) إن الصغيرة التبسم بالاستمراء بالمؤمن، والكبيرة التهمة بذلك. وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر. وعن عبد الله بن زمعة^(٤) أنه قال، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب: فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال «عَلَامُ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ!» وقال صلى الله عليه وسلم^(٥) «إِنَّ السُّبْهَنَيْنِ بِالنَّاسِ يُفْتَحُ لِأَحَدِهِمْ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ فَيَقَالُ هَلَمْ هَلَمْ فَيَجِبِي بِكَرٍّ بِهِ وَغَمٍّ فَإِذَا أَنَاءُ أُغْلِقَ دُونَهُ ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ آخَرُ فَيَقَالُ هَلَمْ هَلَمْ فَيَجِبِي بِكَرٍّ بِهِ وَغَمٍّ فَإِذَا أَنَاءُ أُغْلِقَ دُونَهُ فَمَا يَرَأَى كَذَلِكَ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفْتَحَ لَهُ الْبَابُ فَيَقَالُ لَهُ هَلَمْ هَلَمْ فَلَا يَأْتِيهِ»
 متى يوتئره وقال معاذ بن جبل^(٦)؛ «قال النبي صلى الله عليه وسلم «مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ قَدْ تَابَ الصُّغْرَةَ ذَنْبًا مِنْهُ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَمُتَ لَهُ» وكل هذا يرجع إلى استحقاق الغير، والضحك عليه استهانة به واستصغار له. وعليه نبه قوله تعالى (عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ^(٧)) أي لاستحقاقه استصغارا، فلعله خير منك. وهذا إما يحرم في حق من يتأذى به.

(١) حديث عائشة حكيت إنسانا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما يسرني أني حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا: أبو داود والترمذي وصححه

(٢) حديث عبد الله بن زمعة وعظهم في الضحك من الضرطة وقال علام يضحك أحدكم مما يفعل: متفق عليه

(٣) حديث ابن السكيتين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجي بكرة به وغمة فإذا جاء أغلق

دونه - الحديث: ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث الحسن مرسل وروياه في ثمانيات النجيب

من رواية أبي هدية أحدهما الكشي عن أنس

(٤) حديث معاذ بن جبل من غير أخاه بذنب قد تاب منه لم يموت حتى يمت له: الترمذي دون قوله قد تاب منه وقال

حسن غريب وليس استناده بمحصل قال الترمذي قال أحمد بن حنبل قالوا من ذنب قد تاب منه

(٥) المعبرات: ١١ (٦) الكهف: ٤٩ (٧) المعبرات: ١١

فأما من جعل نفسه مسخرة ، وربما فرح من أن يسخر به ، كانت السخرية في حقه من جملة المزاح . وقد سبق ما يذم منه وما يمدح . وإنما المحرم استصغار يتأذى به المستمزأ به لما فيه من التحقير والتهاون ، وذلك نارة بأن يضحك على كلامه إذا تخطب فيه ولم ينتظم أو على أفعاله إذا كانت مشوسة ، كالضحك على خطأ ، وعلى صنعة ، أو على صورته وخلقه إذا كان قصيرا ، أو ناقصا الميب من الديوب . فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهى عنها .

الآفة الثانية عشرة

إفشاء السر

وهو منهى عنه ، لما فيه من الإيذاء ، والتهاون بحق المعارف والأصدقاء . قال النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) « إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ انْفَتَحَ فِيهِ أَمَانَةٌ » وقال ^(٢) « مطلقا » الحديث يُنَبِّئُكُمْ أَمَانَةٌ » وقال الحسن : إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك

ويروي أن معاوية رضي الله عنه ، أسر إلى الوليد بن عتبة حديثا . فقال لأبيه ، يا أبت إن أمير المؤمنين أسر إلى حديثا ، وما أراه يطوى عنك ما بسطه إلى غيرك . قال فلا تحدثني به ، فإن من كتم سره كان الخيار إليه ؛ ومن أفشاء كان الخيار عليه . قال . فقلت يا أبت ، وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه ؟ فقال : لا والله يا بني ، ولكن أحب أن لا تدل لسانك بأحاديث السر . قال : فأتيت معاوية فأخبرته ، فقال . يا وليد ، أعتقك أبوك من رق الخطأ فأفشاء السرخيانة ، وهو حرام إذا كان فيه إضرار ، ولؤم إن لم يكن فيه إضرار . وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة ، فأغنى عن الإعادة

الآفة الثالثة عشرة

الوعد الكاذب

فإن اللسان سباق إلى الوعد ، ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء ، فيصير الوعد خلفا ، وذلك

(الآفة الثانية عشرة إفشاء السر)

(١) حديث إذا حدث الرجل بحديث ثم انفتح في أمانة : أبو داود والترمذي وحسنه من حديث جابر

(٢) حديث الحديث بينكم أمانة : ابن أبي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا

(الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

من أمارات النفاق قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ^(١)) وقال صلى الله عليه وسلم^(٢) «الْعِدَّةُ عَطِيَّةٌ» وقال صلى الله عليه وسلم^(٣) «الْوَأَى مِثْلُ الدِّبْنِ أَوْ أَفْضَلُهُ» والوَأَى الوعد . وقد أنى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام ، في كتابه العزيز ؛ فقال (لَئِنْ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ^(٤)) قيل إنه وعد إنسانا في موضع ، فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسي . فبقى اسمعيل اثنين وعشرين يوما في انتظاره

ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال ، إنه كان خطب إلى ابنتي رجل من قريش وقد كان منى إليه شبه الوعد ، فو الله لا ألتى الله بثالث النفاق ، أشهدكم أبى قد زوجته ابنتي^(٥) وعن عبد الله بن أبى الحنفية قال : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، وبقيت له بقية ، فواعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك ، ففسيت يومى والغد ، فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه ، فقال « يَا كَفَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنَا هُنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ أَتَنْتَرِكُ » وقيل لإبراهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء . قال . ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٦) إذا وعد وعدا قال « عسى » وكان ابن مسمود لا يعد وعدا إلا ويقول إن شاء الله ، وهو الأولى ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد ، فلا بد من الوفاء ، إلا أن يتعذر . فإن كان عند الوعد عازما على أن لا يفي ، فهذا هو النفاق .

وقال أبو هريرة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم^(٧) « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مَنَاقِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اتَّبَعْنَا خَانَ »

(١) حديث العدة عطية : الطبراني في الأوسط من حديث قتات بن أشيم بسند ضعيف وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسمود . ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائط في مكارم الأخلاق من حديث الحسن مرسلا

(٢) حديث الوأى مثل الدين أو أفضل : ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية ابن لهيعة مرسلا وقال نوأى يعنى الوعد ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بسند ضعيف . (٣) حديث عبد الله بن أبى الحنفية : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فوعده أن آتيه بها في مكانه ذلك ففسيت يومى والغد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا بني قد شقت على أنا هنا منذ ثلاث انتظرلك : رواه أبو داود واختلف في اسناده وقال ابن مهدي ما اظن إبراهيم ابن طهات الا اخطأ فيه

(٤) حديث كان إذا وعد وعدا قال عسى : لم اجده اصلا

(٥) حديث ابن أبي هريرة ثلاث من كن فيه فهو منافق - الحديث : وفيه إذا وعد اخلف متفق عليه وقد تقدم

وقال عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَلَّةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَّعِيَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف ، أو ترك الوفاء عن غير عذر . فأما من عزم على الوفاء ، فعن له عذر منه من الوفاء ، لم يكن منافقا ، وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق .

ولكن ينبغي أن يحتزم من صورة النفاق أيضا ، كما يحتزم من حقيقته . ولا ينبغي أن يحمل نفسه معذورا من غير ضرورة حاضرة ، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) ، كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما ، فأتى بثلاثة من السبي ، فأعطى اثنين وبقى واحد فأنت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادما وتقول . ألا ترى أثر الرحي يدي ؟ فذكر موعده لأبي الهيثم ، فجعل يقول « كَيْفَ يَمُوعِدِي لِأَبِي الْهَيْثَمِ » ، فأثَّره به على فاطمة ، لما كان قد سبق من موعده له ، مع أنها كانت تدير الرحي يدها الضعيفة .

^(٣) ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بمخين ، فوقف عليه رجل من الناس ، فقال إن لى عندك موعدا يا رسول الله ، قال « صَدَقْتَ فَأَخْتَكُمُ مَا شِئْتَ » فقال أختكم ثمانية ضائية وراعيها . قال « هِيَ لَكَ » وقال « اخْتَكَمْتَ بَسِيرًا وَلَصَاحِبُهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتِي دَلَّتهُ عَلَى عِظَامِ يُوسُفَ كَانَتْ أَحْزَمَ مِنْكَ وَأَجْزَلَ حُكْمًا مِنْكَ حِينَ حَكَمَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَتْ حُكْمِي أَنْ تُرَدَّنِي شَابَةً وَأَدْخُلَ مَعَكَ الْجَنَّةَ »

(١) حديث عبدالله بن عمرو أربع من كن فيه كان منافقا - الحديث متفق عليه

(٢) حديث كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقى واحد فجاءت فاطمة تطلب منه - الحديث : وفيه فجعل يقول كيف يموعدى لأبي الهيثم فأثَّره به على فاطمة تقدم ذكر قصة أبي الهيثم في آداب الأكل وهي عند الترمذى من حديث أبي هريرة وليس فيها ذكر فاطمة

(٣) حديث أنه كان جالسا يقسم غنائم هوازن بمخين فوقف عليه رجل فقال إن لى عندك موعدا ، وعدا قال صدقت فأخحك ما شئت - الحديث : وفيه لصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك - الحديث : ابن جابر والحاكم في المستدرک من حديث أبي موسى مع اختلاف قال الحاكم صحيح الإسناد وفيه نظر

قيل فمكان الناس يضمه من ما حكم به حتى جعل مثلاً : فقيل أشع من صاحب الثمانين والراعي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « لَيْسَ الْخُلْفُ أَنْ يَبْعَدَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي نَيْتِهِ أَنْ يَنْفِي » وفي لفظ آخر « إِذَا وَعَدَ الرَّجُلُ لُفَّاهُ فِي نَيْتِهِ أَنْ يَنْفِي فَلَمْ يَجِدْ فَلَا لُفَّاهُ عَلَيْهِ »

الآفة الرابعة عشرة

الكذب في القول والميمين

وهو من قبائح الذنوب ، وفواحش العيوب . قال اسماعيل بن واسط ، سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يخاطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ^(٢) : « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ، ثم بكى وقال « إِنَّا كُفُّمُ وَالْكَذِبُ فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ » وقال أبو أمامة ^(٣) : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الْكَذِبَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النِّفَاقِ » وقال الحسن . كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والعلانية ، والقول والعمل ، والمدخل والمخرج ، وإن الأصل الذى بنى عليه النفاق الكذب وقال عليه السلام ^(٤) « كُتِبَتْ خِيَانَةٌ أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهٍ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ

(١) حديث ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته أن ينفي وفي لفظ آخر إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن ينفي فلم يجد فلا ثم عليه : أبو داود والترمذي وضعه من حديث زيد بن أرقم باللفظ الثاني الا أنهما فلا فلم ينف

(الآفة اربعة عشرة الكذب في القول والميمين)

(٢) حديث أبي بكر الصديق قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال إياكم والكذب - الحديث : ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة وجهه الضعف من رواية

اسماعيل بن أوسط عن أبي بكر وإنما هو أوسط بن اسماعيل بن أوسط وإسناده حسن

(٣) حديث أبي أمامة ان الكذب باب من ابواب النفاق : ابن عدى في الكامل بسند ضعيف وفيه عمر بن موسى

الوجيهى ضعيف جداً ويضعفه عنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وحديث أربع من كن

فيه كان منافقاً قال في كل منهما وإذا حدث كذب وهما في الصحيحين وقد تقدم في الآفة التي قبلها

(٤) حديث كبرت خيانة ان تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له كاذب : البخارى في كتاب الأدب

للقرطبي وأبو داود من حديث سفيان بن اسيد وضعفه ابن عدى ورواه احمد والطبراني من

حديث النوايس بن سمعان بإسناد جيد

بوكاذب» وقال ابن مسعود، قال النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى السَّكْذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»

^(٢) ومرو رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين يتبايعان شاة ويتحالفان، يقول أحدهما والله لأتقصك من كذا وكذا، ويقول الآخر . والله لأزيدك على كذا وكذا . فرد بالشاة وقد اشتراها أحدهما . فقال «لَوْ جَبَّ أَحَدُهُمَا بِالْآخِ وَالْكِبَارَةُ» وقال عليه السلام ^(٣) «السَّكْذِبُ يُنْقِصُ الرِّزْقَ» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٤) «لَنْ الشَّجَارُ ثُمَّ الْفَجَارُ» فقيل يا رسول الله، أليس قد أحل الله البيع؟ قال «نَعَمْ وَلَكِنَّهُمْ يَحْلِفُونَ فَيَأْتُمُونَ وَيُحْدِثُونَ فَيَكْذِبُونَ» وقال صلى الله عليه وسلم ^(٥) ، «ثَلَاثَةٌ قَرَرٌ لَا يَكْذِبُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ الْمَنَانُ بِطَيْبَةٍ وَمُنْذِقٌ سَلْعَتُهُ بِالْحَلِفِ الْفَاجِرِ وَالْمَسِيلُ إِزَارُهُ»

وقال صلى الله عليه وسلم ^(٦) «أَحْلَفَ خَالِفُ اللَّهِ فَأَدْخَلَ فِيهِ امِّثْلَ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ إِلَّا كَانَتْ نُكْثَةً فِي قَلْبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» وقال أبو ذر ^(٧) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ رَجُلٌ كَانَ فِي فِتْنَةٍ فَنَصَبَ نَحْرَهُ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ

(١) حديث ابن مسعود لا يزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا: متفق عليه

(٢) حديث مر برجلين يتبايعان شاة، ويتحالفان - الحديث : وفيه فقال اوجب احدهما بالاثم والكفارة ابو الفتح الازدي في كتاب الاسماء للزردة من حديث ناسخ الحفري وهكذا رويناه في امالي ابن سمعون وناسخ ذكره البخاري هكذا في التاريخ وقال ابو حاتم هو عبد الله بن ناسخ

(٣) حديث السكذب ينقص الرزق : أبو الشيخ في طبقات الاصبهانيين من حديث أبي هريرة ورويناه كذلك في شتيحة القاضي أبي بكر واسناده ضعيف

(٤) حديث ان النجارم الفجار - الحديث : وفيه ويحدثون فيكذبون أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن شبل

(٥) حديث نكثت نفرا لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم اللان بعطية والنفق سلمته بالحلف الكاذب والمسيل ازاره : مسلم من حديث أبي ذر

(٦) حديث ما حلف خالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكثت في قلبه إلى يوم القيامة الترمذي والحاكم وصححه اسناده من حديث عبد الله بن أنيس

(٧) حديث أبي ذر ثلاثة يحبهم الله - الحديث وفيه وثلاثة يشنؤهم الله التجار والبايع الحلاف أحمد واللفظ له وفيه ابن الاحسن ولا يعرف حاله ورواه هو والنسائي بلفظ اخر باسناد جيد والنسائي من حديث أبي هريرة أربعة يفضهم الله البيع الحلاف - الحديث : واسناده جيد

وَرَجُلٌ كَانَ لَهُ جَارٌ سَوْءٌ يُؤْذِيهِ فَصَبَرَ عَلَى أَذَاهُ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا. وَتُ أَوْظَنُ وَرَجُلٌ كَانَ مَعَهُ قَوْمٌ فِي سَفَرٍ أَوْ سَرِيَةٍ فَأَطَالُوا السَّرَى حَتَّى أُعْجِبَهُمْ أَنْ يَمْشُوا الْأَرْضَ فَزَلُّوا فَتَتَبَعِي يُصَلُّ حَتَّى يَوْفِقُوا أَصْحَابَهُ لِلرَّحِيلِ . وَثَلَاثَةٌ يَشْنُوهُمْ اللَّهُ التَّاجِرُ أَوْ الْبَايَعُ الْخِلَافُ وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ وَالْبَخِيلُ الْكَنَانُ » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) « وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ »

وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « رَأَيْتُ كَانَ رَجُلًا جَاءَنِي فَقَالَ لِي قُمْ فَقُمْتُ مَعَهُ فَإِذَا أَنَا بِرَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا قَائِمٌ وَالْآخَرُ جَالِسٌ يَبْدُو الْقَائِمُ كَكُتُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ يَلْقُمُهُ فِي شِدْقِ الْجَالِسِ فَيَجْذِبُهُ حَتَّى يَبْلُغَ كَاهِلَهُ ثُمَّ يَجْذِبُهُ فَيَلْقُمُهُ الْجَانِبَ الْآخَرَ فَيَمْدُهُ فَإِذَا مَدَّهُ رَجَعَ الْآخَرُ سَكَمًا كَانَ فَقُلْتُ لِلَّذِي أَقَامَنِي مَا هَذَا ؟ فَقَالَ هَذَا رَجُلٌ كَذَّابٌ يُعَذِّبُ فِي نَفْسِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » وعن عبد الله بن جراد قال : ^(٣) سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ يَزِي الْمُؤْمِنُ ؟ قَالَ « قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ » قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ : هَلْ يَكْذِبُ الْمُؤْمِنُ قَالَ لَا . ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (إِنَّمَا يُفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ^(٤)) وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) يَدْعُو فَيَقُولُ فِي دُعَائِهِ « اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ وَفَرِّجْ لِي مِنَ الرِّزْقِ وَلِسَانِي مِنَ الْكَذِبِ »

(١) حديث وِيلَ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَيْلَ لَهُ وَيْلَ لَهُ : أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُ وَالنَّسَائِيُّ

فِي الْكِبَرِيِّ مِنْ رِوَايَةِ يَزِيدَ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ

(٢) حديث رَأَيْتُ كَانَ رَجُلًا جَاءَنِي فَقَالَ لِي قُمْ فَقُمْتُ مَعَهُ فَإِذَا أَنَا بِرَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا قَائِمٌ وَالْآخَرُ جَالِسٌ يَبْدُو الْقَائِمُ كَكُتُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ يَلْقُمُهُ فِي شِدْقِ الْجَالِسِ فَجَذِبَهُ حَتَّى يَبْلُغَ كَاهِلَهُ ثُمَّ يَجْذِبُهُ فَيَلْقُمُهُ الْجَانِبَ الْآخَرَ فَيَمْدُهُ فَإِذَا مَدَّهُ رَجَعَ الْآخَرُ سَكَمًا كَانَ فَقُلْتُ لِلَّذِي أَقَامَنِي مَا هَذَا ؟ فَقَالَ هَذَا رَجُلٌ كَذَّابٌ يُعَذِّبُ فِي نَفْسِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »

كُتُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ يَلْقُمُهُ فِي شِدْقِ الْجَالِسِ - الْحَدِيثُ : الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ صَمِرَةَ

ابْنِ جَنْدَبٍ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ

(٣) حديث عبد الله بن جراد أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يزي المؤمن ؟ « قد يكون من ذلك »

قال هل يكذب قال لا - الحديث : ابن عبد البر في المستدرج بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا

في الصمت وقتصرا على الكذب وجعل اللسان نبا الدرداء

(٤) حديث أبي سعيد الأهم طهر قلبي من النفاق وفرج لي من الرزق ولساني من الكذب هكذا وقع في

نسخ الأحياء عن ابن سعيد وإنما هو عن أم عبد كذا رواه الخطيب في التاريخ دون قوله

وفرج لي من الرزق وزاد وعلى من الرزق وعفي من الحاجة واستاده ضعيف

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) «ثَلَاثَةٌ لَا يَكْذِبُهُنَّ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ وَلَا يُزَكِّيَهُنَّ وَلَهُنَّ عَذَابٌ أَلِيمٌ شَيْخُ زَانٍ وَمَلِكٌ كَذَّابٌ وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ» وقال عبد الله بن عامر ^(٢) جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير، فذهبت لألعب، فقالت أمي، يا عبد الله، تعال حتى أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم «وَمَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيَهُ؟» قالت نعم فقال «أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَكُنَيْتَ عَلَيْكَ كَذْبَةً» وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) «لَوْ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيَّ نِعْمًا عَدَدَ هَذَا الْحَصَى لَقَسَنْتُهَا بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَعْبُدُونِي بِخِيَلٍ وَلَا كَذَابًا وَلَا جَبَانًا» وقال صلى الله عليه وسلم، وكان متكئا، ^(٤) «أَلَا أُبَيِّضُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ الْإِشْرَافُ بِاللَّهِ وَغُفُوقُ الْوَالِدَيْنِ» ثم قعد وقال «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ» وقال ابن عمر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٥) «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ فَيَتَّبَعُهُ الْمَلِكُ عَنْهُ مَسِيرَةٌ مِيلٌ مِنْ نَارٍ مَا جَاءَهُ بِهِ» وقال أنس ^(٦) قال النبي صلى الله عليه وسلم «تَقَبَّلُوا إِلَيَّ يَسْتَرِ أَتَتَّبِلَ لَكُمْ بِالْجَنَّةِ» فقالوا وما هن؟ قال «إِذَا حَدَّثَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَكْذِبْ وَإِذَا وَعَدَ فَلَا يُخْلِفْ وَإِذَا أَتَيْتُمْ فَلَا يَخْنُ وَغَضُّوا أَنْبَارَكُمْ وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»

(١) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم - الحديث : وفيه الإمام الكذاب مسلم من حديث أبي هريرة

(٢) حديث عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب

فقالت أمي يا عبد الله تعال أعطيك فقال وما أردت أن تعطيه قالت نعم قال ان لم تفعل

كنت عليك كذبة رواه أبو داود وفيه من لم يسم وقال الحاكم ان عبد الله بن عامر روى

في حياته صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه قلت وله شاهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود

ورجالهما ثقات الا أن الزهري لم يسمع من أبي هريرة

(٣) حديث لو أفاء الله على نعمة عدد هذا الحصى لقد حنتا بينكم ثم لا تعبدوني بخيلا ولا كذبا ولا جباناً: رواه

مسلم وتقدم في أخلاق النبوة

(٤) حديث ألا أبيضكم بأكبر الكبائر - الحديث : وفيه ألا وقول الزور ومتفق عليه من حديث أبي بكر

(٥) حديث ابن عمر ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نيران ما جاء به

الترمذي وقال حسن غريب

(٦) حديث أنزل تهبوا إلى يست أتهل لكم بالجنة إذا حدث أحدكم فلا يكذب - الحديث : الحاكم في

المستدرک والحراطي في مكارم الأخلاق وفيه سجد بن سنان ضعفه أحمد والنسائي ووثقه ابن

معين ورواه الحاكم بنحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال صحيح الاسناد

وقال موسى عليه السلام : يارب ، أي عبادك خير لك عملا ؟ قال من لا يكذب لسانه ، ولا يفجر قلبه ، ولا يزني فرجه . وقال لقمان لابنه يابني ، إياك والكذب ، فإنه شهى كلهم المعصوم : مما قليل يقلاه صاحبه .

وقال عليه السلام في مدح الصدق ^(١) « أَرَبُّعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا يَضُرُّكَ مَا قَاتَكَ مِنْ الدُّنْيَا صِدْقُ الْحَدِيثِ وَحِفْظُ الْأَمَانَةِ وَحُسْنُ خُلُقٍ وَعِفَّةٌ طُعْمَةٌ » وقال أبو بكر رضى الله عنه ^(٢) في خطبة بمدة وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقامى هذا عالم أول ؛ ثم بكى وقال « عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ » وقال معاذ . قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) « أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَبَدَلِ السَّلَامِ وَخَفَضِ الْجَنَاحِ »

الآثار في نظم
الكذب

وأما الآثار فقد قال على رضى الله عنه أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذب : وشعر الندامة ندامة يوم القيامة . وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه . ما كذبت كذبة منذ شددت على إزارى . وقال عمر رضى الله عنه ، أجبكم إلينا ما لم نركم أحسنكم اسما فإذا رأيناكم فأجبكم إلينا أحسنكم خلقا فإذا اخترناكم فأجبكم إلينا أصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة وعن يميون بن أبي شبيب قال ، جلست أكتب كتابا ، فأتيت على حرف إن أنا كتبت زينت الكتاب وكنت قد كذبت ، فزمت على تركه فنوديت من جانب البيت (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا قَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ^(١)) وقال الشعبي ما أدرى أيهما أبعد غورا في النار ، الكذاب أو البخيل . وقال ابن السكيت ، ما أراى أو جر على ترك الكذب ، لأنى إنما أدعه ألفة

(١) حديث أربع إذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث .. الحديث : الحاكم

والحرائطي في مكارم الاخلاق من حديث عبد الله بن عمرو في ابن لهيعة

(٢) حديث أبى بكر عليه السلام بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة وقد

تقدم بعضه في أول هذا النوع

(٣) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث : أبو نعيم في الحلية وقد تقدم

وقبل لحده بن صبيح، أيسى الرجل كاذبا بكذبة واحدة؟ قال نعم. وقال مالك بن دينار، قرأت في بعض الكتب، مامن خطيب إلا وتمرض خطبته على عمله، فإن كان صادقا صدق، وإن كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار، كلما قرضتا نبتتا. وقال مالك ابن دينار، الصدق والكذب يعتركان في القلب، حتى يخرج أحدهما صاحبه. وكلم عمر ابن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء، فقال له كذبت. فقال عمر، والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه.

بيان

مارخص فيه من الكذب

اعلم أن الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره. فإن أقل درجاته أن يمتد الخبر الشيء على خلاف ما هو عليه، فيكون جاهلا، وقد يتعلق به ضرر غيره. ورب جهل فيه منفعة ومصلحة. فالكذب محصل لذلك الجهل، فيكون مأذونا فيه، وربما كان واجبا، قال ميمون بن مهران، الكذب في بعض المواطن خير من الصدق، أرأيت لو أن رجلا سمي خلف إنسان بالسيف ليقتله، فدخل دارا، فأنهى إليك فقال أرأيت فلانا؟ ما كنت قائلا؟ ألست تقول لم أره، وما تصدق به؟ وهذا الكذب واجب

فنقول: الكلام وسيلة إلى المقاصد. فكل مقصود محمود، يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا، فالكذب فيه حرام. وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق، فالكذب فيه مباح، إن كان تحصيل ذلك المقصد مباح، وواجب إن كان المقصود واجبا. كما أن عصمة دم المسلم واجبة، فهما كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم، فالكذب فيه واجب. وهما كان لا يتم مقصود الحرب، أو إصلاح ذات البين، أو استمالة قلب المجنى عليه إلا بالكذب، فالكذب مباح، إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن، لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه، فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه، وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما في الأصل إلا للضرورة.

الكذب
الواجب
والكذب المباح

والذي يدل على الاستثناء ، ما روى عن أم كلثوم قالت ^(١) ، ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب ، إلا في ثلاث ، الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يقول القول في الحرب ، والرجل يحدث امرأته ، والمرأة تحدث زوجها . وقالت أيضا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) « لَيْسَ بِكَذَّابٍ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَقَالَ خَيْرًا أَوْ نَمَى خَيْرًا » وقالت أسماء بنت يزيد ^(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كُلُّ الْكَذِّبِ يَكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلَّا رَجُلٌ كَذَبَ بَيْنَ مُسْلِمَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا »

وروى عن أبي كاهل ^(٤) قال وقع بين اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما . فلقيت أحدهما فقلت مالك وإفلاق ؟ فقد سمعته يحسن عليك النساء . ثم لقيت الآخر فقلت له مثل ذلك ، حتى اصطلحا . ثم قلت أهلك نفسي وأصلحت بين عذرين ، فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال « يَا أَبَا كَاهِلٍ أَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ ، أَمْ لَوْ بِالْكَذْبِ . وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ سَارٍ ^(٥) قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ، أأكذب على أهلي ؟ قال « لَا خَيْرَ فِي الْكَذْبِ » قال أعداها وأقول لها ؟ قال « لَا جَنَاحَ عَلَيْكَ »

وروى أن ابن أبي عذرة الدؤلي ، وكان في خلافة عمر رضي الله عنه ، كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن . فطارت له في الناس من ذلك أحدوثه يكرها . فلما علم بذلك ، أخذ يذبحهن . فأتته ابنة الأرقم ، حتى أتته إلى منزله . ثم قال لامرأته ، أنشدك بالله هل تفضيني ؟ قالت لا تشدني

(١) حديث أم كلثوم ما سمعته يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث : مسلم وقد تقدم .

(٢) حديث أم كلثوم أيضا ليس بكذاب من أصلح بين الناس - الحديث - متفق عليه وقد تقدم والذي قبله عند مسلم بعض هذا

(٣) حديث أسماء بنت يزيد كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا الرجل كذب بين رجلين يصلح بينهما : أحمد بزيادة فيه وهو عند الترمذي مختصرا وحده

(٤) حديث أبي كاهل وقع بين رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام - الحديث - وفيه يا أبا كاهل أصلح بين الناس رواه الطبراني ولم يصح

(٥) حديث عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أأكذب على أهلي قال لا خير في الكذب قال أعداها وأقول لها قال لا جناح عليك : ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسلا وهو في اللوطي عن صفوان بن سليم معضلا من غير ذكر عطاء بن يسار

قال فإني أشهدك الله . قالت نعم : فقال لابن الأرقم أسمع ؟ ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه فقال إنكم لتجدون أني أظلم النساء وأخلمهن . فاسأل ابن الأرقم . فسأله فأخبره . فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة : فجات هي وعصها . فقال أنت التي تجدني لزوجك أنك تبهضينه ؟ فقالت إني أول من تاهب وراجع أم الله تعالى ، إنه ناشدني فتخرجت أنا كذب ، فأنا كذب يأمر المؤمنين ؟ قال نعم ، فاكذبي : فإن كانت إحداكن لا تحب أحدا فلا تحمده بذلك فإن أقل البيوت التي يبنى على الحب ؛ ولكن الناس يتعاضرون بالإسلام والأحساب .

(١) وعن النواس بن سميان الكلبي ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالى أراكم تهافتون في الكذب تهافتت أفراس في النار كل الكذب يكتب على ابن آدم لأثماته إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين عطفاء فيصليح بينهما أو يحدث امرأته برضاها » وقال ثوبان . الكذب كله إثم ، إلا ما يقع به مسلما ، أو دفع عنه ضررا . وقال علي رضي الله عنه : إذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فلان آخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه . وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم ، فالهرب خدعة

ما بهضم فيه
الكذب

فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء ، وفي معناها ماعداها ؛ إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لم يدر

أما ماله : فقل أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله ، فله أن ينكره . أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها ، فله أن ينكر ذلك ؛ فيقول ما زيت وما سرق . وقال صلى الله عليه وسلم « من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليست بستر الله » وذلك أن إظهار الفاحشة أخرى ، فللرجل أن يحفظ دمه ، وماله الذي يؤخذ ظلما وحرصه بلسانه ، وإن كان كاذبا

الكذب برفع
الضمير
عن
الشيء والغير

(١) حديث النواس بن سميان مالى أراكم تهافتون في الكذب تهافتت أفراس في النار كل الكذب مكتوب - الحديث : أبو بكر بن لال في معارج الأخلاق بلفظ تنبا يعون إلى قوله في النار دون ما بهضم فرواه الطبراني وفيها شهر بن حوشب

(٢) حديث من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليست بستر الله : إلحاقكم من حديث ابن عمر بلفظ اجتمعوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن ألم بشيء منها فليست بستر الله واستاده حسن

وأما عرض غيره ، فيأن يسأل عن سر أخيه ، فله أن ينكره . وأن يصلح بين اثنين ، وأن يصلح بين الضرات من نسائه ، بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه . وإن كانت امرأته لا تطأ ريعه إلا بوءد لا يقدر عليه ، فيمدع في الحال تطيبا لقلبا . أو يمتدز إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد ، فلا بأس به .

ولكن الحذيقه ، أن الكذب محذور . ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور . ^١ المبيع للكذب فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر ، ويزن بالميزان القسط . فإذا علم أن المحذور الذي يحصل بالصدق ، أشد وقعا في الشرع من الكذب ، فله الكذب . وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق ، فيجب الصدق . وقد يتقابل الأمران ، بحيث يتردد فيهما ، وعند ذلك الميل إلى الصدق أولى ، لأن الكذب يباح لضرورة أو حاجة مهمة . فإن شك في كون الحاجة مهمة ، فالأصل التحريم ، فيرجع إليه . ولأجل غموض إدراك مراتب المقاصد ، ينبغي أن يحتزم الإنسان من الكذب ما أمكنه . وكذلك مهما كانت الحاجة له ، فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب . فأما إذا تعلق بفرض غيره ، فلا تجوز المسامحة حتى التغيير ، والإضرار به . وأكثر كذب الناس إنما هو لخطوط أنفسهم . ثم هو زيادات المال والجاه ، ولأموور ليس فوائدها محذورا ، حتى أن المرأة لتحكي عن زوجها ما تفتخر به ، وتكذب لأجل مراعاة الضرات ، وذلك حرام . وقالت أسماء ^(١) ، سمعت امرأة سألته رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ، إن لي ضرة ، وإنني أتكثر من زوجي بما لم يفعل ، أضرارها بذلك ، فهل علي شيء فيه؟ فقال صلى الله عليه وسلم « ^(٢) الْمُنْشَبُعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسُ ثَوْبِي زُورٌ » ، وقال صلى الله عليه وسلم « ^(٣) مَنْ تَطَعَمَ بِمَا لَا يُطَعَّمُ أَوْ قَالَ لِي وَلَيْسَ لَهُ أَوْ أُعْطِيَ وَلَمْ يُعْطَ فَهُوَ كَلَابِسُ ثَوْبِي زُورٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه ، وروايته الحديث الذي لا ينتهه إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه ، فهو لذلك يستنكف من أن يقول لأدري ، وهذا حرام

(١) حديث أسماء قالت امرأة إن لي ضرة وإنني أتكثر من زوجي بما لم يفعل - الحديث - متفق عليه

وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق

(٢) حديث من تطعم بما لا يطعم وقال لي وليس له وأعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور -

يعني التهمة: لم أجده بهذا اللفظ.

ويجاء بالمتخ في النسياء الصبيان . فإن العبي إذا كان لا يرغب في المكتب إلا بوعده ، أو بوعيد ، أو بخوف كاذب ، كان ذلك مباحا . نعم رويتنا في الأخبار أن ذلك يكتب كذبا ولكن الكذب المباح أيضا قد يكتب ، ويحاسب عليه ، وبطالاب تصحيح قصده فيه . ثم يفتى عنه ، لأنه إنما يبيح بقصد الإصلاح ، ويتطرق إليه غرور كبير ، فإنه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه ، وإنما يتعلل ظاهره بالإصلاح ، فلهذا يكتب وكل من أتى بالكذبة ، فقد وقع في خطر الاجتهاد ، ليعلم أن المقصود الذي كذب لأجله هل هو أم في الشرع من الصدق أم لا . وذلك غامض جداً . والحزم تركه لا أن يصير ولجبا بحيث لا يجوز تركه ، بل لو أدى إلى سفك دم ، أو ارتكاب معصية كيف كانه

وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال ، وفي التشديد في المعاصي خطر وضع الأحاديث على المعصية وزعموا أن القصد منه صحيح . وهو خطأ محض ، إذ قال صلى الله عليه وسلم ^(١) «مَنْ كَذَبَ عَلَى تَعَمُّدٍ فَلْيَتَّخِذْ مَقْعَهُ مِنَ النَّارِ» وهذا لا يرتكب إلا لغفيرة ، ولا ضرورة . إذ في الصدق مندوحة عن الكذب . فقباورد من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها . وقول القائل إن ذلك قد تكرر على الأسماع وسقط وقعه ، وما هو جدي فوقعه أعظم : فهذا هو س إذ ليس هذا من الأغراض التي تقاوم عذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ، ويؤدي فتح بابه إلى أمور تشوش الشريعة ، فلا يقاوم خير هذا شره أصيلاً . والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا يقاومها شيء ، نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين

بيان

الخبر من الكذب بالمعاريض

قد نقل عن السلف : أن في المعاريض مندوحة عن الكذب . قال عمر رضي الله عنه : أما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب ! . وروى ذلك عن ابن عباس وغيره .

(١) حديث من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار : متفق عليه من طرق وقد تقدم في العلم

وإنما أرادوا بذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب . فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة ، فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ، ولكن التعريض أهون

ومثل التعريض ما روى أن مطرفا دخل على زياد ، فاستبطأه . فقتل برض وقال : استأثر التعريض

مارفعت جنبي مذ فارقت الأمير إلا مارفتني الله . وقال إبراهيم ، إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب ، فقل إن الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شيء . فيكون قوله : ما حرف نفي عند المستمع ، وعنده للإيهام

وكان معاذ بن جبل عاملا لعمر رضي الله عنه . فلما رجع ، قالت له امرأته ، ما جئت به مما يأتي به العمال إلى أهلهم ؟ وما كان قد أتاها بشيء . فقال : كان عندي ضاغط . قالت : كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبي بكر رضي الله عنه ، فبعت عمر مملوك ضاغطا ، وقامت بذلك بين نساءها ، واشتكت عمر . فلما بلغه ذلك ، دعا معاذًا وقال بمشت مملوك ضاغطا ؟ قال لم أجد ما أعتذر به إليها إلا ذلك . فضحك عمر رضي الله عنه ، وأعطاه شيئا ، فقال أرضها به . ومعنى قوله ضاغطا يعني رقيقا ، وأراد به الله تعالى

وكان النخعي لا يقول لابنته اشترى لك سكرا ، بل يقول أرايت لو اشتريت لك مبيكرا ؟ فإنه ربما لا يتفق له ذلك . وكان إبراهيم إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار ، قال للجارية ، قولي له أطلبه في المسجد ، ولا تقولي ليس ههنا ، كيلا يكون كذبا . وكان الشعبي إذا طلب في المنزل وهو يكرهه ، خط دائرة ، وقال للجارية ضني الأصبع فيها وقولي ليس ههنا

وهذا كله في موضع الحاجة . فأما في غير موضع الحاجة فلا . لأن هذا تقيهم للكذب وإن لم يكن اللفظ كذبا ، فهو مكروه على الجملة . كما روى عبد الله بن عتبة قال ، دخلت مع أبي علي عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه : فخرجت وعلي ثوب ، فجعل الناس يقولون ، هذا كساكه أمير المؤمنين ؟ فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرا . فقال لي أبي يابني اتق الكذب وما أشبهه . فنهاه عن ذلك ، لأن فيه تقرير لهم على ظن كاذب ، لأجل غرض المفارقة ، وهذا غرض باطل لا فائدة فيه . ثم للمعارض تباع لفرض خفيف ، كتطبيب

قلب النيز بالمزاح ، كقوله صلى الله عليه وسلم ^(١) « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَجُوزٌ » وقوله للأخرى
الذى فى عين زوجك يياض ، وللأخرى نحمالك على ولد البعير ، وما أشبهه

وأما الكذب الصريح ، كما فعله نعمان الأنصارى مع عثمان ، فى قصة الضرير ، إذ قال
له إنه نعمان ، وكما يمتاده الناس من ملاعبة الحق : بتفريدهم بأن امرأة قدر غبت فى تزويجك
فإن كان فيه ضرر يؤدى إلى إيذاء قلب ، فهو حرام . وإن لم يكن إلا لطايبته : فلا يوصف
صاحبها بالفسق ، ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه . قال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « لَا يَكْمُلُ
الْمَرْءُ الْإِيمَانَ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَحَتَّى يَجْتَنِبَ الْكَذِبَ فِي مَزَاجِهِ »

وأما قوله عليه السلام ^(٣) « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَسَكَّمُ بِالْكَلِمَةِ لِيُضْحِكَ بِهَا النَّاسَ يَهْوِي
بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِنَ الثُّرَيَّا » أراد به ما فيه غيبة مسلم ، أو إيذاء قلب ، دون محض المزاح
ومن الكذب الذى لا يوجب الفسق ، ما جرت به العادة فى المبالغة ، كقوله طابعتك
كذا وكذا مرة ، وقلت لك كذا مائة مرة ، فإنه لا يريد به تفهيم المرات بعددها ، بل تفهيم
المبالغة . فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذبا . وإن كان طلبه مرات لا يمتد
مثلا فى الكثرة ، لا يَأْثَمُ ، وإن لم تبلغ مائة . وبينهما درجات ، يترخص مطلق
اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب

ومما يعتاد الكذب فيه ، ويتساهل به ، أن يقال كل الطعام ، فيقول لا أشتهي . وذلك
بعض الكذب منهى عنه ، وهو حرام ، وإن لم يكن فيه غرض صحيح . قال مجاهد : ^(٤) قالت أسماء بنت
عميس : كنت صاحبة عائشة فى الليلة التى هياتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث لا يدخل الجنة عجزوز وحديث فى عين زوجك يياض وحديث نحمالك على ولد البعير تقدمت
الثلاثة فى الآفة العاشرة

(٢) حديث لا يستكمل المؤمن إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحق يجتنب الكذب فى مزاحه
ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب من حديث أبى عيسى الدمارى وقال فيه نظر وللشيخين
من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وللدارقطنى فى الموثق والمختلف من
حديث أنس هريرة لا يؤمن عبد الإيمان كله حتى يترك الكذب فى مزاحه قال أحمد بن حنبل منكر

(٣) حديث أن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوى بها أبعد من الثريا تقدم فى الآفة الثالثة
(٤) حديث مجاهد عن أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التى هياتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم - الحديث : وفيه قال لا تجمعن جونا وكذبا ابن أبى الدنيا فى الصحة والطهارة

ومع نسوة ، قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى إلا قدحاً من لبن ، فشرب ، ثم ناوله عائشة ، قالت فاستحييت الجارية ، فقلت لا تردى يدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خذى منه . قالت فأخذت منه على حياء ، فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك . ففعلن لا تشبهيه . فقال « لَا تَجْمَعْنَ جُوعاً وَكَذِباً » قالت فقلت يا رسول الله ، إن قالت إحداها شيء تشبهه لا أشتبهه ، أبعث ذلك كذباً ؟ قال « إِنَّ الْكَذِبَ أَيْسَرُ كَذِباً حَتَّى تُكْتَبَ الْكَذِبِيَّةُ كَذِبِيَّةً »

وقد كان أهل الورع يحتززون عن التسامح بمثل هذا الكذب ، قال الليث بن سعد كانت عينا سعيد بن المسيب ترمص ، حتى يبلغ الرمص خارج عينيه ، فيقال له لو مسح عيذك ، فيقول وأين قول الطبيب لا تمس عيذك ، فأقول لا أفعل ؟ وهذه مراقبة أهل الورع . ومن تركه النسل لسانه في الكذب عن حد اختياره ، فيكذب ولا يشعر .

وعن هوات التيمي قال جاءت أخت الربيع بن خثيم عائدة لابن له ، فابكت عليه ، فقالت كيف أنت يا بني ؟ فجلس الربيع وقال أرضعتيه ؟ قلت لا . قال ما عليك لو قلت يا ابن أخي فصدقت ومن العادة أن يقول يعلم الله فيما لا يلمه . قال عيسى عليه السلام : إن من أعظم الذنوب عند الله ، أن يقول المبد إن الله يعلم لما لا يعلم

وربما يكذب في حكاية المنام ، والإثم فيه عظيم ، إذ قال عليه السلام ^(١) « إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرْيَةِ أَنْ يُدْعَى الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ يُرَى عَيْنِيهِ فِي الْمَنَامِ مَا لَمْ يَرَوْهُ يَقُولَ عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ » وقال عليه السلام ^(٢) « مَنْ كَذَبَ فِي حُلُمٍ كَلَّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَقْعِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَيْسَ بِتَقَاوِدٍ بَيْنَهُمَا أَبَدًا »

في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وهو الصواب فإن أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالحبشة لكن في طبقات الأصباغين لأبي الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أسماء بنت عميس زفقتا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعض نساءه الحديث : فإذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خير فلا مانع من ذلك

(١) حديث أن من أعظم الفرية أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينيه في المنام ما لم يريا أو يقول على ما لم أقول : البخارى من حديث واثلة بن الأسقع وله من حديث ابن عمر من أفرى

الفرى أن يرى عينيه ما لم يريا

(٢) حديث من كذب في حله كلف يوم القيامة أن يقعد بين شعيرتين البخارى من حديث ابن عباس

الآفة الخامسة عشرة

الغيبة

مذمة الغيبة
في الكتاب
والسنة

والنظر فيها طويل ، فلنذكر أولاً مذمة الغيبة : وما ورد فيها من شواهد الشرع
وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه : وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة ، فقال تعالى
(وَلَا يَتَّبِعْ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ^(١))
وقال عليه السلام^(٢) « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْصَتُهُ » والغيبة تتناول
العرض ، وقد جمع الله بينه وبين المال والدم . وقال أبو هريرة ، قال عليه السلام^(٣) « لَا تَحَاسَدُوا
وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَنَابَرُوا وَلَا يَتَّبِعْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَكُونُوا عِبَادًا لِي إِخْوَانًا »
وعن جابر وأبي سعيد^(٤) « قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّا كُفْرٌ وَالْغَيْبَةُ
فَإِنَّ الْغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزَّانَا فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدِيزَنِي وَيَتُوبُ فَيُتُوبُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ وَإِنْ صَاحِبَ
الْغَيْبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهُ » وقال أنس^(٥) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« مَرَرْتُ لَيْلَةً أُسْرَى بِي عَلَى أَقْوَامٍ يَخْمَشُونَ وَجُوهَهُمْ بِأُظْفَارِهِمْ فَقُلْتُ يَا جَبْرِيلُ مَنْ
هَؤُلَاءِ قَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَنَابَرُونَ النَّاسَ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ » وقال سليم بن جابر^(٦) ، أثبت
النبي عليه الصلاة والسلام ، فقلت علمني خيرا أنتفع به . فقال « لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ
أَنْ تَصُبَّ مِنْ دُلُوكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَقِيِّ وَأَنْ تَتْلَى أَخَاكَ بِبَشِيرٍ حَسَنٍ وَإِنْ أَدْبَرَ فَلَا تَقْتَابِهْهُ »

﴿ الآفة الخامسة عشرة الغيبة ﴾

- (١) حديث كل السلم على السلم على السلم حرام دمه وماله وعرضه : مسلم من حديث أبي هريرة
- (٢) حديث أبي هريرة لا تحاسدوا ولا تباعدوا ولا تنابشوا ولا يتبع بعضكم بعضا كونوا عبادا لله اخوانا : متفق عليه من حديث
أبي هريرة وأنس دون قوله ولا يتبع بعضكم بعضا وقد تقدم في آداب الصحة
- (٣) حديث جابر وأبي سعيد إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا - الحديث : ابن أبي الدنيا في الصمت
وابن جبان في الضغائن وابن مردويه في التفسير
- (٤) حديث أنس مررت ليلة أسرى بي على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم - الحديث : أبو داود
مسندا ومرسلًا والمسند أصح
- (٥) حديث سليم بن جابر أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت علمني خيرا أنتفع الله به - الحديث :
أحمد في المسند وابن أبي الدنيا في الصمت واللفظ له ولم يقل فيه أحمد وإذا أدبر فلا
يقتابه وفي استادها ضعف

وقال البراء^(١) خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواقي في بيوتهم ، فقال : يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلْسَانُهُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ لَا تَقْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي جَوْفِ يَتِيهِ » وقيل أوحى الله إلى موسى عليه السلام ، من مات تابعا من النبية ، فهو آخر من يدخل الجنة . ومن مات مصرا عليها ، فهو أول من يدخل النار

وقال أنس ،^(٢) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم : فقال « لَا يُفْطِرَنَّ أَحَدٌ حَتَّى آذَنَ لَهُ » فصام الناس ، حتى إذا أمسوا ، جعل الرجل يبحى فيقول يا رسول الله ظلمات صائما فائذن لي لأفطر ، فيأذنه . والرجل ، والرجل ، حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتانان من أهلك ظلتا صائمتين ، وإنما يستحيان أن يأتياك ، فائذن لهما أن يفطرا . فأعرض عنه . صلى الله عليه وسلم ثم عاوده ، فأعرض عنه ثم عاوده ، فقال « إِنَّمَا لَمْ يَصُومَا وَكَيْفَ يَصُومُ مَنْ ظَلَّ نَهَارَهُ يَأْكُلُ كُلَّ لَحْمٍ النَّاسِ أَذْهَبَ فَرْهُمَا إِنْ كَانَتَا صَائِمَتَيْنِ أَنْ تَسْتَقِيَا » فرجع إليهما فأخبرهما ، فاستقاهتا ، فقادت كل واحدة منهما علفه من دم . فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ رَفِيتَا فِي بُطُونِهِمَا لَا كَلِمَتُمَا النَّارَ » وفي رواية ، أنه لما أعرض عنه . جاء بعد ذلك وقال : يا رسول الله ، والله إنهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا . فقال صلى الله عليه وسلم ،^(٣) « ائْتُونِي بِهِمَا » فجاءتا . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما ، فقال لأحدهما قبي . فقادت من قبيح ودم وصديد ، حتى ملأت القدح . وقال للأخرى قبي . فقادت كذلك . فقال إن هاتين صائمتا عما أحل الله لهما ،

(١) حديث البراء يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تقتابوا المسلمين - الحديث : ابن أبي الدنيا

هكذا ورواه أبو داود من حديث أبي بركة بسناد جيد

(٢) حديث أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم وقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام

الناس - الحديث : في ذكر اللزائين اللتين اغتابتا في صيامهما فقادت كل واحدة منهما علفه

من دم : ابن أبي الدنيا في البصيرتين وابن مردويه في التفسير من رواية يزيد الرقاشي عنه ويزيد ضعيف

(٣) حديث اللزائين المذكورتين وقال فيه إن هاتين صائمتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله

عليهما - الحديث : أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه رجل

لم يسم ورواه أبو يعلى في مسنده فاسقط منه ذكر الرجل اللهم

وأفطرتا على ما حرم الله عليهما ، جلست إحداهما إلى الأخرى ، فجعلتا تأكلان لحوم الناس وقال أنس .^(١) خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه ، فقال . إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا ، أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زينة يزنيها الرجل : وأرى الربا عرض المسلم

الغيبه وعذات
القبور

وفال جابر^(٢) ، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير ، فأتى على قبرين بمذب صاحباهما . فقال « لئنما لم يذباني ولا يذباني في كبير أما أحدهما فكان يفتاب الناس وأما الآخر فكان لا يستتره من بويله ، فدعا بريدة رطبة وأجر يدتين ، فكسرها : ثم أمر بكل كسرة ففرست على قبر . وقال « أما إنني سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو ما لم يبدأ » ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) ما عزا في الزنا ، قال رجل لصاحبه ، هذا أقص كما يقص الكتاب . فرضى الله عليه وسلم وهما منه بحيفة ، فقال ، « انتهشأ نهأ » فقالا يا رسول الله ، نهش جيفة ! فقال « ما أصبنا من أخيكما أثنان من هذه » .

وكان الصحابة رضى الله عنهم ، يتلاقون بالبشر ، ولا يفتابون عند الغيبة . ويرون ذلك أفضل الأعمال ، ويرون خلافه عادة المنافقين . وقال أبو هريرة^(٤) « من أكل لحم أخيه في الدنيا ، قرب إليه لحه في الآخرة ، وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا ، فبأكله ، فينضج ويكاج . وروى مرفوعا كذلك . وروى أن رجلين كانا قاعدتين عند باب من أبواب المسجد ،

(١) حديث أنس خطبنا فذكر الربا وعظم شأنه - الحديث : وفيه وارى الربا عرض الرجل المسلم . ابن أبي الدنيا بسند ضعيف .

(٢) حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين بمذب صاحباهما فقال أما نهأ لم يذباني وما يذباني في كبير أما أحدهما فكان يفتاب الناس - الحديث : ابن أبي الدنيا في الصحة وأبو العباس المصطفى في كتاب الآداب بإسناد جيد وهو في الصحيحين من حديث ابن عباس لأنه ذكر فيه التهمة بدل الغيبة وللطائفة فيه أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ولأحمد والطبراني من حديث أبي بكرة نحوه بإسناد جيد .

(٣) حديث قوله للرجل الذي ذل لصاحبه في حق الرجوم هذا أقص كما يقص الكتاب فريضة فقال انتهشأ نهأ - الحديث : أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة نحوه بإسناد جيد .

(٤) حديث أبي هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا - الحديث : ابن مردويه في التفسير مرفوعا وموقوفا وفيه عهد بن إسحاق رواه بالعمنة .

فر بهما رجل كان محتثا فترك ذلك . فقال لقد بقي فيه منه شيء وأقيمت الصلاة ، فدخل ، نصليا مع الناس ، فحك في أنفه ، مما قال لأتباعه ، فأولاه ، فأمرهما أن يميذا الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا سائمين . وعن مجاهد ، أنه قال في (وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ مُلْزِقٌ)^(١) الهمة الطعان في الناس ، واللمزة الذي يأكل لحوم الناس . وقال قتادة ، ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أمثلاث ، ثلث من النية ، وثلث من النية ، وثلث من البول . وقال الحسن ، والله للنية أسرع في دين الرجل المؤمن من الأكلة في الجسد . وقال بعضهم ، أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ، ولكن في الكف عن أعراض الناس . وقال ابن عباس ، إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك ، فاذكر عيوبك . وقال أبو هريرة ، يصر أحدكم القذى في عين أخيه ، ولا يصر الجذع في عين نفسه . وكان الحسن يقول ، ابن آدم ، إنك لن تصيب حقيقة الأيمان حتى لانيب الناس بعيب هو فيك ، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب ، فتصلحه من نفسك ، فإذا فعلت ذلك ، كانت شفلك في خاصة نفسك ، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا . وقال مالك بن دينار ، مر عيسى عليه السلام ، ومعه الخواريون ، بحيفة كلب . فقال الخواريون ، ما أنتن ربح هذا الكلب ؟ فقال عليه الصلاة والسلام ، ما شدد يياض أسنانه . كأنه صلى الله عليه وسلم نهام عن غيبة الكلب ونههم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه . وسمع علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلا يشتاب آخر ، فقال له إياك والنية ، فإنها إدام كلاب الناس وقال صر رضي الله عنه : عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء ، وإياكم وذكر الناس فإنه داء . نسأل الله حسن التوفيق لطاعته

بيانه

معنى النية وحدودها

اعلم أن أحد النية أن تذكر أخاك بما يكرهه لوبلته ، سواء ذكرته بنقص في بدنه أو نسبه ، أو في خلقه أو في فعله ، أو في قوله ، أو في دينه ، أو في دنياه ، حتى في ثوبه ، وداره ، ودابته ، أما البدن ، فكذلك كرك العيش ، والحول ، والقرع ، والقصر ، والطول ، والسواد ،

والصفرة، وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان . وأما النسب، فبأن تقول أبوه بنطى، أو هندي، أو فاسق، أو خسيس، أو إسكاف، أو زبال، أو شيء مما يكرهه كيفما كان . وأما الخلق، فبأن تقول، هو سيء الخلق، بخيل، متكبر مرء، شديد الغضب، جبان، عاجز، ضعيف القلب، متهور، وما يجري مجراه . وأما في أفعاله المتعلقة بالدين، فكقولك هو سارق، أو كذاب، أو شارب خمر، أو خائن، أو ظالم، أو متهاون بالصلاة، أو الزكاة، أو لا يحسن الركوع، أو السجود، أو لا يحترز من النجاسات، أو ليس باراً بالديه، أو لا يضع الزكاة موضعها، أو لا يحسن قسمتها، أو لا يحرس صومه عن الرفث، والغيبة، والتعرض لأعراض الناس . وأما فعله المتعلق بالدنيا، فكقولك إنه قليل الأدب، متهاون بالناس، أو لا يرى لأحد على نفسه حقاً، أو يرى لنفسه الحق على الناس، أو أنه كثير الكلام، كثير الأكل، نؤم، ينام في غير وقت النوم، ويحاسب في غير موضعه . وأما في ثوبه، فكقولك إنه واسع الكم، طويل الذيل، وسخ الثياب

وقال قوم: لا غيبة في الدين، لأنه ذم ما ذمه الله تعالى، فذكره بالمعاصي، وذمه بها يجوز، بدليل ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) ذكرت له امرأة، وكثرة صلاحها وصومها، ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها، فقال « هي في النار »^(٢) وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها بخيلة، فقال « قَبِيحٌ خَيْرُهَا إِذَا » فهذا فاسد، لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال، ولم يكن غرضهم التنقيص ولا يحتاج إليه في غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم . والدليل عليه، إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو ممتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد الغيبة . وكل هذا، وإن كان صادقاً فيه، فهو به ممتاب، عاص لربه، وآكل لحم أخيه، بدليل ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم^(٣) قال « هَلْ تَذَرُونَ مَا لِلنَّبِيِّ » قالوا الله ورسوله أعلم . قال « ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُهُ »

الغيبه
في السب

(١) حديث ذكر له امرأة وكثرة صومها وصلاتها لكن تؤذي جيرانها فقال هي في النار : ابن حبان والحاكم ومصحح من حديث أبي هريرة

(٢) حديث ذكر امرأة أخرى بأنها بخيلة قال فلخيرها إذا : الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن علي مرسل ورويناه في أمالي ابن شيمون هكذا

(٣) حديث هل تدرون ما للنبية قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكرهه : الحديث : مسلم من حديث أبي هريرة

ومن ذلك المحاكاة ، كأن يمشى متعارجا ، أو كما يمشى ، فهو غيبة ، بل هو أشد من الغيبة ، لأنه أعظم في التصور والتفهم . ولما رأى صلى الله عليه وسلم عائشة حاككة امرأة قال (١) « مَا يَسُرُّنِي أَتْنِي حَاكِئَتٌ إِنْسَانًا وَلِي كَذَا وَكَذَا »

وكذلك الغيبة بالكتابة ، فإن القلم أحد اللسانين . وذكر المصنف شخصا معينا ، وتهجين كلامه في الكتاب غيبة ، إلا أن يقترب به شيء من الأعذار المحوجة إلى ذكره ، كما سيأتي بيانه . وأما قوله ، قال قوم كذا ، فليس ذلك غيبة . إنما الغيبة التعرض لشخص معين إما محي وإما مبين ومن النية أن تقول بعض من مر بنا اليوم ، أو بعض من رأيته ، إذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا ، لأن المحذور تفهيمه ، دون ما به التفهم . فأما إذا لم يفهم عنه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (٢) « إِذَا كَرِهَ مِنْ إِنْسَانٍ شَيْئًا ، قَالَ « مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا وَكَذَا » فَكَانَ لَا يَمِينُ . وقولك بعض من قدم من السفر ، أو بعض من يدعى العلم ، إن كان معه قرينة تفهم عين الشخص ، فهي غيبة

أُخْبِتُ أَنْوَاعَ
الغَيْبَةِ

وأخبت أنواع الغيبة غيبة القراء المرائين . فإنهم يفهمون المقصود ، على صيغة أهل السلاح ليظهروا من أنفسهم التحفف عن النية ، ويفهمون المقصود . ولا يدرون بحيلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين ، النية والرياء . وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان ، فيقول ، الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان ، والتبذل في طلب الخطام . أو يقول ، نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يعصمنا منها . وإنما قصده أن يفهم عيب الغير ، فيذكره بصيغة الدعاء . وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته ، فيقول ما أحسن أحوال فلان ، ما كان يقتصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور ، وابتلى بما يتلى به كلنا ، وهو قلة الصبر . فيذكر نفسه ، ووه مقصوده أن يذم غيره في ضمن ذلك ، ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين ، بأن يذم نفسه . فيكون مقربا ومرائيا ، ومزكيا نفسه . فيجمع بين ثلاث فواحش ، وهو بحيلة ، يظن أنه من الصالحين المتعففين عن النية . ولذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل ، إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فإنه يتبعهم ، ويحبط بمكايده عملهم ، ويضحك عليهم ، ويسخر منهم

(١) حديث ما يسرني أني حاككة تنضم في الآفة الحادية عشرة

(٢) حديث كان إذا كره من إنسان شيئا قال ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا - الحديث : أبو داود من

حديث عائشة دون قوله وكان لا يمينه ويرجاله رجال الصحيح

ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان ، فلا يتنبه له بعض الحاضرين ، فيقول سبحانه الله ما أعجب هذا ، حتى يصني إليه ، ويعلم ما يقول . فيذكر الله تعالى ، ويستعمل اسمه آله أنه في تحقيق خبثه ، وهو يمتن على الله عز وجل بذكره ، جهلانه وغرورا . وكذلك يقول ، ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به . نسأل الله أن يروح نفسه . فيكون كاذبا في دعوى الاعتماد ؛ وفي إظهار الدعاء له . بل لو تعد الدعاء لأخفاء في خلوته عقيب صلاته . ولو كان ينتم به لا عثم أيضا بإظهار ما يكرمه . وكذلك يقول : ذلك المسكين قد بلى بأفة عظيمة ، تاب الله علينا وعليه . فهو في كل ذلك يظهر الدعاء : والله طلع على خبث ضميمه ، وخفي قصده . وهو لجله لا يدرى أنه قد تعرض لملت أعظم مما تعرض له الجهال إذا جاہروا ومن ذلك الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التمعج . فإنه إنما يظهر التمعج ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة ؛ فيندفع فيها ، وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق . فيقول ، عجب ما علمت أنه كذلك ، ما عرفته إلى الآن إلا بالخبر ، وكنت أحسب فيه غير هذا ، عافانا الله من بلائه . فإن كل ذلك تصديق للمغتاب ، والتصدق بالغيبة غيبة ، بل الساكت شريك المغتاب : قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « الْمُسْتَمِعُ أَحَدُ الْمُغْتَابَيْنِ » وقد روى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ^(٢) أن أحدهما قال لصاحبه : إن فلانا لنؤم ، ثم إنهما طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليأكل به الخبز . فقال صلى الله عليه وسلم « قَدْ ائْتَدَمْتُمَا » فقالا ما ندله . قال « بَلَى إِنَّكُمْ أَكَلْتُمَا مِنْ خَلِيقِ أَخِيكُمَا » فنظر كيف جرمهما ، وكان القائل أحدهما ، والآخر مستمعا . وقال الرجلين اللذين قال أحدهما : اقصص الرجل كما يقصص الكلب ^(٣) « انْهَسَا مِنْ هَذِهِ الْجَيْفَةِ » فجمع بينهما . فلمستم لا يخرج من إثم الغيبة ، إلا أن ينكر بلسانه : أو يقبله إن خاف ، وإن قدر على القيام ، أو قطع الكلام بكلام آخر ، فلم يفعل

(١) حديث السميع أحد الغتابين : الطبراني من حديث ابن عمر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة وهو ضميم

(٢) حديث أن أبا بكر وعمر قل أحدهما لصاحبه إن فلانا لنؤم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال قد ائتممتما قتالا ما تعلم فقال بلى ما أكلتما من لحم صاحبكما : أبو العباس الدغولي في

الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسل نحوه

(٣) حديث أبرشا من هذه الية قاله الرجلين اللذين قال أحدهما اقصص كما يقصص الكلب : تقدم

قبل هذا بأني عشر حديثا

٤٠. وإن قال باسائه اسكت ، وهو مشته لذلك بقلبه ، فذلك نفاق ، ولا يخرج منه من الإثم .
 ما لم يكرهه بقلبه . ولا يكفي في ذلك أن يشير باليد أى اسكت ، أو يشير بتأججه وجهه .
 فإن ذلك استحقاق للمذكور ، بل ينبغي أن يعظم ذلك ، فيذب عنه صريحا . وقال صلى الله عليه وسلم :
 « مَنْ أَذَلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ قَلَمٌ يَنْصُرُهُ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نَصْرِهِ أَذَلَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُسِ الْخَلَائِقِ » وقال أبو الدرداء ،^(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ بِالْقَيْبِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَرُدَّ عَنْ عَرَضِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال أيضا
 « مَنْ ذَبَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ بِالْقَيْبِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَمْتَقَهُ مِنَ النَّارِ » وقد ورد
 في نصرة المسلم في الغيبة ، وفي فضل ذلك أخبار كثيرة ، أوردناها في كتاب آداب الصحبة
 وحقوق المسلمين ، فلا نطول بإعادتها

بيان

الأسباب الباعثة على الغيبة

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ، ولكن يجمعها أحد عشر سببا ، ثمانية منها أطردها
 في حق العامة ، وثلاثة تحتص بأهل الدين والخاصة ، أما الثمانية
 فالأول : أن يشفى الغيظ ، وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه ، فإنه إذا هاج غضبه ،
 يشتت بذكر مساويه ، فيسبق اللسان إليه بالطبع ، إن لم يكن ثمدين وازع . وقد يمتنع تشفى
 الغيظ عند الغضب ، فيحتقن الغضب في الباطن ، فيصير حقا تابئا ، فيكون سببا دائما لذكر
 المساوى . فالخذ والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة

المفسر الغضب

- (١) حديث من أذلَّ عنده مؤمن بهو قادر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رؤس
 الخلائق : الطبراني من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن لهيعة
 (٢) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة
 ابن أبي الدنيا في الصمت وفيه شهر بن حوشب وهو عند الطبراني من وجه آخر بلفظ
 رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وفي رواية له كان له حبا من النار وكلاهما ضعيف
 (٣) حديث من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يمتقه من النار : أحمد والطبراني من
 رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد

الثاني : موافقة الأقران ، ومجامة الرفقاء ، ومساعدتهم على الكلام . فإنهم إذا كانوا يتفكحون بذكر الأعراض ، فيرى أنه لو أنكر عليهم ، أو قطع المجلس ، استنقلوه ، وانفروا عنه ، فيساعدتهم ، ويرى ذلك من حسن المعاشرة ، ويظن أنه بمجاملة في الصحة . وقد ينضب رفقائه ، فيحتاج إلى أن ينضب لفضيحتهم ، إظهارا للمساهمة في السراء والضراء ، فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي

الثالث : أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده ، ويطول إساؤه عليه ، أو يبيع حاله عند محنتهم أو يشهد عليه بشهادة ، فيبادره قبل أن يبيع هو حاله ، ويظن فيه يستقطر شهادته ، أو يتبدى بذكر ما فيه صادقا ، ليكذب عليه بده ، فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهده ويقول ، ما من عادتى الكذب ، فإني أخبركم بكذا وكذا من أحواله ، فكان كما قلت

الرابع : أن ينسب إلى شيء ، فيريد أن يتبرأ منه ، فيذكر الذى فعله ، وكان من حقه أن يرى نفسه ، ولا يذكر ائدى فعل ، فلا ينسب غيره إليه ، أو يذكر غيره بأنه كان مشاركا له فى الفعل ، ليمهد بذات عذر نفسه فى فعله

الخامس : إرادة التصنع والمباعاة ، وهو أن يرفع نفسه بتقويض غيره ، فيقول فلان جاهل ، وفهمه ركيك ، وكلامه ضعيف ، وغرضه أن يثبت فى ضمن ذلك فضل نفسه ، ويريه أن أعلم منه ، أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه ، فيقدح فيه لذلك

السادس : الحسد ، وهو أنه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ، ويحبونه ، ويكرمونهم فيريد زوال تلك النعمة عنه ، فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه ، فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس ، حتى يكفوا عن كرامته ، والثناء عليه ، لأنه يتقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه ، وإكرامهم له ، وهذا هو عين الحسد ، وهو غير النضب والحقد ، فإن ذلك يستدعى جنابة من المغضوب عليه ، والحسد قد يكون مع الصديق المحسن ، والرفيق الوافق السابغ : اللعب ، والهزل ، والمطايبة ، وتزجية الوقت بالضحك ، فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المذاكرة ، ومنشؤه التكبر والعجب

الثامن : السخرية والاستهزاء ، استحقار الله ، فإن ذلك قد يجرى في الحضور ويمر أيضا في الغيبة . ومنشؤه التكبر . واستعصار المستهزأ به

البصيرة
والتمحيص

وأما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة : فهي أعمسها وأدقها ، لأنها شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات ، وفيها خير ، ولكن شاب الشيطان بها الشر

الاول : أن تنبئ من الدين داعية التعجب في إنكار المنكر والخطأ في الدين ، فيقول ما أعجب ما رأيت من فلان ، فإنه قد يكون به صادقا ، ويكون تعجبه من المنكر ، ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه ، فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه ، فصار به مقتبا وتما من حيث لا يدري . ومن ذلك قول الرجل : تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة ، وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل

إظهار التعجب
منه حال
الخطأ

الثاني : الرحمة ، وهو أن يتم بسبب ما يتلى به ، فيقول مسكين فلان قد غنم أمره وما ابتلى به ، فيكون صادقا في دعوى الاغتمام ، ويليه النعم عن الحذر من ذكر اسمه ، فيذكره فيصير به مقتبا ، فيكون غمه ورحمته خيرا ، وكذا تعجبه ، ولكن ساقه الشيطان إلى شر من حيث لا يدري ، والترحم والاعتمام يمكن دون ذكر اسمه ، فيهبجه الشيطان على ذكر اسمه ليعطل به ثواب اغتمامه وترحمه

إظهار الرمة

الثالث : الغضب لله تعالى ، فإنه قد يغضب على منكر قارفه إنسان إذا رآه أو سمعه ، فيظهر غضبه ، ويذكر اسمه . وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه ، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يظهره على غيره . أو يستر اسمه ، ولا يذكره بالسوء

الغضب لله
تعالى

فهذه الثلاثة مما ينمض دركها على العلماء فضلا عن الدوام . فإنهم يظنون أن التعجب والرحمة ، والغضب إذا كان لله تعالى ، كان عذرا في ذكر الاسم ، وهو خطأ . بل المارخص في النية حاجات مخصوصة ، لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم ، كما سيأتي ذكره

روى عن عامر بن وائلة ^(١) أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم عليهم ، فردوا عليه السلام . فلما جاوزهم ، قال رجل منهم ، إني لأبئض هذا في الله تعالى

(١) حديث عامر بن وائلة أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبئض هذا في الله - الحديث - بطوله وفيه قال قم فله خير منك - أحمد بإسناد صحيح

فقال أهل المجلس ، لبئس ماقلت . والله لننبئته . ثم قالوا يا فلان ، لرجل منهم ، قم فأذكره وأخبره بما قال . فأذكره رسولهم . فأخبره . فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحكى له ما قال ، وسأله أن يدعوه له ، فدعاه وسأله . فقال قد قلت ذلك . فقال صلى الله عليه وسلم « لِمَ تَبْقُصُهُ » فقال أنا جاره ، وأنا به خابر . والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه المكتوبة . قال فسأله يا رسول الله ، هل رأي أخرتها عن وقتها ؟ أو أسأت الوضوء لها ؟ أو الركوع أو السجود فيها ؟ فسأله فقال لا . فقال والله ما رأيته يصوم شهرا قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر . قال فسأله يا رسول الله ، هل رأي تظ أظفرت فيه ؟ أو نقصت من حقه شيئا ؟ فسأله عنه . فقال والله ما رأيته يعطى سائلا ولا مسكينا قط ، ولا رأيته ينفق شيئا من ماله في سبيل الله ، إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر . قال فسأله هل رأي نقصت منها ؟ أو ما كست فيها طالعها الذي يسألها ؟ فسأله فقال لا . فقال صلى الله عليه وسلم للرجل « قُمْ فَلَمَلَهُ خَيْرٌ مِنْكَ »

بيانه

العلاج الذي به يمنع اللسان عن النبية

اعلم أن مساوى الأخلاق كلها ؛ إنما تعالج بمعجون العلم والعمل ؛ وإنما علاج كل علة بمضادة سببها ، فلنفحص عن مبيها

وعلاج كف اللسان عن النبية على وجهين : أحدهما على الجملة . والآخر على التفصيل أما على الجملة ، فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيته ، بهذه الأخبار التي رويها ؛ وأن يعلم أنها محبطة لحسناته يوم القيامة ، فإنها تنقل حسناته يوم القيامة إلى من اغتابه ؛ بدلا عما استباحه من عرضه . فإن لم تكن له حسنات ، نقل إليه من سيئات خصمه ، وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل ؛ ومشبه عنده بآكل الميتة . بل العبد يدخل النار بأن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته ، وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه ؛ فيحصل بها الرجحان ، ويدخل بها النار . وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله ، وذلك

بعد المحاسبة والمطالبة ، والسؤال والجواب والحساب . قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « مَا النَّارُ فِي الْيَسْرِ بِأَسْرَعَ مِنَ النَّبِيَّةِ فِي حَسَنَاتِ الْعَبْدِ »

.. وروى أن رجلا قال للحسن : بلغني أنك تفتابني . فقل ما بلغ من قدرك عندي أني أحكمك في حسناتي . فهما آمن العبد بما ورد من الأخبار في النبية ، لم يطق لسانه بها خوفا من ذلك وينفعه أيضا أن يتدبر في نفسه ؛ فإن وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه . وذكر قوله صلى الله عليه وسلم ^(٢) « طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ » ومهما وجد عيبا ، فينبغي أن يستحي من أن يترك ذم نفسه ، ويذم غيره . بل ينبغي أن يتحقق أن عجز غيره عن نفسه ، في التنزه عن ذلك العيب ، كعجزه . وهذا إن كان ذلك عيبا تهاق بفعله واختياره . وإن كان أصرا خلقيا ، فالذم له ذم للخلق ، فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها . قال رجل لحكيم يافيع الوجه ، قال ما كان خاق وجهي إلى فأحسنه . وإذا لم يجد العبد عيبا في نفسه ، فليشكر الله تعالى ؛ ولا يلوث نفسه بأعظم العيوب ، فإن ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب . بل لو أنصف لعل أن ظنه بنفسه أنه يرى من كل عيب ، جهل بنفسه ، وهو من أعظم العيوب . وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بنبيته ، كتأله بنبية غيره له . فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يتتاب ، فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه . فهذه الحاجات جملة أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على النبية ، فإن علاج الملة بقطع سببها وقد قدمنا الأسباب

أما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب ، وهو أن يقول إني إذا أهديت غضيبي عليه ، فلعن الله تعالى يعصى غضبه على بسبب النبية ، إذ نهاي عنها فاجترأت على نهيه ، واستخففت بزرجه . وقد قال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « إِنْ لِحِمِّمْ أَبَا لَا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَّا مَنْ شَفَى غِيْظَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٤) « مَنْ اتَّقَى رَبَّهُ كَلَّ لِسَانُهُ وَلَمْ يَشْفِ غِيْظَهُ »

(١) حديث ماالتار في اليسر بأسرع من النبية في حسنات العبد : لم أجده أصلا

(٢) حديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس : البزار من حديث أنس بسند ضعيف

(٣) حديث ان لجهنم بابا لا يدخل منه إلا من شفى غيظه بتعصية الله : البراء وابن أبي الدنيا وإبرهedy والبيهقي والنسائي من حديث ابن عباس بسند ضعيف

(٤) حديث من اتقى ربه كل لسانه ويشف غيظه : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف ورويناه في الإبريقين الإلهامية للسلفي

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُخَضِّبَهُ دَعَاَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ أَلْقِيَامِهِ عَلَى رُؤُسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَى الْحَوَرِ شَاءَ» ، وفي بعض الكتب المنزلة على بعض النبيين ، يابن آدم أذكرنى حين تمضب أذكرك حين أغضب ، فلا أحققك فيمن أحق وأما الموافقة : فيأن تعلم أن الله تعالى يفضب عليك ، إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن توقر غيرك ، وتحقر مولاك ، فترك رضاك لرضا ، إلا أن يكون غضبك لله تعالى . وذلك لا يوجب أن تذكر المفضوب عليه بسوء ، بل ينبغى أن تمضب لله أيضا على رفعتك إذا ذكره بالسوء ، فإنهم عصوا ربك بأغص الذنوب ، وهى الغيبة وأما تنزيه النفس بنسبة الغير إلى الخيانة ، حيث يستغنى عن ذكر الغير ، فعامله بأن تعرف أن التمرض لمت الخالق ، أشد من التمرض لمت المخلوقين . وأنت بالنية متمرص لسخط الله يقينا ، ولا تدري أنك تتخلص من سخط الناس أم لا ، فتخلص نفسك فى الدنيا بالتوم ، وتهلك فى الآخرة وتحسر حسناتك بالحقيقة . ويحصل لك ذم الله تعالى نقدا ، وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة ، وهذا غاية الجهل والخذلان .

وأما عذر كقولك إن أكلت الحرام ففلان يأكله ، وإن قبلت مال السلطان ففلان يقبله ، فهذا جهل . لأنك تمتذر بالافتداء بمن لا يجوز الاقتداء به . فإن من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به ، كائن من كان . ولو دخل غيرك النار ، وأنت تقدر على أن لا تدخلها ، لم توافقه . ولو وافقته لسفه عقلك . ففما ذكرته غيبة ، وزيادة معصية ، أضفتها إلى ما اعتذرت عنه ، وسجبت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغياوتك ، وكنت كالشاة تنظر إلى المعزى تردى نفسها من قلة الجبل ، فهى أيضا تردى نفسها ، ولو كان لها لسان ناطق بالمعذر ، وصرحت بالمعذر ، وقالت المعز أكيس منى ، وقد أهلكت نفسها ، فكذلك أنا أفعل ، لكنك تضحك من جهلها . وحالك مثل حالها . ثم لا تعجب ولا تضحك من نفسك

وأما قصدك المباهاة وتركية النفس ، بزيادة الفضل بأن تقدح فى غيرك ، فينبغى أن تعلم أنك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله ، وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر .

(١) حديث من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفقه - الحديث : أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس

وربما تنقص اعتقادهم فيك ، إذا عرفوك بثلب الناس ، فتكون قد بدت ما عند الخالق يقينا ،
 ما عند المخلوقين وهما ، ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل ، لكانوا لا يفتنون عنك من الله شيئا
 الحسد وأما النية لأجل الحسد ، فهو جمع بين عذابين ، لأنك حسدته على نعمة الدنيا ، وكنت
 في الدنيا مذبذبا بالحسد : فاقنعت بذلك ، حتى أضفت إليه عذاب الآخرة ، فكنت خاسرا
 نفسك في الدنيا ، فصررت أيضا خاسرا في الآخرة ، لتجمع بين النكالين . فقد قصدت
 محسودك ، فأحببت نفسك ، وأهديت إليه حسناتك ، فإذا أنت صديقه وعدو نفسك ،
 إذ لا تفره غيبتك وتضرك ، وتنفعه إذ تنقل إليه حسناتك ، أو تنقل إليك سيئاته ولا تنفعك
 وقد جمعت إلى خبث الحسد جهل الحماقة . وربما يكون حسدك وقد حك ، سبب انتشار
 فضل محسودك ، كما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

والاستهزاء فقصودك منه إخراج غيرك عند الناس ، بإخراج نفسك عند الله تعالى ،
 وعند الملائكة والنبين عليهم الصلاة والسلام . فلو تفكرت في حسرتك ، وجنائتك ،
 وخجلتك ، وخزيك يوم القيامة ، يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق إلى النار ،
 لأدهشك ذلك عن اخزاء صاحبك . ولو عرفت حالك ، لكنت أولى أن تضحك منك ،
 فأنك سخرت به عند نفر قليل ، وعرضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة يديك على ملا من
 الناس ، ويسوفك تحت سيئاته ، كما يساق الحمار إلى النار ، مستهزأ بك ، وفرحا بخزيك ،
 ومسرورا بنصرة الله تعالى إياه عليك ، وتسارعه على الانتقام منك

وأما الرحمة له على إثمه ، فهو حسن ، ولكن حسدك إبليس ، فأضلك ، واستنطقك بما ينقل
 من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك ، فيكون جبرا لإثم المرحوم ، فيخرج عن كونه
 مرحوما ، وتقلب أنت ، مستحقا لأن تكون مرحوما ، إذ حبط أجرك ، ونقصت من حسناتك
 وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب النية ، وإنما الشيطان حبيب إليك الغيبة ، ليحبط
 أجر غضبك ، وتصير ممرضا لمقت الله عز وجل بالنية
 وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة ، فتعجب من نفسك أنت ، كيف أهلك

نفسك ودينك بدين غيرك أو بدنياء : وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا ، وهو أن يبت^١ الله سترك ، كما هتكت بالتهجب ستر أخيك .

فإذا عالج جميع ذلك المعرفة فقط ، والتحقيق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان .
فمن قوى إيمانه بجميع ذلك ، انكف أسانه عن الغيبة لاحتالة

بيان

تحريم الغيبة بالقلب

اعلم أن سوء الظن حرام : مثل سوء القول . فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بأسانك بمساوي الغير ، فليس لك أن تحدث نفسك وسمى الظن بأخيك . ولست أعني به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء . فأما الخواطر وحديث النفس ، فهو موقوف عنه . بل إنك أيضاً موقوف عنه . ولكن المنهى عنه أن يظن والظن عبارة عما تركن إليه النفس ، ويعيل إليه القلب . فقد قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ^(١)) . وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب ، فليس لك أن تعتقد في غيرك سواً إلا إذا انكشف لك ، ببيان لا يقبل التأويل ، فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته . وما لم تشاهده بعينك ، ولم تسمعه بأذنك : ثم وقع في قلبك : فأما الشيطان بقلبه وإليك ، فيذنبى أن تكذبه ، فإنه أفسق الفساق . وقد قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِهِ ^(٢)) فلا يجوز تصديق إبليس : وإن كان ثم غيلة تدل على فساد : واحتمل خلافه ، لم يميز أن تصدق به ، لأن الفاسق يتصور أن يصدق في خبره ، ولكن لا يجوز لك أن تصدق به . حتى أن من استنكف فوجد منه رائحة الخمر ، لا يجوز أن يحد . إذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بالخمر وجهاً : وما شربها ، أو حمل عليه قهراً . فكل ذلك لاحالة دلالة محتملة

فلا يجوز تصديقها بالقلب ، وإساءة الظن بالمسلم بها . وقد قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « إِنْ أَلْفَ حَرَمٍ مِنَ الْمُسْلِمِ دَمَةٌ وَمَا لَهُ وَأَنْ يُظَنَّ بِهِ ظَنُّ السَّوِّءِ » فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال ، وهو نفس ، شاهدته ، أو دينة عادلة . فإذا لم يكن كذلك ، وخطر لك وسواس سوء الظن ، فينبغي أن تدفعه عن نفسك ، وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان : وأن ما رأيت منه يحتمل الخير والشر .

فإن قلت : فبماذا يعرف عقد الظن ، والشكوك محتاج ، والنفس تحدث فتقول : أماره عقد سوء الظن ، أن يتغير القلب معه عما كان : فيفر عنه نفورا ما ، ويستثقله ، ويفتر عن مراعاته وتفقدته وإكرامه ، والاعتظام بسببه ، فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه . وقد قال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « ثَلَاثٌ فِي الْمُؤْمِنِ وَلَهُ مِنْهُنَّ خُرْجٌ فَخَرَجَهُ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ أَنْ لَا يُحَقِّقَهُ ، أَيْ لَا يَحْقِيقَهُ فِي نَفْسِهِ بِمَقْدٍ وَلَا فِعْلٍ ، لَا فِي الْقَلْبِ وَلَا فِي الْجَوَارِحِ . أَمَا فِي الْقَلْبِ ، فَيُتَنَبَّرُ إِلَى الْغَفْرِ وَالْكَرَامَةِ . وَأَمَا فِي الْجَوَارِحِ ، فَبِالْعَمَلِ بِمُوجِبِهِ ، وَالشَّيْطَانُ قَدْ يقرر عَلَى الْقَلْبِ بِأَدْنَى غِيْلَةٍ مَسَاءَةَ النَّاسِ ، وَيَلْقَى إِلَيْهِ أَنْ هَذَا مِنْ فَطْنَتِكَ ، وَسُرْعَةِ فِهْمِكَ ، وَذَكَائِكَ ، وَأَنْ الْمُؤْمِنَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَهُوَ عَلَى التَّحْقِيقِ نَاضِرٌ بِرُورِ الشَّيْطَانِ وَغُلْمَتِهِ . وَأَمَا إِذَا أَخْبَرَكَ بِهِ عَدْلٌ ، فَالْظَّنُّ إِلَى تَصْدِيقِهِ ، كُنْتَ مَعذُورًا . لِأَنَّكَ لَوْ كَذَبْتَهُ لَكُنْتَ جَانِيًا عَلَى هَذَا الْعَدْلِ : إِذْ ظَنَنْتَ بِهِ الْكَذِبَ ، وَذَلِكَ أَيْضًا مِنْ سُوءِ الظَّنِّ ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَحْسِنَ الظَّنَّ بِوَاحِدٍ وَتَسِيءَ بِالْآخَرِ . نَعَمْ يَنْبَغِي أَنْ تَبْحَثَ هَلْ بَيْنَهُمَا عِدَاوَةٌ وَمَحَاسِنَةٌ وَتَعْنَتٌ ، فَتَطْرُقَ التَّهْمَةُ بِسَبَبِهِ ^(٣) ، فَقَدْ رَدَّ الشَّرْعُ شَهَادَةَ الْأَبِ الْعَدْلِ لِلْوَلَدِ لِلتَّهْمَةِ . وَرَدَّ شَهَادَةَ الْعَدُوِّ . فَلَاكَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ تَتَوَقَّفَ ، وَإِنْ كَانَ عَدْلًا ، فَلَا تَصْدُقْهُ وَلَا تَكْذِبْهُ .

عروة عقد
سوء الظن

(١) حديث أن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن بسوء الظن في الشيء في الشعب من حديث ابن عباس

بسنن ضعيف ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر

(٢) حديث ثلاث في المؤمن وله منهن خرج الطبراني من حديث حارثة بن النعمان بسنن ضعيف

(٣) حديث رد الشرح شهادة لواء العدل وشهادة العدو : الترهذي من حديث عائشة وضعفه لا يجوز شهادة خائف ولا خائفة ولا جلود حدا ولا ذي عمر لأخيه وفيه ولا ظن في ولاء ولا قرابة ولأبي داود وابن ماجه باسنا جيد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة وذى النمرة على أخيه

ولكن تقول في نفسك ، المذكور حاله كان عندى فى ستر الله تعالى ، وكان أمره محجوباً عني ، وقد بقي كما كان ، لم ينكشف لى شيء من أمره

وقد يكون الرجل ظاهره العدالة ، ولا محاسبة بينه وبين المذكور ، ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس ، وذكر مساوئهم . فهذا قد يظن انه عدل ، وليس بعدل . فإن المختاب فاسق . وإن كانت ذلك من عادته ردت شهادته . إلا أن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر النبية ، ولم يكثرثوا بتناول أعراض الخلق

ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم ، فينبئني أن تريد في مراعاته ، وتدعوله بالخير ، فإن ذلك يفيظ الشيطان ، ويدفعه عنك ، فلا يبق إليك الخطر السوء ، خيفة من اشتراك بالدعاء والمراعاة . ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة ، فانصحك في السر ، ولا يخذ عنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه . وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه ، لينظر إليك بهين التنظيم ، وتنظر إليه بنين الاستحقار ، وترفع عليه بأبداء الوعظ . وليكن قصدك تخليصه من الإثم وأنت حزين ، كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان في دينك . وينبئني أن يكون تركه لتلك من غير نصحتك ، أحب إليك من تركه بالنصيحة . فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر النعم بمصيئته ، وأجر الاعانة له على دينه . ومن ثمرات سوء الظن التجسس ، فإن القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس ، وهو أيضاً منهى عنه . قال الله تعالى (وَلَا تَجَسَّسُوا ^(١)) فالنبية وسوء الظن والتجسس منهى عنه في آية واحدة . ومعنى التجسس ، أن لا تترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل إلى الاطلاع وهتك السر ، حتى ينكشف له ما لو كان مستوراً عنه كان أسلم لقلبه ودينه ، وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته .

بيان

الاعذار المرخصة في النبية

اعلم أن المرخص في ذكر مساوئ الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به فيدفع ذلك إثم النبية ، وهى ستة أمور :

الأول : التظلم فإن من ذكر قاضيا بالظلم ، والحياينة ، وأخذ الرشوة كأنه متتابا عاصيا إن لم يكن مظلوما . أما المظالم من جهة القاضى فله أن يتظلم إلى السلطان وينسبه إلى الظلم . إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به . قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « إِنَّ إِيصَابَ الْحَقِّ مَقَالًا » وقال عليه السلام ^(٢) « مَطْلُ النَّاسِ ظُلْمٌ » وقال عليه السلام ^(٣) « لِي الْوَاجِدُ يَحِلُّهُ تَوْبَةٌ وَعِزُّهُ »

التظلم

الثاني : الاستمانة على تغيير المنكر ورد الماصى إلى منهج الصلاح كما روى أن عمر رضي الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة على طلحة رضى الله عنه ، فسلم عليه ، فلم يرد السلام ، فذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه ، فذكر له ذلك فجاء أبو بكر إليه ليصاح ذلك ، ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه ، أن أبا جندل قد عافى الحرب بالشام . كتب إليه ، بسم الله الرحمن الرحيم (حَمْدُ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ^(١)) الآية فتاب . ولم ير ذلك عمر ممن أبلغه غيبة ، إذ كان قصده أن ينكر عليه ذلك ، فينفعه نصحه فلا ينفعه نصحه غيره . وإنما إباحة هذا بالقصد الصحيح . فإن لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما

لا يستمان على تغيير المنكر

الثالث : الاستفتاء ، كما قال للفتى ، ظلمي أبى ، أو زوجتى ، أو أخى ، فكيف طريقي في الخلاص . والأسلم التمريض ، بأن تقول ، ما فوائك في رجل ظلمه أبوه ، أو أخوه ، أو زوجته . ولكن التمين مباح بهذا القدر ، لما روى عن هند بنت عتبة ، أنها قالت ^(١) للنبى صلى الله عليه وسلم ، إن أبا سفيان رجل شحيح ، لا يعطينى ما يكفينى أنا وولدى ، فأخذ من غير علمه ؟ فقال « خُذْ مَائِكَفِيكَ وَلَدَكَ بِالْمَرْوَةِ » فذكرت الشح ، والظلم لها ولولدها ، ولم يزجرها صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها الاستفتاء

الاستفتاء

الرابع . تحذير المسلم من الشر ، فإذا رأيت فقيها يتردد إلى بدع أو فاسق ، وخفت أن تتمدى إليه بدعته وفسقه ، فلك أن تكشف له بدعته وفسقه ، مهما كان الباعث لك

تحذير المسلم من الشر

(١) حديث لصاحب الحق مقال متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث مطل الفى ظلم متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٣) حديث لى الواجد يعل عرضه وعقوبته أبوداود والنسائى وابن ماجه من حديث الترمذى بإسناد صحيح

(٤) حديث ان هذا قالت ان أباسفيان رجل شحيح متفق عليه من حديث عائشة

الخوف عليه من سرية البدعة والفسق لا غيره . وذلك موضع الغرور . إذ قد يكون الحسد هو الباعث ، ويلبس الشيطان ذلك إظهار للشفقة على الخلق . وكذلك من اشترى مملوكا ، وقد عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق ، أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك ، فإن في مسكوتك ضرر المشتري ، وفي ذكرك ضرر البعد ، والمشتري أولى بمراعاة جانبه . وكذلك المشتري في التزويج ، وإيداع الأمانة ، له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصيح والمستشير ، لا على قصد الوقية . فإن علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك ، فهو الواجب ، وفيه الكفاية . وإن علم أنه لا ينجز إلا بالتصريح بعيبه ، فله أن يصريح به . إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « أَرْعَوْنَ عَنْ ذِكْرِ الْفَاجِرِ أَهْيَكُوهُ حَتَّى يَعْرِفَهُ النَّاسُ أَذْكُرُوهُ بِنَافِيهِ حَتَّى يَحْذَرَهُ النَّاسُ » وكانوا يقولون ، ثلاثة لا غيبة لهم ، الإمام الجائر ، والمتبذع ، والمجاهر بفسقه

الخامس . أن يكون الإنسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه ، كالأعرج ، والأعمش ، فلا إثم على من يقول ، روى أبو الزناد عن الأعرج ، وسلمان عن الأعمش ، وما يجرمه مجراه . فقد فعل العلماء ذلك لغرض التعريف ، ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه ^{ذكر اللقب المعرف به} . بعد أن قد صار مشهورا به . نعم إن وجد عنه ممدلا ، وأمكنه التعريف بعبارة أخرى ، فهو أولى . ولذلك يقال للأعشى البصير ، عدولا عن اسم النقص

السادس . أن يكون مجرا بالفسق ، كالخنث ، وصاحب الماخور ، والمجاهر بشرب الخمر ، ومصادرة الناس ، وكان ممن يتظاهره ، بحيث لا يستنكف من أن يذكر له ، ولا يكره أن يذكر به . فإذا ذكرت فيه ما يتظاهره ، فلا إثم عليك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) « مَنْ أُلْقِيَ جِلْبَابَ الْحَيَاءِ عَنْ وَجْهِهِ فَلَا غِيْبَةَ لَهُ » وقال عمر رضي الله عنه

(١) حديث أثرعون عن ذكر الفاجر اهتكوه حتى يعرف الناس اذكروه بنافيه يحذره الناس الطبراني وابن حبان

في الضعفاء وابن عدي من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون قوله حتى يعرف الناس ورواه

بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا في الصمت

(٢) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له ابن عدي وأبو الشيخ في كتاب ثواب الاعمال من حديث

أنس بنند ضعيف وقد تقدم

التي تراه
بالضم

ليس لفاجر حرمة . وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر . إذ المستتر . لا بد من مراعاة حرمة . وقال الصلت بن طريف ، قلت للحسن ، الرجل الفاسق المعلن بفجوره ، ذكرى له بما فيه غيبة له ؟ قال لا ولا كرامة . وقال الحسن . ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى ، والفاسق المعلن بفسقه ؛ والإمام الجائر . فهؤلاء الثلاثة يجمعهم أنهم يتظاهرون به ، وربما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك ، وهم يقصدون إظهاره . نعم لو ذكره بنير ما يتظاهر به ثم

وقال عوف ، دخلت على ابن سيرين ، فتناولت عنده الحجاج . فقال إن الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه ، كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه . وإنك إذا لقيت الله تعالى غدا ، كان أصغر ذنب أصبته ، أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج

بيانه

كفارة الغيبة

اعلم أن الواجب على المنتاب أن يندم ويتوب ، ويتأسف على ما فعله ، ليخرج به من حق الله سبحانه . ثم يستحل المنتاب ، ليحله ، فيخرج من مظلمته . وينبني أن يستحله وهو حزين ، متأسف ، نادم على فعله إذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع ، وفي الباطن لا يكون نادما ، فيكون قد قارف مصيبة أخرى . وقال الحسن ، يكفيه الاستغفار دون الاستحلال . وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « كَفَّارَةُ مَنْ اغْتَابَهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ » وقال مجاهد ، كفارة أكلك لحم أخيك أن تتنى عليه ، وتدعوله بخير

الاستغفار
والاستغفار

وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من النية ، قال أن تمشي إلى صاحبك فتقول له ، كذبت فيما قلت ، وظلمتك ، وأسأت ، فإن شئت أخذت بحقك ، وإن شئت عفوت . وهذا هو الأصح وقول القائل ، المرض لا عوض له ، فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال ، كلام ضعيف ، إذ قد وجب في المرض خد القذف ، وتثبت المطالبة به

(١) حديث كفارة من اغتابه أن تستغفر له ابن أبي الدنيا في الصمت والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث

أنس بسند ضعيف

بل في الحديث الصحيح : ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ^(١) « مَنْ كَانَتْ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ فِي عَرْضٍ أَوْ مَالٍ فَلْيَسْتَحْلِلْهَا مِنْهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ يُنْفَخُ هُنَاكَ دُيُنَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِلَّا نَأَى يُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَرِيدَتْ عَلَى سَيِّئَاتِهِ » وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخركم إنها طويلة الذيل ، قد اغتبتها فاستحلها

فإذا لا بد من الاستحلال إن قدر عليه ، فإن كان غائباً أو ميتاً ، فينبغي أن يكثر له الاستغفار والدعاء ، ويكثر من الحسنات

فإن قلت : فالتحليل هل يجب ؟ فأقول لا لأنه تبرع ، والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن . وسبيل المعتذر أن يبالغ في التنازل عليه ، والنودد إليه ، ويلزم ذلك حتى يطيب قلبه فإن لم يطيب قلبه ، كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له ، يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة وكان بعض السلف لا يحلل . قال سعيد بن المسيب ، لأجل من ظلمني . وقال ابن سيرين إن لم أحرمها عليه فأحلها له إن الله حرم الغيبة عليه ، وما كنت لأخلل ما حرم الله أبداً . فإن قلت : فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحْلِلَهَا » وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن

فنقول : المراد به العفو عن المظلمة ، لأن ينقلب الحرام حلالاً . وما قاله ابن سيرين ، حسن في التحليل قبل الغيبة فإنه لا يجوز له أن يحلل لغيره الغيبة

فإن قلت : فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) « أَيْعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضِمٍ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعَرَضِي عَلَى النَّاسِ » فكيف يتصدق بالعرض ؟ ومن تصدق به فهل يباح تناوله ؟ فإن كان لا تنفذ صدقته ، فما معنى الحديث عليه

(١) حديث من كانت له عند أخيه مظلمة من عرض أو مال فليستحلها - الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث أبي جبر أحدكم أن يكون كأبي ضَمْضِمٍ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي تَصَدَّقْتُ بِعَرَضِي عَلَى النَّاسِ البراز وابن السني في اليوم والليلة والعقيل في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت . مراسلا عند ذكر أبي ضَمْضِمٍ في الصحابة قلت وإنها رجل ممن كان قبلنا كما عند البراز والعقيلي

فنتقول معناه أنى لا أطلب مظلة في القيامة منه . ولا أخاصمه . وإلا فلا تصير النية حلالا به ، ولا تسقط المظلة عنه ، لأنه عفو قبل الوجوب . إلا أنه وعد ، وله الزم على الوفاء بأن لا يخاصم ، فإن رجع وخصم ، كان القياس كسائر الحقوق أزال ذلك . بل صرح الفقهاء أن من أباح القذف ، لم يسقط حقه من حد القاذف . ومظلة الآخرة مثل مظلة الدنيا وعلى الجملة فالعفو أفضل . قال الحسن ، إذا جثت الأمم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ، نودوا أقيم من كان له أجر على الله . فلا يقوم إلا العاقلون عن الناس في الدنيا . وقد قال الله تعالى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ^(١)) فقال النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) « يَا جَبْرِيلُ مَا هَذَا الْعَفْوُ ؟ » فقال ، إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتمطى من حرمك . وروى عن الحسن ، أن رجلا قال له إن فلانا قد اغتابك . فبعت إليه رطباً على طبق ، وقال قد بلغت أنك أهديت إلى من حسناتك ، فأردت أن أكافئك عليها . فإني لا أقدر أن أكافئك على التمام

الآفة السادسة عشرة

النية

قال الله تعالى (هَمَّازٍ مَشْأَىٰ بِنِيعٍ ^(١)) ثم قال (عُدْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ^(٢)) قال عبد الله ابن المبارك . الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتسب الحديث . وأشار به إلى أن كل من لم يكتسب الحديث وشى بالنية ، دل على أنه ولد زنا ، استنباطاً من قوله عز وجل (عُدْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ) والزنيم هو الدعوى . وقال تعالى (وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٌ ^(٣)) قيل الهمزة التمام وقال تعالى (حَمَّالَةَ الْخَطْبِ ^(٤)) قيل إنها كانت نمامة ، حمالة للحديث . وقال تعالى (فَخَذَّاتُنَّهُمْ فَلَمَّ يُفْتِنَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ^(٥)) قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيغان ، وامرأة نوح تخبر أنه مجنون

(١) حديث نزول خذ العفو الآية قال جابريل ما هذا فقال إن الله يأمرك أن أعفو عن ظلمك وتصل من قطعك وتمطى من حرمك تقدم في رياضة النفس

وقد قال صلى الله عليه وسلم ^(١) «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ تَمَامٌ» وفي حديث آخر «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ» والقَتَاتُ هو التمام. وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) «أَحْبَبُكُمْ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا لِمَوْطِنُونَ أَكْثَفًا الَّذِينَ يَأْتُونَ وَيُؤْتُونَ وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَى اللَّهِ أَمْشَاؤُنَ بِالنَّبِيمةِ الْمُفْرَقُونَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ الْمُتَلَتِّمُونَ لِلْبِرِّ أَوْ الْقَتَرَاتِ» وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) «وَأَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟» قالوا بلى. قال «الْمَشَاؤُنَ بِالنَّبِيمةِ الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحْبِيَةِ الْبِغَاوُونَ لِلْبِرِّ أَوْ الْقَتَبَ» ^(٤) وقال أبو ذر، ^(٥) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ أَشَاعَ عَلَى مُسْلِمٍ كَلِمَةً لِيَشِينَهُ بِهَا يَغْيِرَ حَتَّى شَانَهُ اللَّهُ بِهَا فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وقال أبو الدرداء ^(٦)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَيُّمَا رَجُلٍ أَشَاعَ عَلَى رَجُلٍ كَلِمَةً وَهُوَ مِنْهَا بَرِيءٌ لِيَشِينَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُذَيِّبَهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ» وقال أبو هريرة، ^(٧) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ شَهِدَ عَلَى مُسْلِمٍ بِشَهَادَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» ويقال إن ثلث عذاب القبر من الهميمة وعن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٨) «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ الْجَنَّةَ قَالَ لَهَا تَكَلَّمِي فَقَاتِ سَعِدَ مِنْ دَخَلْتِي فَقَالَ الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَزَّتِي وَجَلَالِي لَا يَسْكُنُ فِيكَ عَمَانِيَةٌ نَفَرٍ مِنَ النَّاسِ لَا يَسْكُنُكَ مَذْمُونٌ مُخْرِجٌ وَلَا مُصْرَعٌ عَلَى الزُّنَا وَلَا قَتَاتٌ وَهُوَ التَّمَامُ

(١) حديث لا يدخل الجنة تام وفي حديث آخر قات متفق عليه من حديث حذيفة وقد تقدم

(٢) حديث أبو هريرة وأحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقا للوطئون أكنافا الطبراني في الأوسط والصغير

وتقدم في آداب الصحبة

(٣) حديث الأَخْبِرْكُمْ بِشِرَارِكُمْ قالوا بلى قال المشاؤون بالنبيمة الحديث أحمد من حديث أبي مالك الأشعري وقد تقدم

(٤) حديث أبي ذر من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها يغير حتى شانه الله بها في النار يوم القيامة ابن أبي الدنيا

في الصلت والطبراني في معكرم الأخلاق وفيه عباد الله بن ميمون فإن يكن القذاح فهو متركة الحديث

(٥) حديث أبي الدرداء أيما رجل أشاع على رجل كلمة منها برى ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيه

بها يوم القيامة في النار ابن أبي الدنيا موقوفا على أبي الدرداء ورواه الطبراني بلفظ آخر

مرفوعا من حديثه وقد تقدم

(٦) حديث أبي هريرة من شهد على مسلم شهادة ليس لها أهل فليتبوأ مقعده من النار أحمد وابن أبي الدنيا

وفي رواية أحمد رجل لم يسلم أسقطه ابن أبي الدنيا من الاستاد

(٧) حديث ابن عمر أن الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار وعزتي وجلالي

لا يسكن فيك ثمانية فذكر منها ولاقات وهو التمام هكذا بتمامه ولأحمد لا يدخل الجنة

وَلَا دَبُوثٌ وَلَا شُرْطِيٌّ وَلَا تُخَنَّثُ وَلَا قَاطِعٌ رَحِيمٌ وَلَا الَّذِي يَقُولُ عَلَىٰ عَهْدِ اللَّهِ إِنَّمَا أَفْكُلُ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ لَمْ يَفْعَلْ بِهِ ۚ

وروى كعب الأحبار، أن بني إسرائيل أصابهم قحط، فاستسقى موسى عليه السلام مرات فاستقوا. فأوحى الله تعالى إليه، إني لا أستجيب لك ولن معك وفيكم غمام، قد أصر على النعمة. فقال موسى، يارب من هو؟ دلتى عليه حتى أخرجه من بيننا. قال يا موسى، أنها كم عن النعمة وأكون غماما افتابوا جميعا، فسقوا. ويقال اتبع رجل حكيم سبعا ثم فرسوخ في سبع كلمات. فلما قدم عليه، قال إني جئت لك الذي آتاك الله تعالى من العلم، أخبرني عن السماء وما أثقل منها؟ وعن الأرض وما أوسع منها؟ وعن الصخر وما أغشى منه؟ وعن النار وما أحر منها؟ وعن الزمهرير وما أبرد منه؟ وعن البحر وما أغشى منه؟ وعن اليتيم وما أذل منه؟ فقال له الحكيم، البهتان على البريء أثقل من السموات، والحق أوسع من الأرض؛ والقلب القانع أغنى من البحر، والحرص والحسد أحر من النار، والحاجة إلى الترتيب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير، وقلب الكافر أغشى من الحجر، والنمام إذا بان أمره أذل من اليتيم

بيان

حد النعمة وما يجب في ردّها

اعلم أن اسم النعمة إنما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المنقول فيه، كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا. وليست النعمة مختصة به. بل حدّها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه، أو للقول إليه، أو كرهه ثالث. وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة، أو بالرمز، أو بالأعيان. وسواء كان المنقول من الأشخاص، أو من الأقوال، وسواء كان ذلك عيبا ونقصا في المنقول عنه، أو لم يكن. بل حقيقة النعمة إفشاء السر،

علق لوالديه ولاديوث والنسائي من حديث عبد الله بن عمر ولا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر وللشيخين من حديث حذيفة لا يدخل الجنة قتات ولهما من حديث جابر بن مطعم لا يدخل الجنة قاطع وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس لما خلق الله الجنة قال لها تكلمي تريضي فترين قالت طوبى لمن دخلني ورضي عنه الهى قال الله عز وجل لا تسكنك غنث ولا امحمة

وهتك الستر عما يكره كشفه . بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره ، فينبغي أن يسكت عنه ، إلا ما في حكايته فائدة لمسلم ، أو دفع لمصيبة . كما إذا رأى من يتناول مال غيره ، فعليه أن يشهد به ، مراعاة لحق المشهود له . فأما إذا رآه يخفي مالا لنفسه ، فذكره فهو نعمة ، وإفشاء للسر . فإن كان ما ينهم به نقصا و عيبا في المحسنى عنه ، كان قد جمع بين النية والنية فالباعث على النية أما إرادة السوء للمحسنى عنه ، أو إظهار الحجب للمحسنى له : أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل .

وكل من حملت إليه النية ، وقيل له إن فلانا قال فيك كذا ، أو فعل في حقك كذا ^{الباعث على النية} أو هو يدبر في إفساد أمرك ، أو في المالة عدوك ، أو تقييع حالك ، أو ما يجري مجراه ، فعليه ستة أمور الأول . أن لا يصدقه لأن التمام فاسق ، وهو مردود الشهادة ، قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجَالِهِ ^{أب التمر} (١) الثاني . أب ينهه عن ذلك ، وينصح له ، ويقبح عليه فعله . قال الله تعالى يَكْذِبُ التَّمَامُ (وَأَمْرٌ بِالْمَرْوِفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ^٢)

الثالث . أن لا يفض في الله تعالى ، فإنه يفيض عند الله تعالى ، ويجب بفض من يفض الله تعالى ^{نبيه} الرابع . أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى (اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ^٣) الخامس . أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتحقيق اتباعا لقوله تعالى (وَلَا تَجَسَّسُوا ^٤)

السادس . أن لا ترضى لنفسك ما نهيت التمام عنه ، ولا تحكي نيمته ، فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا ، فتكون به غامما ومغتتابا ، وقد تكون قد أثبت ما عنه نهيت وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، أنه دخل عليه رجل ، فذكر له عن رجل شيئا . فقال له عمر ، إن شئت نظرتا في أمرك ، فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ^٥) . وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية (هَمَّازٍ مَّشَاءَ بَنِيهِمْ ^٦) . وإن شئت دعونا عنك . قل العفو يأمر المؤمنين لا أنعود إليه أبدا

(١) الحجرات : ٦ (٢) همان : ١٧ (٣) و(٤) الحجرات : ١٣ (٥) الحجرات : ٦ (٦) القلم : ١١

وذكر أن حكيمًا من الحكماء زاره بعض إخوانه ، فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه . فقال له الحكيم ، قد أبطأت في الزيارة ، وأتيت بثلاث جنائيات . بنفست أخى إلى ، وشغلت قلبى الفارغ ، وأتهمت نفسك الأمانة . وروى أن سليمان بن عبد الملك ، كان جالساً وعنده الزهرى ، فجاءه رجل ، فقال له سليمان ، بلغنى أنك وقعت فى وقت كذا وكذا ، فقال الرجل ما فعلت ولا قلت . فقال سليمان ، إن الذى أخبرنى صادق . فقال له الزهرى ، لا يكون النمام صادقاً . فقال سليمان صدقت . ثم قال للرجل اذهب بسلام

وقال الحسن . من نَمَّ اليك ، نَمَّ عليك . وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغي أن ينفذ ، ولا يوثق بقوله ، ولا بصداقته . وكيف لا ينفذ وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة ، والنذر والحيانة ، والدغل والحسد والنفاق ، والإفساد بين الناس والحديعة . وهو بمن يرمى فى قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض

وقال تعالى (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ^(١)) والنمام منهم . وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « إِنْ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مِنْ اتِّقَاءِ النَّاسِ لِشَرِّهِ » والنمام منهم . وقال ^(٣) « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ » قيل وما القاطع . قال « قَاطِعُ بَيْنِ النَّاسِ » وهو النمام ، وقيل قاطع الرحم

مؤخره
النمام
المصنفات
الذميمة

وروى عن علي رضي الله عنه ، أن رجلاً سعى إليه برجل ، فقال يا هذا ، نحن نسأل صا قلت ، فإن كنت صادقاً مقتناً ، وإن كنت كاذباً عاقبناك ، وإن شئت أن تعيذك ألقناك . فقال ألقنى يا أمير المؤمنين . وقيل لحمد بن كعب القرظى ، أى خصال المؤمن أوضع له فقال كثرة الكلام ، وإفشاء السر ، وقبول قول كل أحد . وقال رجل لعبد الله بن عامر ، وكان أميراً بلغنى أن فلاناً أعلم الأمير أى ذكرته بسوء . قال قد كان ذلك . قل فأخبرنى بما قال لك . حتى أظهر كذبه عنده . قال ما أحب أن أشتم نفسى بلسانى ، وحسبى أنى لم أصدقته فيما قال ، ولا أقطع عنك الوصال

(١) حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم : متفق عليه من حديث عائشة نحوه

(٢) حديث لا يدخل الجنة قاطع : متفق عليه من حديث جابر بن مطعم

وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ، ما ظنكم بقوم يحمّد الصدق من كل طائفة من الناس إلا منهم ؟ وقال مصعب بن الزبير ، نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية ، لأن السعاية دلالة ، والقبول إجازة ، وليس من دل على شيء فأخبر به ، كمن قبله وأجاز به ، فاتقوا الساعي ، فلو كان صادقاً في قوله لكأن لثيماً في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ، ولم يستر العورة

والسعاية هي التهمة ، إلا أنها إذا كانت إلى من يخاف جانبها سميت سعاية . وقد قال صلى الله عليه وسلم " « الساعي بالناس إلى الناس كذبر رشدة » » يعنى ليس بولد حلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك ، فاستأذنه في الكلام ، وقال إني مكلّمك يا أمير المؤمنين بكلام ، فاحتله وإن كرهته ، فإن وراءه ماتحب إن قبلته . فقال قل . فقال يا أمير المؤمنين ، إنه قد اكتشفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك في الله ، ولم يخافوا الله فيك ، فلا تأمنهم على ما أئتمنتك الله عليه ، ولا تصح إليهم فيما استحفظك الله إياه ، فإنهم لن يألوا في الأمة خسفاً ، وفي الأمانة تضییعاً ، والأعراض قطعاً واتهاكاً أعلى قريهم البنى والنميمة ، وأجل وسائلهم الغيبة والوقية : وأنت مسؤول عما أجرموا ، وليسوا المسؤولين عما أجرمت ، فلا تصالح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس غبناً من باع آخرته بدنيا غيره

وسمى رجل بزياد الأعجم ، إلى سليمان بن عبد الملك ، فجع بينهما للموافقة . فأقبل زياد على الرجل وقال

فأنت امرؤ ما اتدنتك خالياً نخت وأما قلت قولاً بلا علم
فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلة بين الحيانة والإثم

(١) حديث الساعي بالناس إلى الناس لغير رشدة : الحاكم من حديث أبي موسى من سى بالناس فهو لغير رشدة أوفيه شيء منها وقال له أسأنيدهذا أمثلها قلت فيه سهل بن عطية قال فيه ابن طاهر في التذكرة منكر الرواية قال - والحديث : لا أصل له وقد ذكر ابن حبان في الثقات سهل بن عطية ورواه الطبراني بلفظ لا يسي على الناس إلا ولدي والإمن فيه عرق منه وزاد بين سهل وبين بلال ابن أبي بزة أبا الوليد القرشي

وقال رجل لمعروين عبيد ، أن الأسواري ما يزال يذكر في قصصه بشر . فقال له صهرو ، يا هذا ، ما رغبت حق مجالدة الرجل ، حيث نقلت إلينا حديثه . ولا أدبت حق ، حين اعلمتني عن أخني ما أكره . ولكن أعلمه أن الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا ، والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين

ورفع بعض السعاة إلى صاحب بن عباد رقعة ، به فيها على مال يتيم يجعله على أخذه لكثرة فوق على ظهرها . السعاة فيبحة ، وإن كانت صحيحة . فإن كنت أجرتها مجرى النصح ، ففسرانك فيها أفضل من الربح . ومعاذ الله أن تقبل متوكفاً مستبور . ولولا أنك في خفارة شبيتك ، لقابلناك بما يقتضيه فمك في مثلك . فتوق يا مملون العيب ، فإن الله أعلم بالنيب . الميت رحمه الله ، واليتيم جبره الله ، والمال عمره الله ، والساعي امته الله

وقال لقمان لابنه ، يا بني ، أوصيك بخلال ، إن تمسكت بهن لم تزل سيذا . أبسط خلقك للقریب والبید ، وأمسك جملك عن الكريم والانيم ، واحفظ إخوانك ، وصل أقاربك وآمنهم من قبول قول ساع ، أو سماع باغ يريد فسادك ، وروم خدائك . وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك .

وقال بعضهم : النيمة مبيدة على الكذب والحمد والنفاق ، وهي أنافي الذل . وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام إليك ، لكان هو المجترى بالشتم عليك ، والمنقول عنه أولى بملك ، لأنه لم يقابلك بشتمك . وعلى الجملة ، فشر النمام عظيم ، ينبغي أن يتوق . قال حماد ابن سلمة : باع رجل عبداً ، وقال للمشتري : ما فيه عيب إلا النيمة . قال تدرضيت . فاشتراه فكش الغلام أياماً ، ثم قال لزوجة مولاه ، إن سيدي لا يحبك ، وهو يريد أن يتسرى عليك فخذى موسى واحق من شعر ففاه عند نومه شعرات ، حتى أسحره عليها ، فيحبك . ثم قال الزوج ، إن امرأتك اتخذت خيلاً ، وتريد أن تقتلك ، فتناوم لها حتى تعرف ذلك . فتناوم لها ، فجاءت المرأة بالموسى ، فظن أنها تريد قتله ، فقام إليها فقتلها ، فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ، ووقع القتال بين القبيلتين . ففسأل الله حسن التوفيق

تأخير النيمة
في الفرقة بين
الزوجين

الآفة السابعة عشرة

كلام ذي الاسانين الذي يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه

وقلما يخلو عنه من يشاهد متعادين . وذلك عين النفاق . قال عمار بن ياسر ، ^(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » وقال أبو هريرة ، ^(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تَجِدُونَ مِنْ شَرِّ عِبَادِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هُوَ لَا بِمُحَدِّثٍ وَهُوَ لَا بِمُحَدِّثٍ » وفي لفظ آخر « الَّذِي يَأْتِي هُوَ لَا بِمُجِبِّهِ وَهُوَ لَا بِمُجِبِّهِ »

وقال أبو هريرة : لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أميناً عند الله . وقال مالك بن دينار : قرأت في التوراة ، بطلت الأمانة ، والرجل مع صاحبه يشفتين مختلفتين ، هلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين . وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « أَنْفُسُ خَلِيقَةِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْكَذَّابُونَ وَالْمُسْتَكْبِرُونَ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْأَبْغْيَاءَ لِإِخْوَانِهِمْ فِي صُدُورِهِمْ فَلَمَّا لَقَوْهُمْ قَالُوا لَهُمْ وَالَّذِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ كَانُوا بَطَاطًا وَإِذَا دُعُوا إِلَى الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ كَانُوا سِرَاعًا » . وقال ابن مسعود : لا يكون أحدكم لمعة . قالوا وما الإمعة ؟ قال الذي يجرى مع كل ربح . واففقوا على أن ملافة الإثنين بوجهين نفاق ، ولانفاق علامات كثيرة ، وهذه من جملتها وقد روى أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة . فقال له عمر : يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تصل عليه فقال يأمرير المؤمنين ، إنه منهم . فقال نشدتك الله أنا منهم أم لا ؟ قال اللهم لا ، ولا أؤمن منها أحداً بعدك

(الآفة السابعة عشرة كلام ذي الاسانين)

(١) حديث عمار بن ياسر من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة : البخاري في كتاب الأدب

الفرد وأبو داود بسند حسن

(٢) حديث أبو هريرة تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين - الحديث : متفق عليه بلفظ تجد

من شر الناس لفظ البخاري وهو عند ابن أبي الدنيا بلفظ للصف

(٣) حديث أنفُسُ خَلِيقَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْكَذَّابُونَ وَالْمُسْتَكْبِرُونَ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْأَبْغْيَاءَ لِإِخْوَانِهِمْ

فِي صُدُورِهِمْ فَلَمَّا لَقَوْهُمْ قَالُوا لَهُمْ وَالَّذِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَأْتُوا إِلَى اللَّهِ

وإن قلوبنا لتلذذ بهم. وقالت عائشة رضي الله عنها، ^(١) استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ائذنوا له فقبس رجل أنشيرة هو » ثم لما دخل ألان له القول . فلما خرج قلت يا رسول الله ، قلت فيه ماقلت ، ثم أنتله القول ا فقال « يا عائشة إن شر الناس الذي يُكرّم اتقاء شره » واسكن هذا ورد في الإقبال ، وفي الكشر والتبسم . فأما الثناء ، فهو كذب صراح ، ولا يجوز إلا للضرورة ، أو إكراه يباح الكذب بثله ، كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ، ولا التصديق ، ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فإن فعل ذلك ، فهو منافق . بل ينبغي أن ينكر ، فإن لم يقدر فيسكت بلسانه : وينكر بقلبه .

الآفة الثامنة عشرة

المدح

وهو منهي عنه في بعض المواضع . أما الذم ، فهو النبية والوقية ، وتذكرنا حكمها . والمدح يدخله ست آفات ، أربع في المادح ، واثنان في المدوح . فأما المادح :

فالأولى . أنه قد يفرط ، فيتمى به إلى الكذب . وعنه خالد بن معدان من مدح إماما أو أحدا بما ليس فيه على رؤوس الأشهاد ، بعنه الله يوم القيامة يشتر بلسانه

الثانية : أنه قد يدخله الرياء ، فإنه بالمدح مظهر للحب ، وقد لا يكون مضمرا له ، ولا معتقدا لجميع ما يقوله : فيصير به صراخيا منافقا .

الثالثة : إنه قد يقول ما لا يتحققه ، ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه . روى ^(٢) أن رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له عليه السلام « وَيَحْتَكِ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ لَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ » ثم قال « إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ لَابَدَّ مَا دَخَا أَخَاهُ فَأَيُّ قُلْ أَحَسِبُ فُلَانًا وَلَا أَرْكَى عَلَى اللَّهِ أَحَدًا حَسِبُهُ اللَّهُ إِنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ »

(١) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له قبس رجل العشرة - الحديث : وفيه انشر الناس الذي يكرّم اتقاء لشره : متفق عليه وقدهم في الآفة التي قبلها (الآفة الثامنة عشرة للمدح)

(٢) حديث ابن جلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وعحك قطعت عنق صاحبك متفق عليه من حديث أبي بكره . بنحوه وهو في الصمت لا يرأى الدنيا بلفظ الصمت

وهذه الآفة تنطرق إلى المدح بالأوصاف المطلقة ، التي تعرف بالأدلة ، كقوله إنه متيق وورع ، وزاهد ، وخير ، وما يجري مجراه . فأما إذا قال رأيته يصلي بالليل ، ويتصدق ، ويحج ، فهذه أمور مستيقنة . ومن ذلك قوله إنه عدل ، رضا ، فإن ذلك خفي ، فلا ينبغي أن يجزم القول فيه . إلا بعد خبرة باطنة . سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثنى على رجل ، فقال أسأفرت معه ؟ قال لا . قال . أخالطته في المباينة والمعاملة ؟ قال لا . قال : فأنت جاره صباحه ومساءه ؟ قال لا . فقال : والله الذي لا إله إلا هو لا أراك تعرفه

الرابعة : أنه قد يفرح المدوح وهو ظالم أو فاسق ، وذلك غير جائز . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « إِنْ أَلَّفَ تَعَالَى يَنْفُضُ إِذَا مَدَّحَ الْفَاسِقُ » وقال الحسن . من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يدعى الله تعالى في أرضه . والظالم الفاسق ينبغي أن يذم لينقم ، ولا يمدح ليفرح . وأما المدوح فيضره من وجهين :

أحدهما . أنه يحدث فيه كبرا وإعجابا ، وهما مهلكان . قال الحسن رضي الله عنه . كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه الدرة ، والناس حوله ، إذ أقبل الجارود بن المنذر ، فقال رجل هذا سيد ريعة . فسمعها عمر ومن حوله ، وسمعها الجارود . فلما دنا منه ، خفقه بالدرة . فقال مالي ولك يا أمير المؤمنين ؟ قال مالي ولك أما لقد سمعتها ؟ قال سمعتها . قال خشيت أن يخالط قلبك منها شيء ، فأحببت أن أطأ طأ منك .

الثاني : هو أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به وقتر ، ورضي عن نفسه . ومن أعجب بنفسه قل أشمره . وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا . فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ، ظن أنه قد أدرك . ولهذا قال عليه السلام « قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ لَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « إِذَا مَدَّحْتَ أَخَاكَ فِي وَجْهِهِ فَكَأَنَّمَا أَمْرَتَ عَلَى حَلْقِهِ » ^(٣) « عَتَرْتَ الرَّجُلَ عَقَرَكَ اللَّهُ »

(١) حديث أن الله ينفذ إذا مدح الفاسق : ابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أنس ضعيف ورواه أبو يعلى اللؤلؤي وابن عدى بلفظ إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش قال الذهبي في الميزان . منكر وقد تقدم في آداب السكيب

(٢) حديث إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميضا : ابن المبارك في الزهد والرفائق من رواية يحيى بن جابر مرسل

(٣) حديث عترة الرجل عقره الله : قاله ابن مدح رجلا أمجد له أصلا

عمر بن الخطاب
صلى الله عليه وسلم
أو الظالم

المرات الكبر
في المدح

زور المدح
ركله

وقال مطرف، ما سمعت قط ثناء ولا مدحة إلا تصاغرت إلى نفسي . وقال زياد بن أبي مسلم :
ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة ، إلا تراءى له الشيطان . ولكن المؤمن يراجع .
فقال ابن المبارك ، لقد صدق كلاهما . أما ما ذكره زياد ، فذلك قلب العوام . وأما ما ذكره مطرف ،
فذلك قلب الخواص . وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) : « لَوْ مَشَى رَجُلٌ إِلَى رَجُلٍ بِسِكِّينٍ
مُرْهَفٍ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يُشَيَّ عَلَيْهِ فِي وَجْهِهِ » . وقال عمر رضى الله عنه : المدح هو
الذبيح . وذلك لأن المذبح هو الذى يفتقر عن العمل . والمدح يوجب الفتور . أو لأن
المدح يورث العجب والكبر ، وهما مهلكان كالذبيح ، فلذلك شبه به

فإن سلم المدح من هذه الآفات فى حق المادح والمدوح ، لم يكن به بأس . بل ربما كان
ندوبا إليه ولذلك أنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال ^(٢) : « لَوْ وَزَنَ
إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ إِيْمَانِ الْعَالَمِ لَرَجَحَ » . وقال فى عمر ^(٣) : « لَوْ لَمْ أُنَبِّثْ لِبُعْثَتِ يَأْمُرَةٌ »
وأى ثناء يزيد على هذا ؟ ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصيرة وكانوا رضى
الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا . بل مدح الرجل نفسه فيبيع
لما فيه من الكبر والتفاخر . إذ قال صلى الله عليه وسلم ^(٤) : « أَنَا سَيِّدُ آدَمَ وَلَا فَخْرَ »
أى لست أقول هذا تفاخرا ، كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم . وذلك لأن افتخاره
صلى الله عليه وسلم كان بالله ، وبالقرب من الله ، لا بولد آدم وتقدمه عليهم . كما أن
المقبول عند الملك قبولا عظيما إنما يفتخر بقبوله إياه ، وبه يفرح . لا بتقدمه على بعض رعاياه
وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه . قال صلى الله
عليه وسلم ^(٥) : « وَجِبَتْ » لما أئتموا على بعض الموتى . وقال مجاهد إن ابني آدم جلساء

(١) حديث لوشى رجل يسكن مرهف كان خيرا له من أن يئى عليه في وجهه : لم أجده أيضا

(٢) حديث لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح : تقدم في العلم

(٣) حديث لوم أبث لبثت يا عمر : أبو منصور الديلى في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وهو منكر
وللعرف حديث عقبة بن عامر نوكان بعدى نبي إسماعيل رواه الترمذى وحسنه

(٤) حديث أنا سيد ولد آدم ولا فخر : الترمذى وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدرى والحاكم من حديث
جابر وقال صحيح الاسناد وله من حديث عبادة بن الصامت أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر

ولسلم من حديث أبي هريرة أنا سيد ولد آدم يوم القيامة

(٥) حديث وجبت قاله لما أئتموا على بعض الموتى : متفق عليه من حديث أنس

من الملائكة ، فإذا ذكر الرجل المسلم أخاه المسلم بخير ، قالت الملائكة ولاك مثله . وإذا ذكره بسوء ، قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورتك أربع على نفسك ، واحمد الله الذي ستر عورتك . فهذه آفات المدح

بيان

ما على المدوح .

اعلم أن على المدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والمجبر ، وآفة الفتور ولا ينجو منه إلا بأن يعرف نفسه ، ويتأمل ما في خطر الخاتمة ، ودقائق الرياء ، وآفات الأعمال ، فإنه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المداح . ولو انكشف له جميع أسرار ، وما يجري على خواطره ، لكف المداح عن مدحه

وعليه أن يظهر كراهة المدح بإذلال المداح . قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « أُحْشُوا التُّرَابَ بِرَأْسِهِ فِي وَجْهِهِ » وقال سفيان بن عيينة ، لا يضر المدح من عرف نفسه . وأثنى على رجل من الصالحين ، فقال اللهم إن هؤلاء لا يعرفوني ، وأنت تعرفني . وقال آخر لما أثنى عليه ، اللهم إن عبدك هذا تقرب إلى بعتك ، وأنا أشهدك على مقتبه . وقال على رضي الله عنه لما أثنى عليه ، اللهم اغفر لي ما لا أعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني خيرا مما يظنون . وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه ، فقال أتهلكني وتهلك نفسك ؟ وأثنى رجل على علي كرم الله وجهه في وجهه ، وكان قد بلغه أنه يقيم فيه ، فقال أنا دونه ما قلت ، وفوق ما في نفسك

الآفة التاسعة عشرة

النفقة عن دقائق الخطأ في غوى الكلام

لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ، ويرتبط بأمور الدين . فلا يقدر على تقويم اللفظ في أمور الدين إلا المصنف الفصحاء . فن تصر في علم أو فصاحة ، لم يخل كلامه عن الزلل . لكن الله تعالى يرفع عنه لجهله . مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أحشوا في وجوه الداحين التراب : مسلم من حديث للقداد

« لَا يَقُولُ أَحَدُكُمْ ، أَشَكَرَ اللَّهُ وَشَرَّتْ وَلَسَكِنْ لَيَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَتَّ » وذلك لأن في المطلق تشريفاً وتسوية ، وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضي الله عنهما ،^(١) جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكلمه في بعض الأمور ، فقال ما شاء الله وشئت . فقال صلى الله عليه وسلم « اجعلني لله عبداً بَلَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحَدَّهُ » وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) ، فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن عصمه فقد غوي . فقال « قُلْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَى » فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن عصمه ، لأنه تسوية وجمع

وكان إبراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ، ولا يقول لولا الله وفلان^(٣) . وكره بعضهم أن يقال ، اللهم أعتقنا من النار ، وكان يقول العتق يكون بعد الورود . وكانوا يستجرون من النار ، ويتعوذون من النار وقال رجل : اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال حذيفة ، إن الله يعني المؤمنين عن شفاعة محمد ، وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين

وقال إبراهيم ، إذا قال الرجل للرجل يا همار ، يا خنزير ، قيل له يوم القيامة ، همارا رأيتني خلقتك يا خنزير رأيتني خلقتك ؟ . وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن أحداً لم يشرك ، حتى يشرك بكلمة ، فيقول لولاه لسرقنا الليلة

وقال عمر رضي الله عنه ،^(٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْهَاكُمْ أَنْ تَخْلَعُوا بِأَبَائِكُمْ مَنْ كَانَ خَالِفاً فَلْيُخْلَفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَمُوتْ » قال عمر رضي الله عنه . فوالله ما خلعت بها منذ سمعتها . وقال صلى الله عليه وسلم^(٥) « لَا تَسْمُوا الْعَنْبَ كَرَمًا »

(الآفة التاسعة عشرة في التفهيم عن دقائق الخطأ)

(١) - حديث حذيفة لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت - الحديث : أبو داود والنسائي في الكبرى بسند صحيح

(٢) - حديث ابن عباس جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه في بعض الأمور فقال ما شاء الله وشئت

فقال جعلني لله عبداً بَلَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحَدَّهُ النسائي في الكبرى بإسناد حسن وابن ماجه

(٣) - حديث خطب رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن عصمه فقد غوي

الحديث : مسلم من حديث عدي بن حاتم

(٤) - حديث عمران الله ينهاكم أن تخلعوا بأبائكم : متفق عليه

(٥) - حديث لا تسموا العنب الكرم إنما الكرم الرجل المسلم : متفق عليه من حديث أبي هريرة

إِنَّمَا الْكُرْمُ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ»

وقال أبو هريرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَلَا أُنْتِي كُلُّكُمْ عِبْدُ اللَّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ وَلَيَقُلُّ غُلَامِي وَجَارَتِي وَفَتَاتِي وَلَا يُؤْمِنُ إِلَّا لَوْلَاكَ رَبِّي وَلَا رَبِّي وَلَا يُؤْمِنُ سَيِّدِي وَسَيِّدَتِي فَكُلُّكُمْ عِبْدُ اللَّهِ وَالرَّبُّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « لَا تَقُولُوا لِلْفَاسِقِ سَيِّدًا فَإِنَّهُ إِنْ يَكُنْ سَيِّدُكُمْ فَقَدْ اسْتَخْطَمْتُمْ رَبَّكُمْ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « مَنْ قَالَ أَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَهُوَ كَمَا قَالَ وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَمَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْإِسْلَامِ سَالِمًا »

فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ، ولا يمكن حصره . ومن تأمل جميع ما أورده من آفات اللسان ، علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم . وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم ^(٣) « مَنْ صَمَتَ نَجَا » لأن هذه الآفات كلها مهالك ومماط ، وهي على طريق التكلم ، فإن سكوت مسلم من الكل : وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه ، إلا أن يوافق لسان فصيح ، وعلم عزيز ، وورع حافظ ؛ ومراقبة لازمة ، ويقلل من الكلام ، ففساه يسلم عند ذلك . وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر . فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم ففهم ، فكمن ممن سكوت فسلم ، فالسلامة إحدى الغنيمتين .

الآفة العشرون

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كَلَامِهِ وعن الحروف وأنها قديمة أو محدثة ومن حَقَمَ الاشتغال بالعمل بما في القرآن . إلا أن ذلك ثقيل على النفوس ، والفضول خفيف على القلب . والعامي يفرح بالخلوص في العلم . إذ الشيطان يحيل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل ، ولا يزال يحبب إليه ذلك ، حتى يتكلم في العلم بما هو كافر ، وهو لا يدري

(١) حديث لا تهولوا للناقض سيدنا - الحديث : أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح

(٢) حديث من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقاً فهو كما قال - الحديث : النسائي وابن ماجه من حديث

بريدة بإسناد صحيح

(٣) حديث من صمت نجا - الترمذي وقد هدم في أول آفات اللسان .

(الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى)

وكل كبيرة يرتكبها المأثم ، فهي أسلم له من أن يتكلم في العلم ، لاسيما فيما يتماق بالله وصفاته وإتقان العوام الاشتغال بالعبادات ، والإيمان بما ورد به القرآن ، والاسلام لما جاء به الرسل من غير بحث . وسؤالهم عن غير ما يتماق بالعبادات سوء أدب منهم ؛ يستحقون به المقت من الله عز وجل ، ويتمرضون بخطر الكفر . وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك ، وهو موجب للمقوبة . وكل من سأل عن علم غامض ، ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم . فإنه بالإضافة إليه عاى . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « ذَرُونِي مَا تَرَ كُنْتُكُمْ فَأَنَا هَلَكٌ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَأَجْتَنَبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتَوْا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » .

وقال أنس : ^(٢) « سَأَلَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا ، فَأَكْثَرُوا عَلَيْهِ وَأَغْضَبُوهُ فَصَعِدَ الْمَنْبَرُ وَقَالَ « سَلُونِي وَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِهِ » ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَنَّى ؟ فَقَالَ « أَبُوكَ حُذَافَةُ » ، فَقَامَ إِلَيْهِ شَابَانُ أَخُوَانُ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ أَبُونَا ؟ فَقَالَ « أَبُوكُمَا الَّذِي تُذْعِيَانِ إِلَيْهِ » ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَّى الْجَنَّةُ أَنَا أَمْ فِي النَّارِ ؟ فَقَالَ « لَا بَلْ فِي النَّارِ » ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ غَضَبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْسَكُوا . فَقَامَ إِلَيْهِ عَمْرُؤُا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا . فَقَالَ « اجْلِسْ يَا عَمْرُؤُا رَحِمَكَ اللَّهُ إِنَّكَ مَا عَلِمْتَ مُؤَدِّقٌ » ، وَفِي الْحَدِيثِ ، ^(٣) « نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْقِيلِ ، وَالْقَالِ ، وَالِضَاعَةِ الْمَالِ ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٤) « يُوشِكُ النَّاسُ أَنْ يَسْأَلُوا حَتَّى يَقُولُوا قَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ قَدْ خَلَقَ اللَّهُ فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ قُفُّوا (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

(١) حديث ذروني ما تَرَ كنتم فاتهاهلك من كان قبلكم بسؤالهم - الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى أكثروا عليه وأغضوه فصعد المنبر فقال

سألوني فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به - الحديث : متفق عليه مقتصر على سؤال عبد الله

بن حذافة وقول عمرو وسلم من حديث أبي موسى قدام آخر فقال من أبي قال أبو بكر سالمولى شية

(٣) حديث التهي عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث لليرة بن شعبة

(٤) هديث يوشيك الناس يسألون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخلق - الحديث : متفق عليه من حديث

أبهريرة وقد تقدم

اللَّهُ الصَّيْدُ^(١) حَتَّى تَخْتَبُوا السُّورَةَ ثُمَّ لِيَنْقُلَ أَحَدُكُمْ عَنْ يَدَارِهِ ثَلَاثًا وَلَيْسَتْ بِذِي اللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » وقال جابر^(٢) ، ما زلت آية التلاعين إلا لكثرة السؤال

وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام ، تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه إذ قال (فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا^(٣)) فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر ، وقال (لَا تَوَخَّذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا^(٤)) فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال (هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ^(٥)) وفارقه

فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات ، وهو من المثيرات للفتن ، فيجب دفعهم ومنعهم من ذلك . وخصوصهم في حروف القرآن ، يضاهي حال من كتب الملك إليه كتابا ، ورسم له فيه أمورا ، فلم يشغل بشيء منها ، وضع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث ، فاستحق بذلك العقوبة لاعمالة . فكذلك تضییع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهي قديمة أم حديثة ، وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى : والله تعالى أعلم

(١) حديث جابر ما زلت آية التلاعين إلا لكثرة السؤال رواه البراء بإسناد جيد

(٢) الصمد : ٢٠١ ، ٣ ، ٤) الكهف : ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٨

كتاب فم الغصير والحفد والحسد

كتاب فوم الغضب والحدود الحسد

وهو الكتاب الخامس من ربيع المملكات

من كتب إحياء علوم الدين

بسم الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته إلا الراجون ، ولا يحذر سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون . الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون ، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون ، وابلغام بالغضب وكلفهم كظم الفیظ فيما يفضبون . ثم حفرهم بالمكاره والذات وأملی لهم لينظر كيف يعملون ، وامتحن به جبههم ليعلم صدقهم فيما يدعون ، وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون ، وحذرهم أن يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون ، فقال (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ^(١)) . والصلاة والسلام على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون ، وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين ، والسادة المرصيين ، صلاة يوازي عددها عدد ما كان من خالق الله وما سيكون ، ويحظى بركتها الأولون والآخرون ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد . فإن الغضب أشعل نار اقتبذت من نار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة ، وإنها المستكنة في طي الفؤاد ، استكنان الجمر تحت الرماد . ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد ، كاستخراج الحجر النار من الحديد . وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ، أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين ، فمن استفزته نار الغضب ، فقد فويت فيه قرابة الشيطان ، حيث قال (خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَنِي مِنْ طِينٍ ^(٢)) فإن شأن الطين السكون والوقار ، وشأن النار التلظى والاستعار ، والحركة والاضطراب . ومن نتائج لغضب الحقد والحسد ، وبهما هلك من هلك ، وفسد من فسد ، وفضض ما مضى ، وإذا صلحت صلح معها سائر الجسد . وإذا كان الحقد والحسد والغضب . مما يسوق العبد إلى مواطن العطب ،

فأُحوجّه إلى معرفة معانيه ومساويه ، ليحذر ذلك ويتقيه ، ويحيطه عن القلب إن كان وينفيه ،
ويمالجه إن رسخ في قلبه ويداويه ، فإن من لا يعرف الشر يقع فيه ، ومن عرفه فالعفة
لا تكفيه ، ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه

ونحن نذكر ذم الغضب ، وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ، وبمجموع ما يآذم الغضب ،
ثم بيان حقيقة الغضب ، ثم بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ، ثم بيان الأسباب
المبهجة للغضب ، ثم بيان علاج الغضب بمد هيئانه ، ثم بيان فضيلة كظم النيط ، ثم
بيان فضيلة الحلم ، ثم بيان القدر الذي يجوز الاتعاض والتشفي به من الكلام ، ثم القول في
معنى الحقد وتأنجه ، وفضيلة العفو والرفق ، ثم القول في ذم الحسد ، وفي حقيقة وأسابيه
ومما لجته ، وغاية الواجب في إزائته ، ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثل ، والأقران ،
والأخوة ، وبنى العم ، والأقارب . وتأكدته وقتله في غيرهم وضيقه ، ثم بيان الدواء الذي به
ينفي مرض الحسد عن القلب ، ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب ، وبالله التوفيق

بيان

ذم الغضب

قال الله تعالى : (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ^(١)) الآية ، ذم الكفار بما نطأهروا به من الحمية الصادرة عن
الغضب بالباطل ، ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة . وروى أبو هريرة
^(٢) أن رجلاً قال يا رسول الله ، مرني بعمل وأقلل . قال « لَا تَغْضَبْ » ثم أعاد عليه فقال
« لَا تَغْضَبْ » وقال ابن عمر ^(٣) قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم « قل لي قولاً وأقلله
لعلّي أعقله . فقال « لَا تَغْضَبْ » فأعدت عليه مرتين ، كل ذلك يرجع إلى لا تغضب .

(كتاب الغضب والحقد والحسد)

(١) حديث أبي هريرة أن رجلاً قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تغضب ثم أعاد عليه فقال

لا تغضب : رواه البخاري

(٢) حديث ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولاً وأقلل الحديث : نحوه أبو يعلى بإسناد حسن

وعن عبد الله بن عمرو ^(١) ، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ماذا ينقذني من غضب الله ؟ قال « لَا تَغْضَبُ » وقال ابن مسعود ^(٢) ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « أَمْتَدُّونَ الصَّرْعَةَ فَيَكُمُّ ؟ » قلنا الذي لا تصرعه الرجال . قال « لَيْسَ ذَلِكَ وَلَسَكُنَ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » وقال أبو هريرة ^(٣) قال النبي صلى الله عليه وسلم « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ وَإِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » وقال ابن عمر ^(٤) قال النبي صلى الله عليه وسلم « مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَهُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ » . وقال سليمان بن داود عليهما السلام : يا بني إياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف أواد الرجل الحليم . وعن عكرمة في قوله تعالى (وَسَيِّدٌ أَوْ حَصُورٌ) ^(٥) قال السيد الذي لا يغلبه الغضب . وقال أبو الدرداء ^(٦) قلت يا رسول الله ، داني على عمل يدخلني الجنة . قال « لَا تَغْضَبُ » وقال يحيى ليعسى عليهما السلام ، لا تغضب ، قال : لا أستطيع أن لا أغضب ، إنما أنا بشر . قال لا تقن مالا ، قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم ^(٧) « الْغَضَبُ يُفْسِدُ الْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبْرُ الْعَمَلَ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٨) « مَا غَضِبَ أَحَدٌ إِلَّا أَشْنَى عَلَى جَنَّتِهِ » وقال له رجل ^(٩) ، أى شيء أشد قال « غَضَبُ اللَّهِ » قال فما يمدني عن غضب الله ؟ قال « لَا تَغْضَبُ »

(١) حديث عبد الله بن عمرو سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمدني من غضب الله قال لا تغضب الطبراني في معارج الاخلاق وابن عبد البر في التمهيد باسناد حسن وهو عند أحمد وان عبد الله ابن عمرو هو السائل

(٢) حديث ابن مسعود قال صرعة - الحديث : رواه مسلم

(٣) حديث أبو هريرة وليس الشديد بالصُّرْعَةِ - الحديث : متفق عليه

(٤) حديث ابن عمر من كف غضبه ستر الله عورته : ابن أبي الدنيا في كتاب الغفو وذم الغضب وفي الصلوات وتهم في آفات اللسان

(٥) حديث أبي الدرداء داني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب : ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والوسط باسناد حسن

(٦) حديث الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العمل : الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف

(٧) حديث ما غضب أحد إلا أشنى على جنته : البراء بن عدي من حديث ابن عباس للارباب لا يدخله الا من شنى غيظه بجميعة الله واسناده ضعيف وتقدم في آفات اللسان

(٨) حديث قال رجل أى شيء أشد على قال غضب الله قال فما يمدني من غضب الله قال لا تغضب : أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشرط الاخير منه وقد تقدم قبله بست أحاديث

الآثار . قال الحسن : يا ابن آدم ، كلما غضبت وثبت ، ونوشك أن تثب وثبة تقع في النار . وعن ذي القرنين ، أنه أتى ملكاً من الملائكة ، فقال لعلمي علماً أزداد به إيماناً ويقيناً ، قال لا تغضب ، فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب ، فرد الغضب بالسكظم ، وسكنه بالوددة . وإياك والمجالة ، فإنك إذا عجلت أخطأت حظك . وكن سهلاً لينا للقريب والبعيد ، ولا تكن جباراً عنيداً

وعن وهب بن منبه ، أن راهباً كان في صومته : فأراد الشيطان أن يضله ، فلم يستطع فجاء حتى زاد ، فقال له افتح فلم يجبه ، فقال افتح . فأتى إذ ذمت ندمت ، فلم يلتفت إليه . فقال إني أنا المسيح قال الراهب ، وإن كنت المسيح ، فما أصنع بك ؟ أليس قد أمرت بالعبادة والاجتهاد ؟ ووعدتنا القيامة ؟ فلو جئتنا اليوم بغيره لم تقبله منك . فقال إني الشيطان ، وقد أردت أن أضلك فلم أستطع ، فجئت لك لتسألني عما شئت فأخبرك . فقال ما أريد أن أسألك عن شيء قال : فولي مدبراً . فقال الراهب ألا تسمع ؟ قال بلى . قال أخبرني أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم ؟ قال الحدة . إن الرجل إذا كان حديداً ، قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيشمة ، الشيطان يقول : كيف يغيبني ابن آدم ، وإذا رضي جئت حتى أكون في قلبه ، وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه . وقال جعفر بن محمد ، الغضب مفتاح كل شر . وقال بعض الأنصار ، رأس الحق الحدة ، وقائده الغضب . ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم ، والحلم زين ومنفعة ، والجهل شين ومضرة ، والسكوت عن جواب الأحمق جوابه . وقال مجاهد ، قال إبليس ، ما أعجزني بنو آدم فإن يمجزونني في ثلاث . إذا سكر أحدم أخذنا بمنزلة قتله حيث شئنا ، وعمل لنا جناحاً حينئذ . وإذا غضب قال بما لا يعلم ، وعمل بما يندم . ونجلاه في يديه ، وغنيه بما لا يقدر عليه . وقيل للحكيم ، ما أملك فلاناً لنفسه قال إذا نذله الشهوة . ولا يصبره الهوى ، ولا يعلبه الغضب . وقال بعضهم إياك والغضب فإنه يصيرك إلى ذلة الاعتذار . وقيل اتقوا الغضب فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل . وقال عبد الله بن مسعود : انظر وإلى حلم الرجل عند غضبه ، وأمانته عند طمعه ، وما علمك بحلمه إذا لم يغضب ، وما علمك بأمانته إذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله : أن لا تعاقب عند غضبك على رجل فأحبسه ، فإذا سكن غضبك فأخرج به فعاقه على قدر ذنبه . ولا تجاوز به خمسة عشرة سوطلاً . وقال علي بن زيد ، أغلظ

رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول : فأطرق عمر زمانا طويلا ، ثم قال أردت أن
يستغفرني الشيطان بذر السلطان ، فأنا لك اليوم ما تناله منى غدا . وقال بعضهم لابنه ،
يا بني ، لا يثبت العقل عند الغضب ، كما لا تثبت روح الحى فى التناير المسجورة .
أفعل الناس غضبا
أفعل الناس غضبا أعقابهم . فإن كان للدنيا كان دهاء ومكرا ، وإن كان للآخرة كان
حكما وعلما . فقد قيل الغضب عدو العقل ، والغضب غول العقل . وكان عمر رضى الله عنه
إذا خطب قال فى خطبته ، أفصح منكم من حفظ . من الطمع ، والهوى ، والغضب . وقال
بعضهم ، من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار . وقال الحسن : من علاه المسلم قوة
فى دين ، وحزم فى عين ، وإيمان فى يقين ، وعلم فى حلم ، وكيس فى رفق ، وإعطاء فى حق ،
وقصد فى غنى ، وتجمل فى فاقة ، وإحسان فى قدرة ، وتحمل فى رفاقة ، وصبر فى شدة ،
لا يتأبه الغضب ، ولا تجمع به الحمية . ولا تغلب شهوة ، ولا تقضه بطنه ، ولا يستخفه
حرصه ، ولا تقصر به نيته ، فينصر المظلوم ، ويرحم الضعيف ، ولا يبخل ، ولا يبذر ،
ولا يسرف ، ولا يقتدر ، يخفر إذا ظلم ، ويمدح عن الجاهل : نفسه منه فى عناء ، والناس منه فى رخاء
وقيل لعبد الله بن المبارك ، أجل لنا حسن الخلق فى كلمة . فقال ترك الغضب وقال نبي
من الأنبياء لمن تبعه ، من يتكلم لى أن لا يغضب ، فيكون معى فى درجتي ، ويكون بعدى
خلفتي . فقال شاب من القوم ، أنا . ثم أعاد عليه ، فقال الشاب أنا أوفى به فلما مات كان
فى منزله بعده ، وهو ذو الكفل . سعى به لأنه تكفل بالغضب ، ووفى به . وقال وهب
ابن منبه : للكفر أربعة أركان ، الغضب ، والشهوة ، والخرق ، والطمع .

بيان

حقيقة الغضب

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان ، بأسباب فى داخل بدنه ،
وأسباب خارجة عنه ، أنعم عليه بما يحويه عن الفساد . ويدفع عنه الهلاك ، إلى أجل معلوم
سماه فى كتابه . أما السبب الداخلى ، فهو أنه ركه من الحرارة والرطوبة ، وجعل بين
الحرارة والرطوبة عداوة وضادة ، فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة ، وتجففها ، وتبخرها ،
طبيعية تكويها
الجسم يخضع
فناؤه

حتى يصير أجزاؤها بخارا يتصاعد منها ، فلم يتصل بالطلو بتمدد من الغذاء ، فيجبر ما انحل
وتبخر من أجزائها ، لفسد الحيوان . فغناق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان ، وخلق في الحيوان
شهوة تهبته على تناول الغذاء ، كالموكل به في جبر ما انكسر ، وسد ما انتظم ، ليكون ذلك
حافظا له من الهلاك بهذا السبب

وأما الأسباب الخارجية التي يتعرض لها الإنسان ، فكالسيف ، والسنان ، وسائر المهلكات
التي يقصد بها ، فافتقر إلى قوة وحية تثور من باطنه ، فتدفع المهلكات عنه ، فخلق الله
في قلبه الغضب من النار ، وغرزا في الإنسان ، وعجنها بطيفته ، فهما صند عن غرض من
أغراضه ، ومقصود من مقاصده ، اشتملت نار الغضب ، وثارت به ثورا يملأ به دم القلب
ويتشرب في العروق ، ويرتفع إلى أعلى البدن كما ترتفع النار ، وكما يرتفع الماء الذي يشلى في
القدر . فلهذا ينصب إلى الوجه ، فيحمر الوجه والمين ، والبشرة لصفائها ، تحكى لون
ما وراءها من حمرة الدم ، كما تحكى الزجاجة لون ما فيها . وإنما ينسبط الدم إذا غضب على من دونه ،
واستشعر القدرة عليه . فإن صدر الغضب على من فوقه ، وكان معه بأس من الانتقام ، تولد
منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب ، وصار حزاما . ولذلك يصفر اللون . وإن كان
الغضب على نظير يشك فيه ، تردد الدم بين انقباض وانسباط ، فيحمر ويصفر ويضطرب
وبالجملة فتوة الغضب محالها القلب ، ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام . وإنما
تتوجه هذه القوة عند ثورتها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها ، وإلى التشنج والانتقام بعد
وقوعها . والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها ، وفيه لذتها ، ولا تسكن إلا به

ثم إن الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة ، من التفریط ، والإفراط
والاعتدال . أما التفریط ، فيفقد هذه القوة أو ضعفها ، وذلك مذموم . وهو الذي
يقال فيه إنه لاهية له . ولذلك قال الشافعي رحمه الله ، من استغضب فلم يغضب فهو حمار
فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلا . فهو ناقص جدا . وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم بالشدة والحمية ، فقال (أَسِدَاءٌ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ^(١)) وقال لنبيه
صلى الله عليه وسلم (جَاعِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ^(٢)) الآية . وإنما الغلظة والشدة

الأسباب
الطاهرة من
الجسم التي
تهلك قواؤه

من آثار قوة الحمية، وهو الغضب . وأما الإفراط . فهو أن تغلب هذه الصفة، حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته، ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة، ولا اختيار، بل يصير في صورة المضطر . وسبب غلبته أمور غريزية، وأمور اعتيادية. فرب إنسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب، حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان . ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب، لأن الغضب من النار؛ كما قال صلى الله عليه وسلم،
 (١) «وَلَمَّا بُرِدَتْ الْأَرْجُ تُطْفِئُهُ وَتُكْسِرُ سَوْرَتَهُ» .

وأما الأسباب الاعتيادية، فهو أن يخاطب قوما يتجحون بتشنى النيط، وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية، فيقول الواحد منهم أنا الذي لأصبر على المكر والمحال ولا أحتمل من أحد أمرا، ومعناه لا عقل في ولا حلم . ثم يذكره في معرض الفخر بجعله من صميمه رسخ في نفسه حسن الغضب، وحُب التشبه بالقوم، فيقوى به الغضب . ومهما اشتدت نار الغضب، وقوى اضطرابها، أعمت صاحبها، وأصمته عن كل موعظة، فإذا وعظ لم يسمع، بل زاده ذلك غضبا . وإذا استضاء بنور عقله، وراجع نفسه، لم يقدر . إذ ينطفئ نور العقل، وينحى في الحال بدخان الغضب . فإن معدن الفكر الدماغ . ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم إلى الدماغ، يستولى على معادن الفكر . وربما يمتد إلى معادن الحس، فتظلم عينه، حتى لا يرى بهينه، وتسود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطربت فيه نار، فاسود جوه، وحى مستقره، وامتلأ بالدخان جوانبه، وكان فيه سراج ضعيف فامحى، أو انطفأ نوره، فلا تثبت فيه قدم، ولا يسمع فيه كلام، ولا ترى فيه صورة، ولا يقدر على إطفائه لا من داخل ولا من خارج، بل يبنى أن يصير إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق . فكذلك يفعل الغضب بالعاب والدماغ . وربما تقوى نار الغضب، فتفنى الرطوبة التي بها حياة القلب، فيموت صاحبه غيظا، كما تقوى النار في الكهف فينشق، وتهب أعالى على أسفله وذلك لإبطال النار مافي جوانبه من القوة المسككة، الجامعة لأجزائه . فهكذا حال القلب عند الغضب . وبالحقيقة

(١) حديث الغضب من النار: الترمذي من حديث أبي سعيد بسند ضعيف الغضب جرة في قلب إبراهيم ولا يداود

من حديث عطية السعدي أن الغضب من الشيطان وأن الشيطان خلق من النار

فالسفينة في ملتطم الأمواج : عند اضطراب الرياح في لجة البحر . أحسن حالا ، وأرجى سلامة . من النفس المضطربة غيظا . إذ في السفينة من يحتمل لتسكينها وتديرها ، وينظر لها ويسوسها ، وأما القلب ، فهو صاحب السفينة ، وقد سقطت حيلته ، وإذا عمه الغضب وأحماه ومن آثار هذا الغضب في الظاهر : تغير اللون ، وشدة الرعدة في الأطراف ، وخروج

أثر الغضب

في الظاهر

الأفعال عن الترتيب والنظام : واضطراب الحركة والسلام . حتى يظهر الزبد على الأشداق وتحمّر الأحداق ، وتنقلب المناخر : وتستحيل الحلقة . ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته ، أسكن غضبه حياء من قبح صورته : واستحالة خلقته . وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره ، فإن الظاهر عنوان الباطن . وإنما تبحت صورة الباطن أولا ، ثم انتشرت بها إلى الظاهر ثانيا : فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن ، فتمس الثمرة بالثمرة . فهذا أثره في الجسد

أثره في النساء

وأما أثره في اللسان ، فاضلاقه بالاشتم والفتحش من الكلام ، الذي يستحي منه ذو العقل ، ويستحي منه قائله عند فتور الغضب . وذلك مع تحبط النظم ، واضطراب اللفظ

أثره

في الأعضاء

وأما أثره على الأعضاء ، فالضرب ، والتهجم ، والنزيق ، والقتل ، والجرح عند التمكن من غير مبالاة . فإن هرب منه المغضوب عليه ، أو فاته بسبب ، وعجز عن التشفى ، رجع الغضب على صاحبه ، فزق ثوب نفسه ، وياضم نفسه ، وقد يضرب يده على الأرض : ويمدو عدو الواله السكران ، والمدهوش المتحير ، وربما يسقط سريعا ، لا يطيق العدو والهوض بسبب شدة الغضب ، ويمتريه مثل النسيئة : وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصمة مثلا على الأرض ، وقد يكمر المائدة إذا غضب عليها ، ويتماطى أفعال المجانين ، فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها ، ويقول إلى متى منك هذا يا كيت وكيت ، كأنه يخاطب عافلا ، حتى ربما رفته دابة فيرفس الدابة ، ويقابلها بذلك

أثره في القلوب

وأما أثره في القلب مع المغضوب عليه ، فالخقد ، والحسد ، وإضمار السوء ، والشجاعة بالسأت ، والحزن بالسرور ، والعزم على إفشاء السر ، وهتك السر ، والاستهزاء ، وغير ذلك من القبائح . فهذه ثمرة الغضب المفرط . وأما ثمرة الحمية الضعيفة ، فقلة الأنفة بما يؤنف منه ، من التعرض للحرم ، والزوجة ، والأمة ، واجتال القل من الأخساء ، وصغر النفس ، والقهاة ، وهو أيضا مذموم . إذ من ثمراته عدم القيمة على الحرم ، وهو خنونة

قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « إِنَّ سَعْدًا لَيَبُورُ وَأَنَا أَغْيَرُ مِنْ سَعْدٍ وَإِنَّ اللَّهَ أَغْيَرُ مِنِّي » وإنما خلقت النيرة لحفظ الأنساب ؛ ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب . ولذلك قيل كل أمة وضعت النيرة في رجالها ، وضعت الصيانة في نساها .

النيرة من
عرقهم الأمم

ومن ضعف الغضب الخور ، والسكوت عند مشاهدة المنكرات . وقد قال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « خَيْرُ أُمَّتِي أَحَدُهَا » يعني في الدين . وقال تعالى (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ^(٣)) بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه ، إذ لا تتم الرياضة إلا بتسليط الغضب على الشهوة ، حتى يفضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة .

الغضب
المعروف

فقد الغضب مذموم ، وإنما المحمود غضب ينتظر إشارة العقل والدين ، فينبعث حيث تجب الحمية ، وينطفئ حيث يحسن الحلم . وحفظه على حدا لا اعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده . وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ^(٤) « خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا » . فمن مال غضبه إلى الفتور ، حتى أحس من نفسه بضعف النيرة وخسة النفس في احتمال الدل والضم في غير محله . فينبغي أن يعالج نفسه ، حتى يقوى غضبه . ومن مال غضبه إلى الإفراط ، حتى جره إلى التهور واقتحام الفواحش ، فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ، ويقف على الوسط الحق بين الطرفين ، فهو الصراط المستقيم ، وهو أرق من الشعرة ، وأحد من السيف . فإن عجز عنه ، فليطلب القرب منه قال تعالى (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَاثِرَتِ الْغَلَقِ ^(٥)) فليس كل من عجز عن الاتيان بالخبر كله ، ينبغي أن يأتي بالشر كله . ولكن بعض الشر أهون من بعض ، وبعض الخير أرفع من بعض

فهذه حقيقة الغضب ودرجاته ، نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه ، إنه على ما يشاء قدير

(١) حديث ابن سعد القيوري - الحديث : مسلم من حديث أبي هريرة . وهو متفق عليه من حديث النيرة

بنحوه وتقدم في التكميح

(٢) حديث خير أمتي أحداؤها : الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث علي بن رباح ضعيف وزاد

الدين إذا غضبوا رجسوا

(٣) حديث خير الأمور أوسطها : البيهقي في الشعب مرسل وقد تقدم

(٤) النور : ٢ (٢) النساء : ١٢٩

بيان

الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياسة أم لا

اعلم أنه فلن ظانون أنه يتصور نحو الغضب بالسلبية ، وزعموا أن الرياسة إليه تتوجه وإياه تقعد . وظن آخرون أنه أصل لا يقبل العلاج ، وهذا رأى من يظن أن الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير . وكلا الرأيين ضعيف . بل الحق فيه ما نذكره ، وهو أنه ما بقي الإنسان يحب شيئاً ويكره شيئاً ، فلا يخلو من النيط والغضب . وما دام يواقفه شيء ، ونفاقه آخر ، فلا بد من أن يحب ما يواقفه ، ويكره ما يفاقفه : والغضب يتبع ذلك . فإنه ، مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة . وإذا قصد بتركه غضب لا محالة . إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام

أقسام ما يحبه
الإنسان

الأول : ما هو ضرورة في حق السكافة ، كالثوب ، والمسكن ، والملبس ، وصحة البدن الضرورات فمن قصد بدنه بالضرب والجرح ، فلا بد وأن يغضب . وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته ، وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه ، أو أريق مؤه الذي اعطشه . فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها ، ومن غيظ على من يتعرض لها

الكمالات

القسم الثاني : ما ليس ضروريا لأحد من الخلق ، كالجاه ، والمال الكثير ، والفلسان والدواب . فإن هذه الأمور صارت بحسب العادة ، والجهل بتقاصد الأمور ، حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكثران ، وينغضب على من يسرقهما . وإن كان مستغنيا عنهما في القوت . فهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الإنسان عن أصل النيط عليه . فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه ، فهذا ما ظالم ، فيجوز أن لا يغضب . إذ يجوز أن يكون بصيرا بأمر الدنيا . فيزهده في الزيادة على الحاجة ، فلا يغضب بأخذها ، فإنه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها ، وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري ، كالجاه ، والصيت ، والتصدر في المجالس ، والمباهاة في العلم . فمن غلب هذا الحب عليه ، فلا محالة يغضب إذا زاحمه مزاحم على التصدر في المجالس . ومن لا يحب ذلك

فلا يزال ولو جلس في صف التمال ، فلا ينعضب إذا جلس غيره فوقه . وهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الإنسان ومكآرهه ، فأكثر غضبه . وكما كانت الإيرادات والشهوات أكثر ، كان صاحبها أخطر رتبة وأتقص . لأن الحاجة صفة تقص . فبما أكثرت كثر التقص . والجاهل أبدا جهده في أن يزيد في حاجاته وفي شهواته ، وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب النعم والحزن ، حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة ، ومخالطة قرناء السوء ، إلى أن ينعضب لو قيل له إنك لا تحسن اللعب بالطيور ، واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير ، وتناول الطعام الكثير ، وما يجري مجراه من الرذائل .

فالمغضب على هذا الجنس ليس بضروري ، لأن جبه ليس بضروري

الضرورات

فمحمود

ان بعض دونه

الان بعض

القسم الثالث : ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض . الكتاب ، مثلا في حق العالم ، لأنه مضطر إليه فيجبه ، فيغضب على من يحرقه ويترقه . وكذلك أدات الصناعات في حق المكتسب : الذي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها . فإن ماهو وسيلة إلى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبويا . وهذا يختلف بالأشخاص . وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (١) « مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرِّهِ ، مُعَانِي فِي بَدَنِهِ ، وَلَهُ قُوَّتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بَحْذًا فِيرَهَا » ومن كان بصيرا بحقائق الأمور ، وسلم له هذه الثلاثة ، يتصور : أن لا ينعضب في غيرها

فهذه ثلاثة أقسام ، فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها

أما القسم الأول : فليست الرياضة فيه ليندم غيظ القلب ، ولكن لكي يقدر على أن لا يطيع الغضب ، ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستجبه الشرع ، ويستحسنه العقل . وذلك ممكن بالمجاهدة : وتكلف الحلم والاحتفال مدة ، حتى يصير الحلم والاحتفال خلقا راسخا . فأما قمع أصل النبط من القلب ، فذلك ليس مقتضى الطبع ، وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضييفه ، حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن . وينتهي ضمه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه . ولكن ذلك شديد جدا . وهذا حكم القسم الثالث أيضا

تهديب
الغضب بغير
الضرورات

(١) حديث من أصبح آمنا في سربه ، معان في بدنه ، عند قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذأ فیرها : الترمذی

وابن ماجه من حديث عبيد الله بن عصفون قوله بحذا فیرها قال الترمذی حسن غريب

لأن ما صار ضروريا في حق شخص ، فلا يمنعه من التليظ استثناء غيره عنه . فالرياضة فيه تمنع العمل به ، وتغضب هيجانه في الباطن ، حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه .
وأما القسم الثاني : فيمكن التوصل بالرياضة إلى الانفكاك عن الغضب عليه ، إذ يمكن إخراج حبه من القلب . وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ، ومستقره الآخرة ، وإن الدنيا معبر يمر عليها ، ويتزود منها قدر الضرورة ؛ وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهده في الدنيا ، ويمحو حباها عن قلبه . ولو كان للإنسان كاب لا يحبه ، لا يغضب إذا ضربه غيره . فالغضب تبع للحب . فالرياضة في هذا تنتهي إلى قمع أصل الغضب ، وهو نادر جدا وقد تنتهي إلى المنع من استعمال الغضب ، والعمل بموجبه ، وهو أهون

فإن قلت : الضروري من القسم الأول التألم بفوات المحتاج إليه دون الغضب . فمن له شاة مثلا وهي قوته ، فمات ، لا يغضب على أخذ ، وإن كان يحصل فيه كراهة . وليس من ضرورة كل كراهة غضب ، فإن الإنسان يتألم بالفصد والحجامة ، ولا يغضب على الفصد والحجامة . فمن غلب عليه التوحيد ، حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه : فلا يغضب على أحد من خلقه ، إذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته ، كالقلم في يد الكاتب ، ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم ، فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته ، كما لا يغضب على موتها ، إذ يرى الذبح والموت من الله عز وجل ، فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ، ويندفع أيضا بحسن الظن بالله ، وهو أن يرى أن الكل من الله ، وأن الله لا يقدر له إلا ما فيه الخير . وربما تكون الخيرة في مرضه ، وجوعه ، وجرحه وقتله : فلا يغضب ، كما لا يغضب على الفصد والحجامة ، لأنه يرى أن الخيرة فيه . فتقول هذا على هذا الوجه غير محال . ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد ، إنما تكون كالبرق الخاطف ، تناب في أحوال مختلفة ولا تدوم . ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط ، رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه . ولو تصور ذلك على الدوام لبشر ، بتصوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) فإنه كان يغضب

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم يغضب حتى تحمر وجته : سلم من حديث جابر كان إذا خطب احمرت عيناه وسلا صوته واشتد غضبه ولحاحم كان . إذا ذكر الساعة احمرت وجته واشتد غضبه . وقد تقدم في أخلاق النبوة

منه
الغضب بفوات
الكائنات

حتى تحمر وجنتاه ، حتى قال ^(١) « اللَّهُمَّ إِنَّا بَشَرٌ أَغْضِبُ كَمَا يَنْغَضِبُ الْبَشَرُ فَإِنَّمَا يُسَلِّمُ سَبِيَّتُهُ أَوْ لَنْتَهُ أَوْ ضَرَبَتْهُ فَأَجْمَلُهَا مِنِّي صَلَاةٌ عَلَيْهِ وَزَكَاةٌ وَقُرْبَةٌ تَقْرُبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ، ^(٢) « يا رسول الله ، أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا ؟ فقال « أكتب فوالذي بعتني بالحق نبيًا ما يخرج منه إلا حق » وأشار إلى لسانه . فلم يقل إني لأغضب . ولكن قال إن الغضب لا يخرجني عن الحق ، أي لا أعمل بموجب الغضب . وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) « مَا لَكَ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ » فقالت ومالك شيطان ؟ قال « بلى وَلَكِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ فَأَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ قَلْبِي يَا مُرْنِي إِلَّا بِالْخَيْرِ » ولم يقل لاشيطان لي . وأراد شيطان الغضب ؛ لكن قال لا يحملني على الشر . وقال علي رضي الله عنه ، ^(٤) « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدين . فإذا أغضبه الحق ، لم يعرفه أحد ، ولم يقم لغضبه شيء ، حتى ينصرف له . فكان يغضب على الحق ، وإن كان غضبه لله ، فهو التفات إلى الوسائط على الجلة

بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته ، التي لا بد له في دينه منها ، فإنما غضب لله ، فلا يمكن الانفكاك عنه . نعم قد يفقد أصل الغضب فيما هو ضروري ، إذا كان القلب مشغولاً بضروري أم منه ، فلا يكون في القلب منسج للغضب ، لاشتغاله بغيره ، فإن استغرق القلب ببعض المهمات ، يمنع الاحساس بما عداه ، وهذا كما أن سملان لما شتم قال ، إن خفت موازيني فأنا شر مما تقول ، وإن قتلت موازيني لم يضرنى ما تقول . فقد كان همه مصروفاً إلى الآخرة ، فلم يتأثر قلبه بالشتم . وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال يا هذا ، قد سمع الله كلامك ، وإن دون الجنة عقبة ، إن قطعها لم يضرنى ما تقول ،

(١) حديث اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر - الحديث : مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أغضب كما يغضب البشر وقال جلده بدل ضربته وفي رواية اللهم أنا محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وأصله متفق عليه وقد سلم من حديث أنس أنا أنابشر أرضى كاي رضي البشر وأغضب كما يغضب البشر ولأبي بصير من حديث أبي سعيد أو ضربه

(٢) حديث عبد الله بن عمرو يا رسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال أكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه : أبو داود ونحوه

(٣) حديث غضبت عائشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك - الحديث : مسلم من حديث عائشة

(٤) حديث علي كان لا يغضب للدين - الحديث : الترمذي في الثقات وقد تقدم

وإن لم أقطعها فأنا شرماتقول . وسب رجل أبا بكر رضى الله عنه ، فقال ماستر الله عنك أكثر . فكأنه كان مشغولا بالنظر فى تقصير نفسه عن أن يتقى الله حق تقاته ، ويعرفه حق معرفته فلم ينضب نسبة غيره إياه إلى نقصان ، إذ كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان . وذلك لجلالة قدره . وقالت امرأة لمالك بن دينار ، يا مرأتى . فقال ما عرفنى غيرك . فكأنه كان مشغولا بأن ينفى عن نفسه آفة الرياء ، ومنكرا على نفسه ما يليقه الشيطان إليه ، فلم ينضب لما نسب إليه . وسب رجل الشعبي فقال ، إن كنت صادقا فغفر الله لى ، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الأقاويل دالة فى الظاهر على أنهم لم ينضبوا ، لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم . ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر فى قلوبهم ، ولكنهم لم يشتغلوا به ، واشتغلوا بما كان هو الأغلب على قلوبهم . فإذا اشتغال القلب بيمض المهمات ، لا يمدد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب . فإذا يتصور فقد الفيط ، إما باشتغال القلب بهم ، أو بذلة نظر التوحيد ، أو بسبب ثالث ، وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا ينتاظ ، فيعطى شدة حبه لله غيظه ، وذلك غير محال فى أحوال نادرة . وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب ، وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها ، كما سيأتى فى كتاب ذم الدنيا . ومن أخرج حب الزايا عن القلب ، تخلص من أكثر أسباب الغضب وما لا يمكن محوه ، يمكن كسره وتضميفه فيضف الغضب بسببه ، ويهون دفعه . نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه ، إنه على كل شىء قدير ، والحمد لله وحده .

بيان

الأسباب المهيجة للغضب

قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها ، وإزالة أسبابها . فلا بد من معرفة أسباب الغضب . وقد قال يحيى لعيسى عليه السلام ، أى شىء أشد؟ قال غضب الله . قال فما يقرب من غضب الله؟ قال أن تغضب ، قال فما يبدى الغضب وما ينبته؟ قال عيسى الكبر ، والفخر ، والتمزز ، والحمية والأسباب المهيجة للغضب . هى الزهو ، والعجب ، والمزاح ، والهزل ، والهزموالتمبير والمماراة . والمضادة ، والفدر ، وشدة الحرص على فضول المال والجاه ، وهى بأجمها أخلاق

ورديته مذمومة شرعا ، ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب ، فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأصداها . فينبغي أن تمت الزهو بالتواضع ، وتمت المعجب بعمركت بنفسك ، كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والمعجب ، وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد ، وإنما اختلفوا في الفضل أشتاتا ، فبنو آدم جنس واحد ، وإنما الفخر بالفضائل ، والفخر والمعجب والكبر أكبر الرذائل ؛ وهي أصاها وأرأسها فإذا لم تحمل عنها فلا فضل لك على غيرك . فلم تقتخر وأنت من جنس عبدك ، من حيث البنية والنسب ، والأعضاء الظاهرة والباطنة

وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذ اعرفت ذلك . وأما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة ، والعلوم الدينية ، التي تبانك إلى سعادة الآخرة . وأما الهزء فتزيله بالتسكرم عن إيذاء الناس ، وبصيانة النفس عن أن يستمزأ بك . وأما التعبير فبالحذر عن القول القبيح ، وصيانة النفس عن مرالجواب وأما شدة الحرص على مزايا الديش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة ، طلبا للزلاستغناء ، وترفعا عن ذل الحاجة . وكل خلق من هذه الأخلاق ، وصفة من هذه الصفات ، يقتدر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة . وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها ، لترغب النفس عنها ، وتفر عن قبها . ثم المواظبة على مباشرة أصدادها مدة مديدة ، حتى تصير بالمادة مألوفة هينة على النفس . فإذا انمحت عن النفس ، فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل ، وتخلصت أيضا عن الغضب الذي يتولد منها . ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال ، تسميتهم الغضب شجاعة ، ورجولية ، وعزة نفس ، وكبرهمة ، وتلقيبه بالألقاب المحموده ، غباوة وجهلا ، حتى تمل النفس اليه وتستحسنه . وقد يتأ كذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر ، في مرض المدح بالشجاعة . والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيجيج الغضب إلى القلب بسببه . وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل ، بل هو مرض قلب ، ونقصان عقل ، وهو لضعف النفس ونقصانها . وآية أنه لضعف النفس أن المريض أسرع غضبا من الصحيح ، والمرأة أسرع غضبا من الرجل ، والصبي أسرع غضبا من الرجل الكبير والشيخ الضميف أسرع غضبا من السكهل ، وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضبا

من صاحب الفضائل . فالرذل يفتن أشهونه إذا فاتته اللقمة ، ولبخله إذا فاتته الحبة ، حتى أنه يفتن على أهله وولده وأصحابه . بل القوى من يملك نفسه عند الغضب ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنْ شَاءَ الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو ، وما استحسنتهم من كظم الغيظ ، فإن ذلك . نقول عن الأنبياء والأولياء ، والحكماء والعلماء ، وأكابر الملوك الفضلاء . وضد ذلك منقول عن الأكراد والأتراك ؟ والجهلة والأغبياء ، الذين لا يقول لهم ، ولا فضل فيهم

بيان

علاج الغضب بعد هيجانه

ما ذكرناه هو جسم لمواد الغضب ؛ وقطع لأسبابه حتى لا يهيج . فإذا جرى سبب هيجه فمنده يجب التثبت ، حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم . وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل . أما العلم فهو ستة أمور

الأول : أن يتفكر في الأخبار التي سنوردها ، في فضل كظم الغيظ ، والعفو ، والحلم ، والاحتمال ، فيرغب في ثوابه ، فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشقي والانتقام وينطق به عنه غيظه . قال مالك بن أنس بن الجندان ، غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت يا أمير المؤمنين (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ^(١)) فكان عمر يقول (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ^(٢)) فكان يتأمل في الآية ، وكان وقفاً عند كتاب الله مهما تلى عليه ، كثير التدبر فيه ، فتدبر فيه ، وخلق الرجل . وأمر عمر ابن عبد العزيز بضرب رجل ، ثم قرأ قوله تعالى (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ^(٣)) فقال لنلامه خل عنه الثاني : أن يخوف نفسه بعقاب الله ، وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الإنسان ، فلو أمضيت غضبي عليه ، لم آمن أن يمضى الله غضبه علي يوم القيامة أخرج ما أكون إلى العفو ، فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة ، يا ابن آدم ، أذكرني حين

رماء نواب
كظم الغيظ

الخوف من الله
تعالى

(١) حديث ليس الشديد بالصُّرْعَةِ بالصُّرْعَةِ تقدم قبله

(٢) والأعراف : ١٩٩ (٣) آل عمران : ١٣٤

تغضب ، أذكرك حين أغضب ، فلا أعفك فممن أحق . وبمث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيما إلى حاجة ، فأبطأ عليه ، فلما جاء قال ^(١) « لَوْلَا الْقِتَاصُ لَأَوْجَعْتُكَ » أى القصاص فى القيامة . وقيل ما كان فى بنى إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم ، إذا غضب أعطاه صحيفة فيها أرحم المسكين ، واخشى الموت ، وأذكر الآخرة ، فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه الثالث : أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام ، وتشمير العدو لمقابله ، والسعى فى هدم أغراضه ، والشجاعة بمصائبه ، وهو لا يخلو عن المصائب : فيخوف نفسه بمواقب الغضب فى الدنيا ، إن كان لا يخاف من الآخرة . وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب ، وليس هذا من أعمال الآخرة ، ولا ثواب عليه ، لأنه متردد على حظوظه الملجلة ، يقدم بعضها على بعض ، إلا أن يكون محذوره أن تتشوش عليه فى الدنيا فراغته للعلم والعمل ، وما يمينه على الآخرة ، فيكون مثابا عليه

المرء من
الركن من
العداء

الرابع : أن يتفكر فى قبح صورته عند الغضب ، بأن يتذكر صورة غيره فى حالة الغضب ويتفكر فى قبح الغضب فى نفسه ، ومشابهة صاحبه للكلب الضارى ، والبيع العادى ، ومشابهة الحليم الهادى التارك للغضب ، للأنبياء والأولياء ، والعلماء والحكماء ، ويخبر نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والبيع وأراذل الناس ، وبين أن يتشبه بالعلماء والأنبياء فى عاداتهم لتميل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء ، إن كان قد بقي معه مسكة من عقل

انور من
صورة
لغضابه

الخامس : أن يتفكر فى السبب الذى يدعو إلى الانتقام ، ويعينه من كظم النفيظ ولا بد وأن يكون له سبب . مثل قول الشيطان له ، إن هذا يحمل منك على العجز ، وسفر النفس والذلة ، والهانة ، وتعبير حقيرا فى عين الناس . فيقول لنفسه ، ما أعجبت تأفنين من الاحتمال الآن ، ولا تأفنين من خزي يوم القيامة والافتضاح ، إذا أخذ هذا يدك وانتقم منه ! وتحذرين من أن تصغرى فى عين الناس ، ولا تحذرين من أن تصغرى عند الله والملائكة والقيمين انهما كظم النفيظ . فينبغى أن يكظمه الله ، وذلك يعظمه عند الله فالله والناس ، وذلك من ظلمه يوم القيامة أشد من ذلها وانتقم الآن . أفلا يحجب أن يكون هو القائم إذا نودى يوم القيامة ليقيم من أجره على الله . فلا يقوم إلا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الإيمان ينبغى أن يقرره على قلبه .

السادس: أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله، لا على وفق مراده. فكيف يقول مرادى أولى من مراد الله؟ ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه وأما العمل، فأن تقول بلسانك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) أن يقال عند الغيظ. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا غضبت عائشة، أخذ بأنفها وقال: يَا عَوِيْشُ قُوْلِيْ اَللّٰهُمَّ رَبِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ اغْفِرْ لِيْ ذَنْبِيْ وَاذْهَبْ غَيْظَ قَلْبِيْ وَاَجْرِ نِيْ مِنْ مُّضِلَّاتِ الْاَلْفَتَنِ ۖ فيستحب أن تقول ذلك

فإن لم يزل بذلك، فاجلس إن كنت قائماً، واضطجع إن كنت جالساً، واقرب من الأرض ^{المبارس} التي منها خلقت، لتعرف بذلك ذل نفسك. واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون، فإن ^{الاضطجاع} سبب الغضب الحرارة، وسبب الحرارة الحركة. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ^{عند الغضب} «إِنَّ النَّفْسَ جَرَّةٌ تَوَقَّدُ فِي الْقَلْبِ أَلَمْ تَرَوْا إِلَى اتِّفَافٍ أَوْ ذَاجٍ وَحُمْرَةٍ عَيْنِيهِ؟ فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ قَائِمًا فَلْيَجْلِسْ وَإِنْ كَانَ جَالِسًا فَلْيَمْسَ»

فإن لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل، فإن النار لا يطفئها إلا الماء فقد قال ^{الضرورة} صلى الله عليه وسلم^(٢) «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ بِمَاءٍ فَإِنَّمَا النَّفْسُ مِنَ النَّارِ» وفي رواية «إِنَّ النَّفْسَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَلَئِمَّا تَطْفَأُ النَّارُ

(١) حديث الامري بالمعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظ: متفق عليه من حديث سليمان بن صرد قال كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يبتان فأحدهما احمر وجهه وانفخت أوداجه - الحديث: وفيه لوقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم للهيب عنه ما يعجب فقالوا له إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعوذ بالله من الشيطان الرجيم - الحديث:

(٢) حديث كان إذا غضبت عائشة أخذاً بأنفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي - الحديث: ابن السني في اليوم والليلة من حديثها وتقدم في الأذكار والادعوات (٣) حديث إن النفس جرة توقد في القلب - الحديث: الترمذي من حديث أبي سعيد دون قوله توقد وقد تقدم ورواه بهذه اللفظة البيهقي في الشعب

(٤) حديث إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء البارد - الحديث: أبو داود ومن حديث عطية السعدي دون قوله بالماء البارد وهو بلفظ الرواية الثانية التي ذكرها المصنف وقد تقدم

يَا مَاءَ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ» وقال ابن عباس^(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « إِذَا غَضِبْتَ فَلَسْكُتْ » وقال أبو هريرة^(٢) ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
 غضب وهو قائم جلس ، وإذا غضب وهو جالس اضطجع ، فيذهب غضبه . وقال أبو سعيد
 الخدري ، قال النبي صلى الله عليه وسلم^(٣) « أَلَا إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ أَلَّا
 تَرَوْنَ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ قَدْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَلْصِقْ خَدَّهُ بِالْأَرْضِ »
 وكان هذا إشارة إلى السجود ، وتمكين أعز الأعضاء من أذل المواضع وهو التراب
 لتستشعر به النفس الذل ، وتزایل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب

السجود لله
مذهب
للفض

وروي أن عمر غضب يوماً؛ فدعا بماء فاستنشق وقال : إن الغضب من الشيطان ، وهذا
 يذهب الغضب . وقال عروة بن محمد ، لما استعملت على اليمن ، قال لي أبي ، أوليت ؟ قلت
 نعم . قال فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك ، وإلى الأرض تحتك ، ثم عظم خالقهما
 وروي أن أبانذر قال لرجل يا ابن الحراء ، في خصومة بينهما . فبلغ ذلك رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، فقال^(٤) « يَا أَبَا ذَرٍّ بَلَّغْنِي أَنَّكَ أَيُّوْمَ عَيَّرْتَ لَنَاكَ يَا مُمَّه »
 فقال نعم . فانطلق أبو ذر ليرضي صاحبه ، فسبقه الرجل فسلم عليه ، فذكر ذلك لرسول الله

(١) حديث ابن عباس إذا غضبت فاسكت : أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ لهما واليه بقي في شعب
 الأيمان وفيه لث بن أبي سليم

(٢) حديث أبي هريرة كان إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه
 ابن أبي الدنيا وفيه من لم يسم ولأحمد بساند جيد فإثناء حديث فيه وكان أبو ذر قائماً فجلس
 ثم اضطجع فقيل له لم جئت ثم اضطجعت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا إذا غضب
 أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب والأفليس اضطجع وللرفوع عند أبي داود وفيه
 عنده اضطجاع سقط منه أبو الأسود

(٣) حديث أبي سعيد أَلَا إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ - الحديث : الترمذي وقال حسن

(٤) حديث أبي ذر أن قال لرجل يا أبا الحراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم - الحديث :
 وفيه قال يا أبانذر ارفع رأسك فانظر - الحديث : وفيه ثم قال إذا غضبت إلى آخره ابن أبي الدنيا
 في اللغو وذم الغضب بساند صحيح وفي الصحيحين من حديث قال كان بيني وبين رجل من إخواني
 كلام وكانت أمه أعجمية فبهرته بأمة فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبانذر إنك
 امرؤ فيك جاهلي ولا أحد أعلم بالله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحمرو ولا أسود
 الآن فضله بتقوى ورجاه تها

صلى الله عليه وسلم فقال : « يَا أَبَا ذَرٍّ إِنْ بَغَى رَأْسُكَ فَأَنْظُرْ ثُمَّ اغْلَمْ أَنْفَكَ لَسْتُ بِأَفْضَلَ مِنْ أُخْرَ فِيهَا وَلَا أَسْوَدَ إِلَّا أَنْ تَفْضِلَهُ بِعَمَلٍ » ثم قال : « إِذَا غَضِبْتَ فَإِنْ كُنْتَ قَائِمًا فَأَقْمُدْ وَإِنْ كُنْتَ قَاعِدًا فَأَتَكِي » وَإِنْ كُنْتَ مُتَكِنًا فَأَضْطَجِعْ »

وقال المعتمر بن سليمان : كان رجل من كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه . فكتب ثلاث صحائف ، وأعطى كل صحيفة رجلا . وقال للأول . إذا غضبت فأعطني هذه . وقال للثاني إذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه . وقال للثالث . إذا ذهب غضبي فأعطني هذه . فاشتد غضبه يوما ، فأعطى الصحيفة الأولى ، فإذا فيها ، ما أنت وهذا الغضب ، إنك لست بإله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا . فسكن بعض غضبه ، فأعطى الثانية ، فإذا فيها ، ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء . فأعطى الثالثة ، فإذا فيها ، خذ الناس بحق الله ، فإنه لا يصلحهم إلا ذلك . أى لا تعطل الحدود . وغضب المهدي على رجل ، فقال شبيب لا تغضب الله بأشد من غضبه لنفسه ، فقال خلوا سبيله

فضيلة

كظم الغيظ

قال الله تعالى (وَالْكَافِرِينَ أَتَقَبِظُ ^(١)) وذكر ذلك في معرض الدح . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) « مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ وَمَنِ اعْتَدَرَ إِلَى رَبِّهِ قَبِلَ اللَّهُ عُذْرَهُ وَمَنْ خَزَنَ لِسَانَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « أَشَدُّكُمْ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَأَحْلَمَكُمْ مَنْ عَفَا عِنْدَ الْقُدْرَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم

أول ما دبت
الرائحة من
فمك كظم
الغيظ

(فضيلة كظم الغيظ)

(١) حديث من كف غضبه كفف الله عنه عذابه - الحديث : الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان واللفظه من حديث أنس بإسناد ضعيف ولا بن أبي الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وقام الله عذابه - أخرجه : وقد تهدم في آفات اللسان

(٢) حديث أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحلحكم من عفا عند القدرة : ابن أبي الدنيا من حديث علي بسند ضعيف والبيهقي في الشعب بالطبر الأول من رواية عبد الرحمن بن عجلان مرسل بإسناد جيد ولا يزال والطبراني في معارج الأخلاق واللفظه له من حديث أشدكم أملاككم أنفسكم عند الغضب وفيه عمران القطان يختلف فيه

(١) «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُخْصِيَهُ لَأَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِضًا» وفي

رواية «مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ أَشْنًا وَإِنَانًا» وقال ابن عمر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢)

«مَجْرَعُ عَبْدٍ جُرْعَةٌ أَكْظَمُ أَجْرًا مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا أَتَيْتَاهُ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى» وقال ابن

عباس رضي الله عنهما^(٣)، قال صلى الله عليه وسلم «إِنْ لَجِئْتُمْ بِأَبَا لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا مَنْ شَقِيَ

غَيْظُهُ مُخْصِيَةً لِلَّهِ تَعَالَى» وقال صلى الله عليه وسلم^(٤) «مَنْ جُرْعَةٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ جُرْعَةٍ

غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ وَمَا كَظَمَهَا عَبْدٌ إِلَّا مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ إِينَانًا» وقال صلى الله عليه وسلم^(٥) «مَنْ كَظَمَ

غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ وَيُخَيِّرُهُ مِنْ أَى الْحُورِ شَاءَ»

الآثار: قال عمر رضي الله عنه. من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء

كظم الغيظ ولولا يوم القيامة لكان غير مأترون. وقال لقمان لابنه. يا بني، لا تذهب ماء وجهك

بالسألة، ولا تشف غيظك بفضيحتك، واعرف قدرك تنفمك مديشتك. وقال أيوب:

حلم ساعة يدفع شرا كثير : واجتمع سفيان الثوري، وأبو خزعة اليربوعي، والفضيل

ابن عياض، فتذاكروا الزهد، فأجمعوا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب، والعبر

عند الجزع. وقال رجل لعمر رضي الله عنه، والله ما تقضى بالمدل، ولا تعطى الجزل.

فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه، فقال له رجل يا أمير المؤمنين، ألا نسمع أن الله تعالى

الآثار
الواردة في
كظم الغيظ

(١) حديث من كظم غيظا ولو شاء أن يخصيه أمضاه ملاء الله قلبه يوم القيامة رضاء ورواية أشنا وإينانا

ابن أبي الدنيا بالرواية الأولى من حديث ابن عمر وفيه سكن بن أبي سراج تكلم فيه ابن حبان

وأبو داود بالرواية الثانية من حديث رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه

ورواها ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وفيه عن لم يسم

(٢) حديث ابن عمر ماجرع رجل جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتداء وجه الله: ابن ماجه

(٣) حديث ابن عباس ان لجئتم بابا لا يدخل منه الا من شق غيظه بمخية الله: تقدم في آفات اللسان

(٤) حديث ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد الا ملاء الله قلبه

إينانا: ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس وفيه ضعف ويتفق من حديث ابن عمر وحديث

الصحابي الذي لم يسم وقد تقدم

(٥) حديث من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفعه دعاء الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أى

الحور شاء: تقدم في آفات اللسان

يقول . (خُذِ الْمَوْتَ وَأَمْرٌ بِالْمَرْغَبِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ^(١)) فهذا من الجاهلين . فقال عمر صدقت . فكأنما كانت ناراً فأطفت . وقال محمد بن كعب . ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله ، إذا رضى لم يدخله رضاء في الباطل ، وإذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق ، وإذا قدر لم يتناول مالبس له . وجاء رجل إلى سلمان ، فقال يا عبد الله أوصني . قال : لا تغضب . قال لا أقدر . قال : فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك :

بيان

فضيلة الحلم

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ ، لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم ، أى تكلف الحلم ، ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ، ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة . ولكن إذا تمود ذلك ، مدة صار ذلك اعتياداً فلا يهيج الغيظ . وإن هاج فلا يكون في كظمه تمب وهو الحلم الطبيعي ، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه ، 'نكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ، ولكن ابتداء التحلم وكظم الغيظ تكلفاً . قال صلى الله عليه وسلم ^(٢) : « إِنَّمَا أَلِمْ بِالْحِلْمِ وَالْحِلْمُ بِالْحِلْمِ وَمَنْ يَتَخَيَّرْ أَخِيْرَ يُعْطَهُ وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ » وأشار بهذا إلى أن اكتساب الحلم طريقة التحلم أولاً وتكلفه ، كما أن اكتساب العلم طريقته التعلم

وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) : « اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَأَطْلُبُوا مَعَ الْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ لِيُنْزِلَ عَلَيْكُمُ الْوَيْسُ وَالْوَيْسُ الْوَيْسُ وَلَا تَكُونُوا مِنْ جِبَابِرَةِ الْأَلْمَاءِ فَيَنْقَلِبَ جِهَاتُكُمْ جِهَاتُكُمْ » أشار بهذا إلى أن التكبر والتعجب ، هو الذى يهيج

(فضيلة الحلم)

(١) حديث إنما السلم بالتعلم والحلم بالنعم - الحديث الطبراني والدارقطني في العلل من ٢ - حديث أبي الرواد بسند ضعيف

(٢) حديث أبي هريرة طابوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم - الحديث : ابن السني في رياضته للتعلمين بسند ضعيف

الغضب وينتفع من الحلم واللين . وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم ^(١) « اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِالْعِلْمِ وَزَيِّنِي بِالْحِلْمِ وَأَكْرِمْ نِي بِالْتَّقْوَى وَجَعَلْنِي بِالْإِيفَةِ » وقال أبو هريرة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) « ابْتَغُوا الرِّفْعَةَ عِنْدَ اللَّهِ » قالوا وما هي يا رسول الله ؟ قال « تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطَى مَنْ حَرَمَكَ وَتَحْلُمُ عَمَّنْ جَهَلَ عَلَيْكَ »

وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « خَمْسٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ الْحَيَاءُ وَالْحِلْمُ وَالْحِجَابَةُ وَالسَّوَأُكُ وَالْتَعَطُّ » وقال على كرم الله وجهه : ^(٤) قال النبي صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ لَيُذْرِكُ بِالْحِلْمِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ وَإِنَّهُ لَيَكْتَسِبُ جَبَّارًا عَنِيدًا وَلَا يَمْلِكُ إِلَّا أَهْلَ يَدَيْهِ » وقال أبو هريرة ، ^(٥) « إِنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ لِي قَرَابَةَ أَصْلِهِمْ وَيَقْطَعُونِي وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَيَسْتَبِيتُونَ إِلَيَّ ، وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ . قَالَ « إِنَّ كَانَ كَمَا تَقُولُ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ أُمَّلٌ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ » كَذَمْتَ عَلَى ذَلِكَ « المثل يعني به الرمل .

^(٦) وقال رجل من المسلمين ، اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأصاب رجل أصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة . فأوحى الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، أني قد غفرت له

(١) حديث كان من دعائه اللهم اغنى العلم وزين بالحلم وأكرمني بالتقوى وجعلني بالعافية لم أجده أصلا

(٢) حديث ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي قال فصل من قطعتك - الحديث : الحاكم والبيهقي وقد تقدم

(٣) حديث خمس من سنن المرسلين الحياء والعلم والحجامة والسواك والتعطر : أبو بكر بن أبي عاصم في التنقيح والآحاد والترمذي الحاكم في نوادر الأصول من رواية مليح بن عبد الله الخطمي عن أبيه عن

جده ولترمذي وحسنه من حديث أبي أيوب أربع فأسقط الحلم والحجامة وزاد الحاكم

(٤) حديث على أن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم - الحديث : الطبراني في الأوسط بسند ضعيف

(٥) حديث أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويستبيتون

إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم - الحديث رواه مسلم

(٦) حديث قال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأصاب رجل أصاب من عرضي شيئا

فهو صدقة عليه - الحديث : أبو نعيم في الصحابة والبيهقي في الشعب من رواية عبد الجيد

ابن أبي عيسى بن جبر عن أبيه عن جده باستادلين زاذلبيقي عن علي بن زيد وعليه هو

الذي قال ذلك كما في إتمام الحديث وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنه رواه ابن عينة

عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلا من المسلمين ولم يسمه قال أفئته

أبا ضمضم قلت وليس بأبي ضمضم إنما هو علي بن زيد أو أبو ضمضم ليس له صحبة وإنما هو مقدم

* تسفهم لل : يعني تجعل وجوههم كلون الرماد

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) «أَيُّكُمْ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْعَم؟» قالوا وما أبو ضمعم؟ قال «رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَأَنَّ إِذَا أَصْبَحَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي تَصَدَّقْتُ الْيَوْمَ بِعِزِّي عَلَى مَنْ ظَنَّمِي». وقيل في قوله تعالى (رَبَّائِينَ) ^(٢) أى حبلاء علماء.

وعن الحسن في قوله تعالى (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) ^(٣) قال حبلاء إن جهل عليهم لم يجهلوا. وقال عطاء بن أبي رباح (يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) ^(٤) أى حبلاء. وقال ابن أبي حبيب في قوله عز وجل (وَكَهَلًا) ^(٥) قال السكهل متبهي الحلم. وقال مجاهد (وَإِذَا مَرُّوا بِالْفُؤِ مَرُّوا كِرَامًا) ^(٦) أى إذا أودوا صغروا ^(٧) . وروى أن ابن مسعود مر بالفقير معرضا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَصْبَحَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَأَمْسَى كَرِيمًا» ثم تلا إبراهيم ابن ميسرة، وهو الرواي، قوله تعالى (وَإِذَا مَرُّوا بِالْفُؤِ مَرُّوا كِرَامًا) ^(٨) وقال النبي صلى الله عليه وسلم ^(٩) «اللَّهُمَّ لَا يَدْرِكُنِي وَلَا أَدْرِكُهُ زَمَانٌ لَا يَتِمُّونَ فِيهِ التَّعْلِيمَ وَلَا يَسْتَحْيُونَ فِيهِ مِنَ الْحَايِمِ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْعَجَمِ وَالسِّنُّهُمُ أَسِنَّةُ الْعَرَبِ» وقال صلى الله عليه وسلم ^(١٠) «لَيْلِي مِنْكُمْ ذُورُ الْأَحْلَامِ وَالنَّهْيُ مِنْ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ وَلَا تَخْتَلَفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ». وروى أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الأشج، فأناخ راحلته ثم عقلاها، رطرح عنه ثوبين كانا عليه، وأخرج من الغيبة ثوبين حسنين فلندهما، وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يصنع، ثم أقبل يمشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عليه السلام ^(١١) «إِنَّ فِيكَ يَا أَشْجَ خَلْقِينَ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ».

- (١) حديث أبي جزم أحدكم أن يكون كأبي ضمعم - الحديث : تقدم في آفات اللسان
- (٢) حديث أن ابن مسعود مر بفقير معرضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما ابن المبارك في البير والماء
- (٣) حديث اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحلم - الحديث : أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف
- (٤) حديث ليلى منكم ذور أولوا الأحلام والنهى - الحديث : مسلم من حديث ابن مسعود قوله ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم فى عند أبى داود والترمذى وحسنهوى عند مسلم في حديث آخر لابن مسعود
- (٥) حديث يا أشج إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة - الحديث : متفق عليه

(١) آل عمران : ٢٩ (٢) الفرقان : ٦٣ (٣) آل عمران : ٤٦ (٤) الفرقان : ٢٢

قال ماها باني أنت وأمي يارسول الله؟ قال « الْحِلْمُ وَالْإِنَاءُ » فقال خلتان تخلقتهما أو خلقان جبلت عليهما؟ قال « بَلْ خُلقَانِ جَبَلَكَ اللهُ عَلَيْهِمَا » فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله . وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « إِنْ اللهُ يُحِبُّ الْحَلِيمَ الْحَيِيَّ ، أَلْتَفِيَّ أَلْتَعْتَفَ أَبَا أَيْمَالٍ التِّيَّ وَبَيْقَعُ الْفَاحِشِ أَلْبَذِي السَّائِلِ أَلْمَلْحِفِ النَّسِي »

وقال ابن عباس ، ^(٢) قال النبي صلى الله عليه وسلم « ثَلَاثٌ مَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ فَلَا آمَنُذُوا بِنَبِيِّ مِنْ عَمَلِهِ تَقْوَى تَحْجُزُهُ عَنْ مَاصِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحِلْمٌ يَكْفِي بِهِ السُّعْيَةَ وَخُلُقٌ يَبْشُرُ بِهِ فِي النَّاسِ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) « إِذَا جَمَعَ اللهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ أَيْنَ أَهْلُ الْفَضْلِ ؟ فَيَقُومُ نَاسٌ وَهُمْ يَسِيرُونَ فَيَنْطَلِقُونَ سِرَاعًا إِلَى الْجَنَّةِ فَيَسْتَلْقَاهُمْ أَلْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُونَ لَهُمْ إِنَّا رَأَيْنَاكُمْ سِرَاعًا إِلَى الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ نَحْنُ أَهْلُ الْفَضْلِ فَيَقُولُونَ لَهُمْ مَا كَانَ فَضْلُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ كُنَّا إِذَا ظَلَمْنَا صَبَرْنَا وَإِذَا أَسَىءَ إِلَيْنَا عَفَوْنَا وَإِذَا جُهِلَ عَلَيْنَا حَلُمْنَا فَيَقَالُ لَهُمْ اذْخُلُوا الْجَنَّةَ فَنِمَّ أَجْرُ أَلْعَامِلِينَ »

الآثار : قال عمر رضي الله عنه . تعلموا العلم ، وتعلموا العلم السكينة والحلم . وقال علي رضي الله عنه . ليس الخير إن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر حلمك ، ويمظم حلمك وأن لا تباهى الناس بعبادة الله ، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى ، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى ، وقال الحسن اطلبوا العلم ، وزينوه بالوقار والحلم . وقال أكرم بن صفي : دعامة العقل الحلم ، وجماع الأمر الصبر ، وقال ابو النرداء : أذكرت الناس ورقا لاشوك فيه ، فأصبحوا شوكا لا ورق فيه ، إن عرفتكم نقدوك ، وإن تركتهم لم يتركوك . قالوا كيف نصنع ؟ قال تقرضهم عن عرضك ليوم فترك . وقال علي رضي الله عنه : إن أول ما عوض الحليم من حلمه : أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . وقال معاوية رحمه الله تعالى ، لا يبلغ العبد مبلغ الرأى ،

الآثار
المرادة في
فضل الحلم

(١) حديث ان الله يحب الحلي الحليم التقي المتعفف - الحديث : الطبراني من حديث سعد أن الله

يحب العبد التقي التقي الحق

(٢) حديث ابن عباس ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعدن بشيء من عمله أبو نعيم في كتاب الإيعاز

بإسناد ضعيف والطبراني من حديث أم سلمة بإسنادين وقد تقدم في آداب الصلوة

(٣) حديث اذا جمع الخلاق نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس - الحديث : وفيه اذا جهل علينا حلنا

البيهقي في شعب الإيعاز من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال البيهقي في إسناده ضعيف

حتى يغلب حلمه جهله ، وصبره شهوته . ولا يبالغ ذلك إلا بقوة العلم . وقال معاوية لعمر بن الخطاب : أي الرجال أشجع ؟ قال من رده جهله بحلمه . قال أي الرجال أسخى قال من بذل ديناه لصالح دينه . وقال أنس بن مالك ، في قوله تعالى (فَإِذْ الَّذِي يَبْتَئِكَ وَيَبْتَئُهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ^(١)) إلى قوله (عَظِيمٌ ^(٢)) هو الرجل يشتبه أخوه ، فيقول إن كنت كاذباً ففقر الله لك ، وإن كنت صادقاً فقفر الله لي .

وقال بعضهم شمتت فلانا من أهل البصرة ، فحلم علي ، فاستعبدني بها زمانا . وقال معاوية لعروة بن أوس ، هم سدت قلوبك يا عروبة ؟ قال يا أمير المؤمنين ، كنت أحلم عن جاهلهم ، وأعطيت سائلهم ، وأسعى في حوائجهم . فن فعل فعل فهو مثلي ، ومن جاوزني فهو أفضل مني ، ومن قصر عني فأنا خير منه . وسب رجل ابن عباس رضى الله عنهما ، فلما فرغ ، قال يا عكرمة ، هل للرجل حاجة فنقضها ؟ فنكس الرجل رأسه واستحي ، وقال رجل لعمر بن عبد العزيز ، أشهد أنك من الفاسقين . فقال ليس تقبل شهادتك .

وعن علي بن الحسين بن علي رضى الله عنهم ، أنه سب رجلا ، فرمى إليه بحمصة كانت عليه ، وأمر له بألف درهم . فقال بعضهم ، جمع له خمس خصال محمودة ، الحلم ، وإسقاط الأذى ^{علم هي به} وتخليص الرجل مما يبعد من الله عز وجل ، وحمله على الندم والتوبة ، ورجوعه إلى مدح ^{الحسين} بعد القم . اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير . وقال رجل لجعفر بن محمد ، إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر ، وإني أريد أن أتركه ، فأخشى أن يقال لي إن تركته ذل . فقال جعفر : إنما الدليل الظالم . وقال الخليل بن أحمد ، كان يقال من أساء فأحسن إليه ، فقد جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل إساءته . وقال الأحنف بن قيس ، لست بحليم ، ولكنني أتحملم . وقال وهب بن منبه ، من يرحم يرحم ، ومن يصمت ^{مكر فانية} يسلم ، ومن يجمل يغلب ، ومن يعجل يخطئ ، ومن يحرص على الشر لا يسلم ، ومن لا يدع المرء يشتم ، ومن لا يكره الشرا ثم . ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ^{لديه منبه} ومن يحذر الله يأمن ، ومن يتول الله ينج ، ومن لا يسأل الله يفقر ، ومن يأمن مكر الله

يخذل ، ومن يستمن بالله يظهر . وقال رجل لمالك بن دينار ، بلغني أنك ذكرتني بسوء قال أنت إذا أكرم على من نفسي . إنى إذا فعلت ذلك أهديت لك حسنتي . وقال بعض العلماء ، الحلم أرفع من العقل ، لأن الله تعالى تسمى به . وقال رجل لبعض الحكماء ، والله لأمينك سبأ يدخل معك في قبرك ، فقال معك يدخل لامى . ومريم عليه الصلاة والسلام تقوم من اليهود ، فقالوا له شراء فقال لهم خيرا . فقيل له إنهم يقولون شراء وأنت تقول خيرا فقال كل ينفق مما عنده . وقال لقمان ، ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة ، لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه

ودخل على بعض الحكماء صديق له ، فقدم إليه طعاما ، فخرجت امرأة الحكيم ، وكانت سيئة الخلق ، فرفت المائدة ، وأقبلت على شتم الحكيم . فخرج الصديق مغضبا . فتبهمه الحكيم وقال له ، تذكر يوم كنا فى منزلنا نطعم ، فسقطت دجاجة على المائدة ، فأفسدت ما عليها فلم يغضب أحد منا . قال نعم . قال فاحسب أن هذه ، مثل تلك الدجاجة . فمرى عن الرجل غضبه وانصرف ، وقال صدق الحكيم ، الحلم شفاء من كل ألم . وضرب رجلا قدم حكيم فأوجعه ، فلم يغضب . فقيل له فى ذلك . فقال أخته مقام حجر ثمرت به . فذبححت الغضب وقال محمود الوراق

سأزيم نفسى المفتح عن كل مذنب	وإن كثرت منه على الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة	شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذى فوق فأعرف قدره	وأتبى فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فإن قال صنت عن	إجابته عرضى وإن لآم لآثم
وأما الذى مثلى فإن زل أو هفا	تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

بيان

القدر الذى يجوز الانتصار والتشقى به من الكلام

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابله بمثله . فلا يجوز مقابلة النية بالنية ولا مقابلة التجسس بالتجسس ، ولا السب بالسب ، وكذلك سائر المماضى . وإنما القصاص والغرامة على قدر ما ورد الشرع به ، وقد فصلناه فى الفقه . وأما السب فلا يقابل بمثله ،

إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) «إِنْ أَمْرُكَ بِمَا فِيكَ فَلَا تُعْرِضْهُ بِمَا فِيهِ»
وقال «الْمُسْتَبَانُ مَا لَا قَهْوَىٰ عَلَىٰ الْبَادِيءِ مَا لَمْ يَتَّخِذْ الْمَلْطُومَ» وقال ^(٢) «الْمُسْتَبَانُ
شَيْطَانُكَانٍ يَهْتَزَانِ» وشتم رجل ^(٣) أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وهو ساكت فلما
ابتدأ ينتصر منه، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر، إنك كنت ساكتا
لما شتمني فلما تكلمت قُت؟ قال «لَا إِنَّ الْمَلَأَ كَانَ يُجِيبُ عَنْكَ فَلَمَّا تَكَلَّمْتَ ذَهَبَ الْمَلَأُ
وَجَاءَ الشَّيْطَانُ فَلَمْ أَكُنْ لِأَجْلِسَ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ الشَّيْطَانُ»

استد ما يجرى
الرد على
الشاتم

وقال قوم تجوز المقاتلة بما لا كذب فيه : وإنا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
مقاتلة التعديبر بعثه نهي تنزيه ، والأفضل تركه ، ولكنه لا يعضى به . والذي يرخص فيه ،
أن تقول من أنت ؟ وهل أنت إلامن بنى فلان ؟ كما قال سعد لابن مسعود : وهل أنت
إلامن بنى هذيل ؟ وقال ابن مسعود وهل أنت إلامن بنى أمية ؟ ومثل قوله يأحق .
قال بطرف ، كل الناس أحق فيما بينه وبين ربه ، إلا أن بعض الناس أقل حفاقة من بعض
وقال ابن عمر ^(٤) في حديث طويل ، حتى ترى الناس كلهم حتى في ذات الله تعالى

وكذلك قوله يا جاهل : إذ ما من أحد إلا وفيه جهل ، فقد آذاه بما ليس بكذب
وكذلك قوله يا بني الخلق ، يا صفيق الوجه ، يا نلأبا للأعراض ، وكان ذلك فيه .
وكذلك قوله لو كان فيك حياة لما تكلمت ، وما أحقرك في عيني بما فعلت ، وأخزأك
الله وانتقم منك . فأما التهمة ، والغيبة ، والكذب ، وسب الوالدين ، فحرام بالاتفاق

دليل من الروايات
على الشاتم

لما روى أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام ، فذكر رجل خالدا عند سعد ، فقال سعد
مه ، إن ما بيننا لم يبلغ ديننا . يعني أن يأثم بعضنا في بعض . فلم يسمع السوء ، فكيف
يجوز له أن يقوله . والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام ، كالنسبة إلى الزنا

(١) حديث إن امرؤ عرك بما فيك فلا تعيره بما فيه : أحمد من حديث جابر بن مسلم وقد تقدم

(٢) حديث المستبانان يهتزان : تقدم

(٣) حديث شتم رجل أبا بكر رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام صلى الله عليه وسلم
- الحديث : أبو داود من حديث أبي هريرة متصلا ومرسلا قال البخاري المرسل أصح

(٤) حديث ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حتى في ذات الله عز وجل : تقدم في العلم

والفحش والسب ، ما روت عائشة رضي الله عنها ، ^(١) أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن إليه قطعة : فجاءت فقالت يا رسول الله ، أرسلني إليك أزواجك يسألك العدل في ابنة أبي قحافة ، والنبي صلى الله عليه وسلم قائم ، فقال « يَا بَيَّةُ أَتُحِبُّنِ مَا أُحِبُّ ؟ » قالت نعم . قال « فَأَجِبِّي هَذِهِ » فرجعت إليهن ، فأخبرتهن بذلك ، فقلن ما أغنيت عنا شيئا . فأرسلن زينب بنت جحش ، قالت وهي التي كانت تساءلني في الحب ، فجاءت فقالت ، بنت أبي بكر ، وبنت أبي بكر ، فما زالت تذكرني وأنا ساكتة ، أنتظر أن يأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب ، فأذن لي . فسببتها حتى جف لسانها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « كَلَّا إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ » يعني أنك لا تقاومينها في السلام قط . وقولها سببتها ليس المراد به الفحش ، بل هو الجواب عن كلامها بالحق ، ومقابلتها بالصدق

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) « اَلْمُسْتَبَانَ مَا قَالَا قَتَلَى الْبَادِي مِنْهُمَا حَتَّى يَمْتَدِيَ الظُّلُومُ » فأثبت للظلم انتصارا إلى أن يمتد . فهذا القدر هو الذي أباحه هؤلاء ، وهو رخصة في الإيذاء جزاء على إيذائه السابق ، ولا يبعد الرخصة في هذا القدر ، ولكن الأفضل تركه ، فإنه يجره إلى ما وراءه ، ولا يمكنه الانتصار على قدر الحق فيه . والسكوت عن أصل الجواب ، لعله أيسر من الشروع في الجواب ، والوقوف على حد الشرع فيه . ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فورة الغضب ، ولكن يعود سريره ، ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس في الغضب أربعة ، فبعضهم كالخلفاء ، سريع الوقود سريع الخلود . وبعضهم كالنساء ، بطيء الوقود بطيء الخلود ، وهذا هو بطيء الوقود سريع الخلود ، وهو الأحمق ، ما لم ينته إلى فتور الحمية والنفرة . وبعضهم سريع الوقود بطيء الخلود ، وهذا هو شرم . وفي الخبر ^(٣) « الْمُؤْمِنُ سَرِيعُ الْغَضَبِ سَرِيعُ الرِّضَا » فهذه تلك . وقال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان .

ورجاء الناس
في الغضب

(١) حديث عائشة أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن فاطمة فقالت يا رسول الله أرسلني أزواجك

يسألك العدل في ابنة أبي قحافة - الحديث : رواه مسلم

(٢) حديث للمستبان ما قالوا قتل البادي - الحديث : رواه مسلم وقد تقدم

(٣) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضا - الحديث : رواه مسلم وقد تقدم

الرابع : وهو دونه ، أن تعرض عنه استهزاءه
الخامس : أن تتكلم فيه بما لا يحل ، من كذب ، وغيبة ، وإفشاء سر ، وهتك ستر ، وغيره
السادس : أن تحاكيه استهزاء به ، وسخرية منه
السابع : إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه

الثامن : أن تمنحه حقه من قضاء دين ، أو صلة رحم ، أو رد مظلمة ، وكل ذلك حرام
وأقل درجات الحقد أن تبرز من الآفات الثمانية المذكورة ، ولا تخرج بسبب الحقد
إلى ما نصى الله به ، ولكن تستقله في الباطن ، ولا تنهى قلبك عن بغضه ، حتى تمتنع
عما كنت تطوع به من البشاشة ، والرفق ، والنهاية ، والقيام بحاجاته ، والمجالسة معه على
ذكر الله تعالى ، والمأونة على المنفعة له . أو بترك الدعاء له ، والثناء عليه ، أو التحريض على بره
ومواساته . فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ، ويحول بينك وبين فضل عظيم ، وثواب
جزيل . وإن كان لا يعرضك لمقاب الله ^(١) . ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق
على مسطح ، وكان قريبه ، لكونه تكلم في واقعة الإفك ، نزل قوله تعالى (وَلَا يَأْتِلِ
أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ ^(٢)) إلى قوله (أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ^(٣)) فقال أبو بكر
نعم نحب ذلك . وعاد إلى الإنفاق عليه . والأولى أن يبقى على ما كان عليه ، فإن أمكنه
أن يزيد في الإحسان مجاهدة للنفس ، وارعاما للشيطان ، فذلك مقام الصديقين ، وهو من
فضائل أعمال المؤمنين . فلاحقود ثلاثة أحوال عند القدرة

أحدها . أن يستوفي حقه الذي يستحقه ، من غير زيادة ونقصان وهو العدل

الثاني : أن يحسن إليه بالعفو والصلة : وذلك هو الفضل .

الثالث : أن يظلمه بما لا يستحقه ، وذلك هو الجور ، وهو اختيار الأراذل ، والثاني
هو اختيار الصديقين ، والأول هو منتهى درجات الصالحين ، والآخر الآن فضيلة العفو والإحسان

(١) حديث للحلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح نزل قوله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم الآية متفق

عليه من حديث عائشة

فضيلة

المغو والإحسان

اعلم أن معنى المغو أن يستحق حقاً ، فيسقطه ويبرئ عنه ، من قصاص أو غرامة ، وهو غير الحلم وكظم الغيظ ، فلذلك أفرده ، قال الله تعالى (خُذِ الْمَغْوَ وَالْمُرُ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ^(١)) وقال الله تعالى (وَأَنْ تَعْمُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ^(٢))

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) « ثَلَاثٌ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كُنْتُ خَلِيفَةً خَلَفْتُ مَلَائِكَةً مَا قَصَّ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا وَلَا عَقَارٌ جُلُّ عَنْ مَظْلَمَةٍ يَنْتَفِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَتَحَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٤) « التَّوَّاضِعُ لَا يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلَّا رِفْعَةً فَتَوَاضَعُوا يَرْفَعْكُمْ اللَّهُ وَالْمَغْوُ لَا يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلَّا عِزًّا فَاعْمُوا يُرَكِّمُ اللَّهُ وَالصَّدَقَةُ لَا تَزِيدُ إِلَّا مَالًا إِلَّا كَثْرَةً فَتَصَدَّقُوا يَرْحَمْكُمْ اللَّهُ » . وقالت عائشة رضي الله عنها ، ^(٥) ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظالمها قط ، ما لم يشتمك من محارم الله . فإذا انتهك من محارم الله شيء ، كان أشدَّهم في ذلك غضباً . وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، ما لم يكن إثمًا . وقال عقبه : لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، فأبتدرته فأخذت يده أوبدني فأخذ يدي . فقال ^(٦) « يَا عَقْبَةُ أَلَا أَخْبَرُكَ بِأَفْضَلِ أَخْلَاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ وَتَغْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث ثلاث والذي نفسى بيده ان كنت خالفا لحلفت عليهن ما هتفت صدقة من مال - الحديث :

الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري وسلم وأبي داود نحوه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله : الأصمهاني في الترغيب والترهيب وأبو منصور

الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف

(٣) حديث عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظالمها قط - الحديث :

الترمذي في الدهاطل وهو عند مسلم بلفظ آخر وقد تقدم

(٤) حديث عقبه بن عامر يا عقبه ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وغفو عمن ظلمك - الحديث

ابن أبي الدنيا والطبراني في معارج الأخلاق والبيهقي في الشعب بسند ضعيف وقد تقدم

(١) «قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا رَبِّ أَيُّ عِبَادِكَ أَعَزُّ عَلَيْكَ؟ قَالَ الَّذِي إِذَا قَدَّرَ عَفَا» وكذلك مثل أبو الدرداء عن أعر الناس، قال الذي يعفو إذا قدر، فاعفوا يعزكم الله

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس، وأراد أن يأخذه بمظلمته. فقال له صلى الله عليه وسلم (٢) «إِنَّ الْمُظْلَمِينَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فأبى أن يأخذهما حين سمع الحديث. وقالت عائشة رضي الله عنها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ دَعَا عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ فَقَدْ انتَصَرَ» وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) «إِذَا بَثَّ اللَّهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ يَنْتَشِرُ الْوَحْدَيْنِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَفَا عَنْكُمْ فَلْيَغْفُفْ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ» وعن أبي هريرة (٤) «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فَتَحَ مَكَّةَ، طَافَ بِالْبَيْتِ، وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ أَتَى الْكَعْبَةَ، فَأَخَذَ بِضَادَتِي الْبَابِ فَقَالَ «مَا تَقُولُونَ وَمَا تَطْنُونُ؟» فَقَالُوا نَقُولُ أَخَاهُ وَابْنَ عَمِّهِ حَلِيمٍ رَحِيمٍ. قَالُوا ذَلِكَ ثَلَاثًا فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَقُولُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ» (لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ أَلْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (١)

(١) حديث قال موسى يارب أي عبادك أعز عليك قال الذي إذا قدر عفا: الخرائطي في كرام الأفعال

من حديث أبي هريرة وفيه ابن طهية

(٢) حديث ابن القيم يوم القيامة وفي أوله قصة ابن أبي الدنيا في كتاب الغفر من رواية

أبي صالح الحنفى مرسل

(٣) حديث أنس إذا بَثَّ الله عز وجل الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات

يامشر للوحدتين أن الله قد عفا عنكم فليغف بعضكم عن بعض: أبو سعيد أحمد بن إبراهيم

القرى في كتاب البصرة والتذكرة بلفظ ينادى مناد من بطان العرش يوم القيامة يامة محمد

أن الله تعالى يقول ما كان لي قلبكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوا وادخلوا الجنة

برحمتي وأسناده ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ نادى مناد يأهل الجمع تاركوا المظالم

بينكم وثوابكم على وله من حديث أم هانئ ينادى مناد يأهل التوحيد ليغف بعضكم

عن بعض وطى الثواب

(٤) حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلّى ركعتين ثم أتى

الكعبة فأخذ بضادتي الباب فقال ما تقولون - الحديث: رواه ابن الجوزي في الوفاء من طريق

ابن أبي الدنيا وفيه ضعف

قال فخرجوا كأنما نشروا من القبور، فدخلوا في الإسلام. وعن سهيل بن عمرو قال (١) لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، وضع يديه على باب الكعبة، والناس حوله فقال «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ صَدَقَ وَعْدُهُ وَنَصَرَ عَبْدُهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» ثم قال «يَا مُشْرِكُ قُرَيْشٍ مَا تَقُولُونَ وَمَا تَطْنُونَ؟» قال قلت يا رسول الله، تقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن عم رحيم؛ وقد قدرت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَقُولُ كَمَا قَالَ أَحِبِّي يَوْسُفُ» (لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيَّامَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ) (٢)

وعن أنس قال (٣)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إِذَا وَتَّعَ الْعِبَادُ نَادَى مُنَادٍ لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ» قيل ومن ذا الذي له أجر؟ قال «الْمَأْفُونُ عَنِ النَّاسِ قِيَمُومٌ كَذَا وَكَذَا أَلْفًا فَلْيَدْخُلُونَهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ» وقال ابن مسعود، (٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لَا يَنْبِيئُنِي لَوْلَى أَمْرٍ أَنْ يُؤْتَى بِحَدِّهِ إِلَّا أَقَامَهُ وَاللَّهُ عَفْوٌ يُحِبُّ الْعَفْوَ» ثم قرأ «وَلْيَعْلَمُوا وَلِيَصْغَفُوا» (٥) الآية. وقال جابر، (٦) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثَلَاثٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيْمَانٍ دَخَلَ مِنْ أَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ وَزَوْجٌ مِنَ الْخَوَرِ الْعَيْنِ حَيْثُ شَاءَ مَنْ أَدَّى دَيْنًا خَفِيًّا وَقَرَأَ فِي ذُبُرِكُلِّ صَلَاةٍ (كُلُّهُمُ اللَّهُ أَحَدٌ) (٧) عَشْرَ مَرَّاتٍ وَعَفَا عَنْ قَاتِلِهِ» قال أبو بكر، أو إحداهن يا رسول الله؟ قال «أَوْ إِحْدَاهُنَّ»

(١) حديث سهل بن عمرو لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة

الحديث: بنحوه لم أجده

(٢) حديث أنس إذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي أجره على الله

قال المأفون عن الناس - الحديث: الطبراني في معكرم الأخلاق وفيه الفضل بن يسار

ولا يتابع على حديثه

(٣) حديث ابن مسعود لا ينبئني لوالى أمر أن يؤتى بهد إلا أقامه والله عفو يحب العفو - الحديث: أحمد

والحاكم وصحبه وتقدم في آداب الصلاة

(٤) حديث جابر ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء - الحديث: الطبراني

في الأوسط وفي الدعاء يستند ضعيف

أما تارة
في فضل العفو

الآثار : قال ابراهيم التيمي : إن الرجل ليظلمني فأرحمه . وهذا إحسان وراء العفو ، لأنه يشتغل قلبه بعرضه لمصيبة الله تعالى بالظلم ، وأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب . وقال بعضهم ، إذا أراد الله أن يحف عبدا ، فيض له من يظلمه . ودخل زجل على عمر ابن عبد العزيز رحمه الله ، فجعل يشكو إليه رجلا ظلمه ، ويقع فيه . فقال له عمر إنك إن تاتي الله ومظلمتك كما هي ، خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها . وقال يزيد بن ميسرة : إن ظلمت تدعو على من ظلمك ، فإن الله تعالى يقول ، إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمته ؛ فإن شئت استجبنا لك ، وأجبنا عليك ، وإن شئت أخرت كلا إلى يوم القيامة فيسمعكما عفوى . وقال مسلم بن يسار ، لرجل دعا على ظالمه : بكل الظالم إلى ظلمه ، فإنه أسرع إليه من دعائك عليه ، إلا أن يتداركه بعمل ، وقن أن لا يفعل . وعن ابن عمر عن أبي بكر أنه قال ، بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة ، فينادي من كان له عند الله شيء فليقم ، فيقوم أهل العفو ، فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس . وعن هشام بن محمد قال ، أتى النعمان بن المنذر برجلين ، قد أذنب أحدهما ذنبا عظيما ، فعفا عنه ، والآخر أذنب ذنبا خفيفا ، فماقيه وقال

تمفو الملوك عن العظيم من الذنوب بفضلها
ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجسمها
إلا يعرف حملها ويخاف شدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال ، وفد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر . قال فكنت عنده ، إذ أتني برجل فأمر بقتله . فقلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر . فقلت يا أمير المؤمنين ، ألا أحدثك حديثا سمعته من الحسن ، قال وما هو ، قلت سمعته يقول ، إذا كان يوم القيامة ، جمع الله عز وجل الناس في صيد واحد ، حيث يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر . فيقوم مناد فينادي ، من له عند الله يد فليقم . فلا يقوم إلا من عفا . فقال والله لقد سمعته من الحسن ؟ فقلت والله لسمعته . أنه . فقال خلينا عنه

وقال معاوية : عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة . فإذا أمكنكم فمليكم بالصفح وإذا فضال . وروى أن راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب ، أرايت ذا القرنين ،

أَكَلَتْ نَبِيًّا؟ فَقَالَ لَا. وَلَكِنَّهُ إِذَا أُعْطِيَ مَا أُعْطِيَ بِأَرْبَعِ خِصَالٍ كُنْ فِيهِ. كَانَ إِذَا قَدَّرَ عَفَا، وَإِذَا وَعَدَ وَفَى، وَإِذَا حَدَّثَ صَدَقَ، وَلَا يَجْمَعُ شُغْلُ الْيَوْمِ لَعْدًا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَيْسَ الْحَلِيمُ مِنْ ظَلَمَ خَلْفَهُ، حَتَّى إِذَا قَدَّرَ انْتَقَمَ، وَلَكِنَّ الْحَلِيمَ مَنْ ظَلَمَ خَلْفَهُ، حَتَّى إِذَا قَدَّرَ عَفَا. وَقَالَ زِيَادُ، الْقِدْرَةُ تَذْهَبُ الْحَفِيزَةُ، يَعْنِي الْحَقْدُ وَالنَّضْبُ. وَأَتَى هِشَامُ بِرَجُلٍ يُلْقِي عَنْهُ أَمْرًا، فَلَمَّا أَقْبَمَ بَيْنَ يَدَيْهِ، جَعَلَ يَتَكَلَّمُ بِحِجَّتِهِ. فَقَالَ لَهُ هِشَامُ، وَتَتَكَلَّمُ أَيْضًا؟ فَقَالَ الرَّجُلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا^(١)) أَفْتُجَادِلُ اللَّهَ تَعَالَى وَلَا تَتَكَلَّمُ بَيْنَ يَدَيْكَ كَلَامًا؟ قَالَ هِشَامُ، بَلَى وَيَحْكُ تَتَكَلَّمُ. وَرَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ دَخَلَ خِيَابَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ بِصَفِينٍ، فَقَالَ لَهُ أَفَطَعَهُ فَإِنَّهُ مِنْ أَعْدَائِنَا. فَقَالَ بَلْ أَسْتَرَّ عَلَيْهِ، لَعَلَّ اللَّهَ يَسْتَرُّ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَجَلَسَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي السُّوقِ يَتَبَاعَعُ طَعَامًا، فَاتَّبَاعَ، ثُمَّ طَلَبَ الدَّرَاهِمَ، وَكَانَتْ فِي عِمَامَتِهِ، فَوَجَدَهَا قَدْ حُلَّتْ. فَقَالَ لَقَدْ جَلَسْتُ وَإِنَّمَا لَمْ يُمْ، فَجَعَلُوا يَدْعُونَ عَلَيَّ مِنْ أَخْذِهَا وَيَقُولُونَ، اللَّهُمَّ أَقْطِعْ يَدَ السَّارِقِ الَّذِي أَخْذَهَا، اللَّهُمَّ أَفْضَلْ بِهِ كَذَا فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ حَمْلُهُ عَلَى أَخْذِهَا حَاجَةً فَبَارِكْ لَهُ فِيهَا. وَإِنْ كَانَ حَمْلُهُ جَرَاءَةً عَلَى الذَّنْبِ فَاجْعَلْهُ آخِرَ ذَنْوَبِهِ. وَقَالَ الْفَضِيلُ، مَا رَأَيْتُ أَزْهَدَ مِنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ خِرَاسَانَ، جَلَسَ إِلَى فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، ثُمَّ قَامَ لِيَطُوفَ، فَسَرَقَتْ دَنَانِيرُ كَانَتْ مَعَهُ، فَجَلَّ بِبِكِي فَقَالَ أَعْلَى الدَّنَانِيرُ تَبْكِي؟ فَقَالَ لَا. وَلَكِنْ ثَلَاثَتِي وَإِيَّاهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَشْرَفَ عَقْلِي عَلَى إِحْدَاسِ حِجَّتِهِ فَبَكَتْنِي رَحْمَتُهُ. وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ أَتَيْنَا مَنْزِلَ الْحَكِيمِ بْنِ أَيُّوبَ لَيْلًا. وَهُوَ عَلَى الْبَصَرِ قَامِيرٌ وَجَاهُ الْحَسَنِ وَهُوَ خَائِفٌ. فَدَخَلْنَا مَعَهُ عَلَيْهِ، فَمَا كُنَّا نَعْرِضُ إِلَّا بَنَزْلَ الْفَرَارِيحِ فَذَكَرَ الْحَسَنُ قِصَّةَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا صَنَعَ بِهِ إِخْوَتُهُ مِنْ يَمِيمٍ إِيَّاهُ، وَطَرَحَهُمْ لَهُ فِي الْجُبِّ. فَقَالَ بَاعُوا أَخِيَّامَ، وَأَحْزَنُوا أَبَايَ. وَذَكَرَ مَا لَقِيَ مِنْ كَيْدِ النِّسَاءِ وَمِنْ الْخُبْسِ، ثُمَّ قَالَ، أَيُّهَا الْأَمِيرُ، مَاذَا صَنَعَ اللَّهُ بِهِ؟ أَدَالَهُ مِنْهُمْ، وَرَفَعَ ذِكْرَهُ، وَأَعْلَى كَلِمَتَهُ، وَجَعَلَهُ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ. فَمَاذَا صَنَعَ حِينَ أَكَلَ لَهُ أَمْرُهُ؟ وَجَمَعَ لَهُ أَهْلُهُ؟ قَالَ (لَا تَبْشُرُ بِعَلَيْكُمْ^(٢) أَيُّوْمَ يَفْقِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ^(٣)) يَمُرُّ بِالْحَكَمِ بِالْفَوْعِ عَنْ أَصْحَابِهِ. قَالَ الْحَكَمُ، فَأَنَا أَقُولُ (لَا تَبْشُرُ بِعَلَيْكُمْ أَيُّوْمَ^(٤)) وَلَوْلَمْ أَجِدْ إِلَّا تَوْبَتِي هَذَا لَوَارِثَتِكُمْ تَحْتَهُ.

وكتب ابن المقفع إلى صديق له: يسأله المغفور عن بعض إخوانه، فلان هارب من زلته إلى عفوك. لائذ منك بك . واعلم أنه لن يزداد الذنب عظما . إلا ازداد المغفور فضلا وأنى عبد الملك بن مروان بأسارى بن الأشعث ، فقال لرجاء بن حيوة ، ما ترى ؟ قال إن الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر ، فأعطاه ما يحب من المغفور . فمغانهم . وروى أن زيادا أخذ رجلا من الخوارج ، فأقلت منه ، فأخذ أخا له ، فقال له إن جئت بأخيك ولأضربت عنقك فقال أرأيت إن جئت بك كتاب من أمير المؤمنين تخلى سبيلي ؟ قال نعم . قال فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم ، وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى . ثم تلا (أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ) بِعَافَى صُحُفٍ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى : أَنْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (١) فقال زياد: خلوا سبيله ؟ هذا رجل قد لفت حجتته : وقيل مكتوب في الإنجيل ، من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان

فضيلة الرفق

اعلم أن الرفق محمود ، وبضاده العنف والحدة . والعنف نتيجة النضب والفظاظة ، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة . وقد يكون سبب الحدة النضب ، وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاءه ، بحيث يدهش عن التفكير ، ويمنع من التثبت . فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق . ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة النضب وقوة الشهوة ، وحفظهما على حد الاعتدال . ولأجل هذا أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق ، وبالنسبة إليه ، فقال (١) « يَا عَائِشَةُ إِنَّهُ مَنْ أَعْطَى حَقَّهُ مِنْ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَقَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ حَرَّمَ حَقَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ حَرَّمَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ أَهْلًا نَبَتْ أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفْقَ »

﴿ فضيلة الرفق ﴾

(١) حديث عائشة أنه من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة - الحديث : أحمد

والقبلى فى الضعفاء فى ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر لأبي بكر وضعفه عن القاسم عن عائشة

وفى الصحيحين من حديثها بإعانة أن الله يحب الرفق فى الأمر كله

(٢) حديث إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق : أحمد بسند جيد والبيهقى فى الشعب بسند ضعيف من حديث عائشة

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « إِنَّ اللَّهَ لَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطَى عَلَى الْخُرْقِ وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا أَعْطَاهُ الرَّفْقَ وَمَا مِنْ أَهْلٍ يَنْتَ يُحْرَمُونَ الرَّفْقَ إِلَّا أُحْرِقُوا بِحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى ». وقالت عائشة رضی الله عنها : قال النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) « إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ بِمَحَبَّةِ الرَّفْقِ وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطَى عَلَى الْعَنْفِ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « يَا عَائِشَةُ ارْفُقِي فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلٍ يَنْتَ كَرَامَةً ذَلَّمَهُمْ عَلَى بَابِ الرَّفْقِ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٤) « مَنْ يُحْرِمِ الرَّفْقَ يُحْرِمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٥) « أَيُّمَا وَالٍ وَبَنٍ فَرَّقَ وَلَانَ رَفَقَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٦) « تَذَرُونَ مَنْ يُحْرِمُ عَلَى النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ كُلُّ هَيْئٍ لَبَنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٧) « الرَّفْقُ يُبْنِي وَالْخُرْقُ يُشْوِمُ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٨) « التَّائِي مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ ». وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال ^(٩) « يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ قَد بَارَكَ لَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فِيكَ : فَاخْصَصْنِي مِنْكَ بِخَيْرٍ : فَقَالَ « الْحَمْدُ لِلَّهِ » مرتين

(١) حديث أن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق - الحديث : الطبراني في الكبير من حديث جرير بإسناد ضعيف

(٢) حديث أن الله رقيق بمحبة الرفق - الحديث : مسلم من حديث عائشة

(٣) حديث يا عائشة ارفقي أن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة ذلهم على باب الرفق : أحمد من حديث عائشة وفيه انقطاع ولأبي داود بإسناد ضعيف

(٤) حديث من يحرم الرفق يحرم الخير كله : مسلم من حديث جرير دون قوله كله فهي عند أبي داود

(٥) حديث أيما والٍ وبني فلان ورفق رفق الله يوم القيامة : مسلم من حديث عائشة وفي حديث فيوم من دلى من أمر أمي شيئا فرفق بهم فارفق به

(٦) حديث تدرون على من يحرم النار على كل هين لين سهل قريب : الترمذي من حديث ابن مسعود وقد تقدم في آداب الصحبة

(٧) حديث الرفق يبن والخرق يشوئ : الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلاهما ضعيف

(٨) حديث التائي من الله والمجالة من الشيطان : أبو يعلى من حديث أنس ورواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد بلفظ الأناة من الله وقد تقدم

(٩) حديث أتاه رجل فقال يا رسول الله أن الله قد بارك لي فيك - الحديث وفيه فإذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فأهله - الحديث : ابن المبارك في الزهد والرفائق من حديث أبي جعفر هو الحسن بن عبد الله بن مسور الهاشمي ضعيف جدا ولأبي نعيم في كتاب الأيمان من رواية

إسماعيل الأنصاري عن أبيه عن جده إذا هممت بأمر فأجلني فتدبر عاقبته وإسناده ضعيف

أو ثلاثاً، ثم أقبل عليه فقال «هل أنت مستوص» مرتين أو ثلاثاً. قال نعم. قال «إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته فإن كان رشداً فامضه وإن كان سيئاً فأتته» وعن عائشة رضي الله عنها، أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، على بعير صعب فجمعت نصرته يميناً وشمالاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) «يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»

الآثار الواردة في الرفق

الآثار : بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن جماعة من رعيته اشتكوا من صمالة، فأمرهم أن يوافوه. فلما أتوه، قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال، أيها الناس، أيها الرعية إن لنا عليكم حقاً، النصيحة بالغيث، والمعاونة على الخير. أيها الرعاة، إن للرعية عليكم حقاً، فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز، من حلم إمام ورفقه. وليس جهل أبغض إلى الله ولا أعم، من جهل إمام وخرقه. واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه، يرزق العافية ممن هو دونه. وقال وهب بن منبه، الرفق ثمن الحلم. وفي الخبر موقفاً ومرفوعاً^(٢) «أعلم خليل المؤمنين والحلم وزيره وأتقل دليله وأعمل قيمته والرفق وليه واللين أخوه والصبر أمير جنوده» وقال بعضهم: ما أحسن الإيعان يزينه العلم، وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق. وما أضيف شيء إلى شيء، مثل حلم إلى علم. وقال عمرو ابن الماص لابنه عبد الله، ما الرفق؟ قال. أن تكون ذا أناة فتلاين الولاية. قال فما الخرق؟ قال. معادة إمامك، وأناة من يقدر على ضررك. وقال سفيان لأصحابه، تدرؤن ما الرفق؟ قالوا قل يا أبا محمد قال: أن تضع الأمور مواضعها، الشدة في موضعها، واللين في موضعها، والسيف في موضعه والوسط في موضعه. وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج النظة باللين، والفظاظة بالرفق كإيفاء. ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى.

(١) حديث عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه - الحديث : رواه مسلم

(٢) حديث العلم خليل المؤمنين والحلم وزيره وأتقل دليله والعمل قائمه والرفق والله أبو الشيع في كتاب

الغرائب فضائل الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف ورواه القضاة في مسند الشراة من

حديث أبي هريرة وأبي هريرة وكلاهما ضعيف

فالمحمود وسط بين المنف واللين ، كما في سائر الأخلاق : ولكن لما كانت الطبائع إلى المنف والحدة أميل ، كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر . فلهذا كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون المنف ، وإن كان المنف في محله حسنا ، كما أن الرفق في محله حسن . فإذا كان الواجب هو المنف ، فقد وافق الحق الهوى ، وهو الذي من الزبد بالشهد ، وهكذا : وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، روي أن عمرو بن العاص ، كتب إلى معاوية يعاتبه في الثاني ، فكتب إليه معاوية

أما بعد . فإن التهم في الخير زيادة رشد ، وإن الرشيد من رشد عن العجلة ، وإن الخائب من خاب عن الأناة ، وإن المثبت مصيب ، أو كاد أن يكون مصيبا . وإن العجل غطى ، أو كاد أن يكون غطئا . وأن من لا ينفعه الرفق يضره الخرق . ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي . وعن أبي عون الأنصاري ، قال ماتكم الناس بكلمة صعبة ، إلا إلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها . وقال أبو حمزة الكوفي . لا تتخذ من الخدم إلا ما لا بد منه ، فإن مع كل إنسان شيطانا واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئا ، إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه . وقال الحسن . المؤمن وقاف متأن ، وليس كحاطب ليل .

فهذا انتباه أهل العلم على الرفق ، وذلك لأنه محمود ، ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور . والحاجة إلى المنف قد تقع ، ولكن على التدور . وإنما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع المنف ، فيعطى كل أمر حقه ، فإن كان قاصر البصيرة ، أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع ، فليكن ميله إلى الرفق ، فإن النجح معه في الأكثر

القول

في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته

بيان

ذم الحسد

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد ، والحقد من نتائج الذنب ، فهو فرع فرع ، والنفسب أصل أصل . ثم إن للحسد من القروع البهيمية ما لا يكاد يحصى . وقد ورد في ذم

الحسد خاصة بأخبار كثيرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْخُطْبَ » وقال صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد وأسبابه وثمراته ^(٢) « لَا تَحْسَدُوا وَلَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا »

وقال أنس ^(٣) : كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال « يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ مِنْ هَذَا الْقَعْرِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » قال فطلع رجل من الأنصار ينفض لحيته من وضوئه ، قد علق نعليه في يده الشمال ، فسلم . فلما كان الغد : قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك . فطلع ذلك الرجل . وقاله في اليوم الثالث ، فطلع ذلك الرجل . فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم ، تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال له ، إني لاحيت أبي ، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا . فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث فعلت . فقال نعم . فبات عنده ثلاث ليال ، فلم يره يقوم من الليل شيئا ، غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ، ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر . قال غير أني ماسمته يقول إلا خيرا . فلما مضت الثلاث ، وكنت أن أحتقر عمله ، قلت يا عبد الله ، لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا ، فأردت أن أعرف حملك ، فلم أرك تمل صلا كثيرا . فوالذي بلغ بك ذلك ؟ فقال ما هو إلا ما رأيت . فلما وليت دعائي فقال . ما هو إلا ما رأيت ، غير أني لأجد على أحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا ، على خير أعطاه الله إياه . قال عبد الله : فقلت له هي التي بلغت بك ، وهي التي لا نطق

(أقول في ذم الحسد)

- (١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الخشب : أبو داود . من حديث أبي هريرة وابن ماجه ، من حديث أنس وقد تقدم
- (٢) حديث لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا - الحديث : متفق عليه وقد تقدم
- (٣) حديث أنس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن . من هذا الفج رجل من أهل الجنة - الحديث بطوله وفيه أن ذلك الرجل قال لأجد على أحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله : رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه البزار وصححه الرجل في رواية له سندا وفيها ابن لهيعة

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « ثَلَاثٌ لَا يَنْجُو مِنْهُنَّ أَحَدُ الظَّنِّ وَالطَّيْرَةُ وَالْحَسَدُ وَسَاحِدُكُمْ بِأَنْخَرِجَ مِنْ ذَلِكَ إِذَا ظَنَنْتَ فَلَا تُحَقِّقْ وَإِذَا تَطَيَّرْتَ فَلَا تُغْنِي وَإِذَا سَدْتَ فَلَا تَنْجِي » وفي رواية « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْجُو مِنْهُنَّ أَحَدٌ وَقَالَ مَنْ يَنْجُو مِنْهُنَّ » فأثبت في هذه الرواية إمكان النجاة . وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « دَبُّ إِلَيْكُمْ ذَا الْأُمِّ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ خَالِقَةُ الشَّعَرِ وَلَكِنْ خَالِقَةُ الدِّينِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَلَا أُنبِئُكُمْ بَمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا وَكَادَ الْحَسَدُ أَنْ يَغْلِبَ الْقَدَرَ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٤) « إِنَّهُ سَيُصِيبُ أُمَّتِي ذَا الْأُمِّ » قالوا وما ذاء الأمم ؟ قال « الْأَشْرُ وَالْبَطَرُ وَالسَّكَاوَةُ وَالتَّنَافُسُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّبَاعُدُ وَالتَّحَاسُدُ حَتَّى يَكُونَ الْبَغْضَاءُ بَيْنَهُنَّ الْخَرْجُ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٥) « لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فِيمَا فِيهِ اللَّهُ وَيَتَبَلَّك » . وروى أن موسى عليه السلام ، لما تجل إلى ربه تعالى ، رأى في ظل العرش رجلا ، فنبطه بمكانه . فقال إن هذا الكريم على ربه . فسأل

(١) حديث ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطعن والحسد - الحديث : وفي رواية وقال من ينجو منهن ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهري وموسى ابن يعقوب الزهري ضعفهما الجهور والرواية الثانية رواها ابن أبي الدنيا أيضا من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف والطبراني من حديث حارثة بن النعمان نحوه وتقدم في ثلث اللسان

(٢) حديث دب إليكم ذاء الأمم الحسد والبغضاء - الحديث : الترمذي من حديث مولى الزبير عن الزبير (٣) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر : أبو مسلم السكتي والبيهقي في الشعب من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط من وجه آخر بلفظ كادت الحاجة أن تكون كفرا وفيه ضعف أيضا

(٤) حديث انه سيبب أمتي ذاء الأمم قبلكم قالوا وما ذاء الأمم قال الأشتر والبطر - الحديث : ابن أبي الدنيا في ذم الحسد والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة باسناد جيد

(٥) حديث لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه ويتبلك : الترمذي من حديث واثلة بن الأسقع وقال حسن ضريب وفي رواية ابن أبي الدنيا في رحمه الله

ربه تعالى أن يخبره باسمه فلم يخبره ، وقال أحدثك من عمله ثلاث . كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، وكان لا يوق والديه ، ولا يمشى بالنميمة . وقال زكريا عليه السلام . قال الله تعالى : الحاسد عدو لعملي . متسخط لقضائي ، غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي أَنْ يَكْثُرَ فِيهِمُ الْمَالُ فَيَتَحَاسَدُونَ وَيَقْتُلُونَ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ الْحَوَائِجِ بِالْكِفَايَةِ فَإِنْ كُنْ ذِي نِعْمَةٍ تَحْسُدْ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « إِنْ لَنِعَ اللَّهُ أَعْدَاءُ فَقِيلَ وَنَحْمُ ؟ فَقَالَ « الَّذِينَ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٤) « سِتَّةٌ يَدْخُلُونَ النَّارَ قَبْلَ الْحِسَابِ سِتَّةٌ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ قَالَ « أَلَّا رَأَوْا بِالْجَوْرِ وَأَلَّا تَرَبُّوا بِالْإِعْسَابِ وَاللَّهَّافِينَ بِالتَّكْبِيرِ وَالشَّجَّارُ بِالْحَيَاةِ وَأَهْلُ الرُّسْتَانِ بِالْجَهْلَةِ وَالْعُلَمَاءُ بِالْحَسَدِ » الآثار : قال بعض السلف ، أول خطيئة كانت هي الحسد . حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته ، فأبى أن يسجد له ، فحمله الحسد على المعصية . وحكى أن عون بن عبد الله ، دخل على الفضل بن المهلب ، وكان يومئذ على واسط . فقال إني أريد أن أعظك بشيء . فقال وما هو ؟ قال إياك والسكبر ، فإنه أول ذنب عصي الله به ، ثم قرأ (وَإِذْ قُلْنَا لِلْأَنْبِيَاءِ)

- (١) حديث أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتلون : ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي عامر الأشعري وفيه ثابت بن أبي ثابت جهله أبو حاتم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد أن ما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ولها من حديث عمرو بن عوف البصري والله ما الفقر أخشى عليكم ولا كثرة أخشى أن تبسط عليكم الله نيا الحديث وسلم من حديث عبد الله بن عمرو إذا فتحت عليكم فارس والروم الحديث وفيه يتنافسون ثم يتحاسدون ثم يتدابرون الحديث ولأحمد والبخاري من حديث عمرو لا يفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة
- (٢) حديث استعينوا على قضاء الحوائج بالكفاية قلن كل ذي نعمة محسود : ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث معاذ بنند ضعيف

- (٣) حديث إن لنعم الله أعداء قيل ومن أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله : الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس أن لأهل النعم حسادا فاحذروهم
- (٤) حديث ستة يدخلون النار قبل الحساب ستة قيل يا رسول الله ومن هم قال الأمراء بالجور - الحديث : وفيه والعلماء بالحسد أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر وأنس بن تدين ضعيفين

اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ^(١) الآية . وإياك والحرص ، فإنه أخرج آدم من الجنة أمكه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض ، يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها ، فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ، ثم قرأ (أَهْبِطُوا مِنْهَا ^(٢)) إلى آخر الآية . وإياك والحسد ، فإنما قتل ابن آدم أخاه حين حسده ، ثم قرأ (وَأَنْزَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأًا أَنْبَى آدَمَ بِأَخِي ^(٣)) الآية . وإذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك . وإذا ذكر القدر فأسكت . وإذا ذكرت النجوم فأسكت

وقال بكر بن عبد الله . كان رجل ينشئ بمض الملوك ، فيقوم بحذاء الملك ، فيقول أحسن إلى المحسن بإحسانه ، فإن المسمى سيكفيك إساءته . فحسده رجل على ذلك القسام المسمى بمزى والكلام ، فدعى به إلى الملك ، فقال إن هذا الذي يقوم بمحذائك ويقول مايقول ، زعم أن بساءته الملك أبخر . فقال له الملك . وكيف يصح ذلك عندي ؟ قال تدعوه إليك ، فإنه إذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر . فقال له انصرف حتى أنظر . فخرج من عند الملك ، فدعا الرجل إلى منزله ، فأطعمه طعاما فيه ثوم . فخرج الرجل من عنده ، وقام بحذاء الملك على عادته . فقال أحسن إلى المحسن بإحسانه ، فإن المسمى سيكفيك إساءته . فقال له الملك ادن مني . فدنا منه ، فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم . فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا إلا قد صدق . قال وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بإجازة أوصلة . فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله ، إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه ، واسلخه ، واحش جلدته تبنًا ، وابعث به إلى ، فأخذ الكتاب وخرج ، فلقبه الرجل الذي سمى به ، فقال ما هذا الكتاب ؟ قال خط الملك لي بصلة . فقال هبه لي . فقال هو لك . فأخذه ومضى به إلى العامل ، فقال العامل ، في كتابك أن أذبحك وأسألك . قال إن الكتاب ليس هو لي ، فالتفت في أمرى حتى تراجع الملك . فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه ، وسلخه ، وحش جلدته تبنًا ، وبعث به . ثم عاد الرجل إلى الملك كما داته . وقال مثل قوله فعجب الملك ، وقال ما فعل الكتاب ؟ فقال أقميني فلان فاستوبه مني فوهبته له . قال الملك ، إنه ذكر لي أنك ترعمني أي أبخر . قال ما فعلت ذلك . قال فم وضعت يدك على فيك قال لأنه لأطمئن طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه . قال صدقت ، ارجع إلى مكانك ، فقد كفى المسمى إساءته

وقال ابن سيرين رحمه الله . ما حسدت أحداً على شيء من أمر الدنيا : لأنه إن كان من أهل الجنة ، فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة ؟ وإن كان من أهل النار ، فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار ! وقال رجل للحسن ، هل يحسد المؤمن ؟ قال ما أنساك بنى يعقوب ، نعم ، وإن كنتم في صدرك ، فإنه لا يضرك ما لم تعذب به يد ولا لسانا ، وقال أبو الدرداء ، ما أكثر عبد ذكر المات إلا قلَّ فرحه ، وقلَّ حسده ، وقال معاوية ، كل الناس أقدر على رضاه ، إلا حاسد نعمة : فإنه لا يرضيه إلا زوالها ، ولذلك قيل كل المداوات قد ترجى إيمانها • إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء : الحسد جرح لا يبرأ ، وحسد الحسود ما يليق . وقال أعرابي : ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد ، إنه يرى النعمة عليك تقعه عليه . وقال الحسن يا ابن آدم ، لم تحسد أحاك ؟ فإن كان الذي أعطاه لكرامته عليه ، فلم تحسد من أكرمه الله ؟ وإن كان غير ذلك ، فلم تحسد من صيره إلى النار ؟ وقال بعضهم ، الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلاً . ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا . ولا ينال من الخلق إلا جزماً وغماً . ولا ينال عند النزع إلا شدة وهو لا . ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا

بيان

حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه

اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة . فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة ، فذاك فيما حاسن أحداها : أن تذكره تلك النعمة ، وتحب زوالها ، وهذه الحالة تسمى حسدا . فالحسد حده كراهة النعمة : وحب زوالها عن النعم عليه . الحالة الثانية : أن لا تحب زوالها ، ولا تكره وجودها ودوامها : ولكن تشتهي لنفسك مثلها . وهذه تسمى غبطة . وقد تختص باسم المنافسة . وقد تسمى المنافسة حسدا ، والحسد منافسة ، وبوضع أحد اللفظين موضع الآخر : ولا حرج في الأسامي بعد فهم المعاني . وقد قال صلى الله عليه وسلم " (١) " **لَا يُؤْمِنُ بَغِيْطٌ وَلَا مُنَافِقٌ يَحْسُدُ** ،

فأما الأول: فهو حرام بكل حال، إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر، وهو يستعين بها على تهيج الفتنة، وإفساد ذات البين، وإيذاء الخلق، فلا يضرك كرهتك لها، ومحبتك لزوالها فإنك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة، بل من حيث هي آلة الفساد. ولو أمنت فسادها، لم يملك بنعمته. ويدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها، وأن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض، وذلك لا عذر فيه ولا رخصة، وأي الدليل على مصية تزيد على كرهتك لراحة مسلم، من غير أن يكون لك منه مضرة، وإلى هذا أشار القرآن بقوله: (إِنْ تَحْسَبْكُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا^(١)) وهذا الفرع شامة، والحسد والشامة يتلازمان.

وقال تعالى (وَذَكِّرْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِيَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِعْمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ^(٢)) فأخبر تعالى أن حبهم زوال نعمة الإيمان حسد. وقال عز وجل (وَذُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً^(٣)) وذكر الله تعالى حسد إخوة يوسف عليه السلام، وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى (إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى آبَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَوَاطِرْ حُوَّةَ أَرْضِنَا يُخْلُ لَكُمْ وَجْهٌ أَبِيكُمْ^(٤)) فلما كرهوا حب أبيهم له، وساءم ذلك وأحبوا زواله عنه، فغيبوه عنه. وقال تعالى (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا^(٥)) أي لا تضيق صدورهم به ولا يفتنون. فأثني عليهم بعدم الحسد.

وقال تعالى في معرض الإنكار (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ^(٦)) وقال تعالى (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً^(٧)) إلى قوله (إِلَّا الَّذِينَ أَوتُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا مِنْهُمْ^(٨)) قيل في التفسير حسدا، وقال تعالى (وَمَا تَقْرَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا مِنْهُمْ^(٩)) فأنزل الله العلم ليجمعهم، ويؤلف بينهم على طاعته، وأمرهم

(١) حديث المؤمن بيط و للاتفق يحسد : لم أجد له أصلا مرفوعا وإنما هو من قول الفضيل بن عياض

كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد

(٢) آل عمران : ١٢٠ (٣) البقرة : ١٠٩ (٤) النساء : ٨٩ (٥) يوسف : ٨ (٦) البقرة : ١٠٩ (٧) النساء : ٨٩ (٨) البقرة : ١٠٩ (٩) النساء : ٨٩

(١٠) و (٨) البقرة : ٣١٣ (٩) الشورى : ١٤

أن يتألفوا بالعلم ، فتحاسدوا واختلفوا ، إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة ، وقبول القول : فرد بعضهم على بعض . قال ابن عباس ^(١) : كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا قاتلوا قوما ، قالوا نسالك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله ، وبالكتاب الذي تنزله ، إلا مانصرتنا . فكانوا ينصرون . فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسماعيل عليه السلام عرفوه ، وكفروا به بمد معرفتهم إياه فقال تعالى (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ^(٢)) إلى قوله (أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ بَعْثْنَا ^(٣)) أي حسدا . وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم ، ^(٤) جاء أبي وهبي من عندك يوما ، فقال أبي لهبي ما تقول فيه ؟ قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى ؟ قال أرى معادته أيام الحياة . فهذا حكم الحسد في التحريم

وأما المنافسة ، فليست مجرام . بل هي إما واجبة ، وإما مندوبة ، وإما مباحة . وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة ، والمنافسة بدل الحسد . قال قم بن العباس ، ^(٥) لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم ، فسدألاه أن يؤمرهما على الصدقة ، قال لا لي

(بيان حقيقة الحسد وحكمه)

(١) حديث ابن عباس قوله كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوما قالوا نسالك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله - الحديث : في نزول قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا : ابن اسحاق في السيرة فيا بلنه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروه نحوه وهو منقطع

(٢) حديث قالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء أبي وهبي من عندك يوما فقال أبي لهبي ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى - الحديث : ابن اسحاق في السيرة قال حدثني أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حديث عن صفية فذكره نحوه وهو منقطع أيضا

(٣) حديث قال قم بن العباس لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فسدألاه أن يؤمرهما على الصدقة قال لا لي - الحديث : هكذا وقع للمصنف أنه قثم والفضل وانما هو الفضل والمطلب بن ربيعة كما رواه مسلم من حديث المطلب بن ربيعة بن الحارث قال اجتمع ربيعة ابن الحارث والعباس بن عبد المطلب فقالا والله لو بشنا هذين الثلاثين قال لي والفضل بن عباس انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما فذكر - الحديث :

حين قال لها لاتذهبا إليه ، فإنه لا يؤمر كما عليها ، فقالا له ما هذا منك إلا نفاسة . والله
لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك ، أي هذا منك حسد ، وما حسدك على تزويجه
إياك فاطمة ، والمنافسة في اللغة مشتقة من النفاسة . والذي يدل على إباحة المنافسة ، قوله تعالى
(وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ^(١)) وقال تعالى (سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ^(٢))
وإنما المسابقة عند خوف القوت ، وهو كالمبدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما ، إذ يخرج
كل واحد أن يسبقه صاحبه ، فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها . فكيف وقد صرح
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال ^(٣) « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا
فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَةٍ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا فَهُوَ يَعْمَلُ بِهِ وَيُغْلِبُ النَّاسَ ،
ثم فسر ذلك في حديث أبي كبشة الأنماري فقال ^(٤) « مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَةِ مَثَلُ أُرْبَةِ رَجُلٍ آتَاهُ
اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا فَيَقُولُ رَبُّ
لَوْ أَنَّ لِي مَالًا مِثْلَ مَالِ فُلَانٍ لَّكُنْتُ أَفْعَلُ فِيهِ عَمَلًا فَعَمَلُهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ » وهذا
منه جب لأن يكون له مثل ماله ، فيعمل مثل ما يعمل ، من غير حب زوال النعمة عنه قال
« وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي مَسَاسِي اللَّهِ وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا
وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا فَيَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مِثْلَ مَالِ فُلَانٍ لَّكُنْتُ أَفْقَهُ فِي مِثْلِ مَا أَنْفَقَهُ فِيهِ مِنْ
الْمَسَاسِي فَعَمَلُهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ » فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تحنيه بالمعصية
لأن جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله

فإذا أخرج على من ينبط غيره في نعمة ، ويشتهى لنفسه مثلها ، مهما لم يحب زوالها
عنه ، ولم يكره دواها له . ثم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة ، كالإيمان
والصلاة ، والزكاة ، فهذه المنافسة واجبة . وهو أن يحب أن يكون مثله ، لأنه إذا لم يكن
يحجب ذلك فيكون راضيا بالمعصية ، وذلك حرام . وإن كانت النعمة من الفضائل ، كالنفاق

(١) حديث لا حسد الا في اثنتين - الحديث : متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم في العلم

(٢) حديث أبي كبشة مثل هذه الأمة مثل أربة رجل آتاه الله مالا - الحديث : رواه ابن ماجه

والترمذي وقال حسن صحيح

(٣) للطفين : ٣٦ (٢) الحديث : ١٢

الأموال في السكارم والمدقات ، فالنافسة فيها ، ندوب إليها . وإن كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح ، فالنافسة فيها مباحة . وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته ، والاحقوق به في النعمة ، وليس فيها كراهة النعمة ، وكان تحت هذه النعمة أمران ، أحدهما : راحة المنعم عليه ، والآخـر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه . وهو يكره أحد الوجهين ، وهو تخلف نفسه ، ويحب مساواته له . ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضائل ، ويناقض الزهد ، والتوكل ، والرضا ، ويحجب عن المقامات الرقيقة ، ولكنه لا يوجب المصيان

وهنا دقيقة غامضة ، وهو أنه إذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة ، وهو يكره تخلفه ونقصانه ، فلا محالة يجب زوال النقصان وإنما زول نقصانه إما بأن ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود فإذا انسد أحد الطريقين ، فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر ، حتى إذا زالت النعمة عن المحسود ، كان ذلك أشقى عنده من دوامها . إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره . وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه . فإن كان بحيث لو أتي الأمر إليه ، ورد إلى اختياره ، اسمى في إزالة النعمة عنه ، فهو حسود حسدا مذموما . وإن كان تدعه التقوى عن إزالته ، فيمضي عما يحده في طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده ، مهما كان كارها لذلك من نفسه بمقله ودينه : ولله المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم (١) « ثَلَاثٌ لَا يَنْفَكُ الْمُؤْمِنُ عَنْهُنَّ الْحَسَدُ وَالظَّنُّ وَالطَّيْرَةُ » ثم قال « وَلَهُ مِنْهُنَّ مَخْرَجٌ إِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَبْتَغِ » أي إن وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به . وبمبدأ أن يكون الإنسان مزيدا للخلق بأخيه في النعمة ، فيسجن عنها ، ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة . إذ يجد لا محالة ترجيحاً له على دوامها . فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام ، فينبغي أن يحتاط فيه ، فإنه موضع الخطر . وما من إنسان إلا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم ، ويكاد ينجر ذلك إلى الحسد المحظور إن لم يكن قوى الإيمان ، رزين التقوى ومهما كان محرکه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره ، جره ذلك إلى الحسد المذموم

(١) حديث ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة - الحديث : تقدم غيره مرة .

وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه : حتى ينزل هو إلى مساواته : إذ لم يقدر
 هو أن يرتقى إلى مساواته بإدراك النعمة ، وذلك لارخصة فيه أصلاً ، بل هو حرام ، سواء
 كان في مقاصد الدين ، أو مقاصد الدنيا ، ولكن يعنى عنه في ذلك ما لم يعمل به إن شاء الله تعالى
 وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له . فهذه حقيقة الحسد وأحكامه ، وأما مراتبه فأربع
 الأولى : أن يحب زوال النعمة عنه : وإن كان ذلك لا ينتقل إليه . وهذا غاية الحب
 الثانية : أن يحب زوال النعمة إليه ، لرغبته في تلك النعمة ، مثل رغبته في دار حسنة ،
 أو امرأة جميلة ، أو ولاية نافذة ، أو سمة نالها غيره ، وهو يحب أن تكون له : ومطلوبه
 تلك النعمة لا زوالها عنه ، ومكروهه فقد النعمة لا تنم غيره بها .
 الثالثة : أن يشتهي عينها لنفسه ، بل يشتهي مثلها . فإن عجز عن مثلها أحب زوالها
 كيلا يظهر التفاوت بينها

الرابعة : أن يشتهي لنفسه مثلها ، فإن لم يحصل فلا يحب زوالها عنه . وهذا الأخير
 هو المفعول إن كان في الدنيا . والمندوب إليه إن كان في الدين . والثالثة فيها مذموم
 وغير مذموم . والثانية أخف من الثالثة والأولى مذموم محض . وتسمية الرتبة الثانية
 حسداً فيه تجوز وتوسع ، ولكنه مذموم لقوله تعالى (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ
 بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ^(١)) فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم ، وأما عنيه عين ذلك فهو مذموم

بيان

أسباب الحسد والمنافسة

أما المنافسة ، فسببها حب ما فيه المنافسة . فإن كان ذلك أمراً دينياً ، فسببه حب الله تعالى
 وحب طاعته . وإن كان دنيوياً ، فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها . وإنما نظرنا الآن
 في الحسد المذموم ، ومداخله كثيرة جداً ؛ ولكن يحصر جهتها سبعة أبواب ، المداوة ،
 والتعزز ، والكبر ، والتعجب ، والخوف من فوت المقاصد المحبوبة ، وحب الرياسة ؛
 وخبث النفس وبخلها . فإنه إنما يكره النعمة على غيره ، إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير

وهذا لا يختص بالأهـال . بل يحسد الخسيس المالك : بمعنى أنه يحب زوال نعمته . اسـكونه
ميفضاله بسبب إساءته إليه أو إلى من يحبـه . وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر
بالنـعمة عليه ، وهو لا يطبق احتمال كبره وتفاخره لمزة نفسه ، وهو المراد بالتـنـزـز
وأما أن يكون في طبعه أن يتكبر على المحسود ، ويتمتع ذلك عليه لنعمته . وهو المراد بالتكبر
وإما أن تكون النعمة عظيمة ، والمنصب عـظـيـما . فيتعجب من فوز من مثله بمثل تلك النعمة ،
وهو المراد بالتعجب . وإما أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته ، بأن يتوصل
بها إلى مزاحمته في أغراضه . وإما أن يكون يحب الرياسة التي تنبئ على الاختصاص
بنعمة لا يساوى فيها . وإما أن لا يكون بسبب من هذه الأسباب : بل لخبث النفس
وشحها بالخير لعباد الله تعالى . ولا بد من شرح هذه الأسباب

السبب الأول : العداوة والبغضاء . وهذا أشد أسباب الحسد ، فإن من آذاه شخص
بسبب من الأسباب ، وخالقه في غرض بوجه من الوجوه : أبغضه قلبه ، وغضب عليه ،
ورسخ في نفسه الحقد . والحقد يقتضى التشفي والانتقام . فإن عجز المبغض عن أن يتشفى
بنفسه : أحب أن يتشفى منه الزمان . وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى : فـهـما
أصابـت عدوه بـليـة فرح بها ، وظنـها مكانة له من جهة الله على بـغضه ، وأنها لأجله . ووهـما
أصابته نعمة ، ساء ذلك ؛ لأنه مند مراده . وربما يخطر له أنه لا مـزلة له عند الله : حيث
لم ينتقم له من عدوه الذى آذاه ، بل أنعم عليه . وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة
ولا يفارقهما . وإنما غاية التقي أن لا يبنى ، وأن يكره ذلك من نفسه . فأما أن يبغض إنسانا
ثم يستوى عنده مسرته ومساوته ، فهذا غير ممكن . وهذا بما وصف الله تعالى الكفار به
أعنى الحسد بالعداوة . إذ قال تعالى (وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَٰلَيْكُمْ
الْأَنَامِلَ مِنَ الْإِثْمِ قُلْ مُؤْمِنُوا لَيْسَ بِكُمُ إِيمَانٌ أَتَمٌّ وَلَٰكِن كَرِهْتُمُ الْمَعْرَافَةَ) . والآية . وكذلك قال تعالى (وَذُؤُوا مَاعِنتُمْ قَدْ بَدَأَ الْفِتْنَةَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ
وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ) . والحسد بسبب البغض ربما يفضى إلى التنازع والتقاتل ،
واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل ، والسعاية ، وهتك الستر ، وما يجرى مجراه

السبب الثاني : التعزز . وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره . فإذا أصاب بعض أهله ولاية . أو علماً ، أو مالاً ؛ خاف أن يتكبر عليه ، وهو لا يطبق تكبره ، ولا تسمع نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه ، وليس من غرضه أن يتكبر ، بل غرضه أن يدفع كبره فإنه قد رضى بمساواته مثلاً ، ولكنه لا يرضى بالترفع عليه

السبب الثالث : التكبر . وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ، ويستصغره ويستخذه ، ويتوقع منه الاتقياد له ، والمناجاة في أغراضه . فإذا نال نعمة خاف أن لا يثقل تكبره ، ويترفع عن متابعتها ، أو ربما يشوف إلى مساواته ، أو إلى أن يرتفع عليه ، فيعود متكبراً بعد أن كان متكبراً عليه . ومن التكبر والتمزز كان حسداً كثيراً لكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام ينم ؛ وكيف نطأ على رءوسنا ^(١) فقالوا (لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْنَيْنِ عَظِيمٍ ^(٢)) أي كان لا يثقل علينا أن يتواضع له ؛ وتتبعه إذا كان عظيماً . وقال تعالى يعصف قول قريش (أَهْوَأَ لَا مِنْ آتِئَاتِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ نَبِيٍّ ^(٣)) كالاستحقاق لهم والألفة منهم

السبب الرابع : التمجع . كما أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة ، إذ قالوا (مَا آتَانَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ^(٤)) وقالوا (أَنُؤْمِنُ بِآيَاتِنِ مِثْلَانِ ^(٥)) (وَآيِنِ أَطْلَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمُ إِنَّا نَكْفُرُ ^(٦)) إذا تخلصوا من أن يفوز برتبة الرسالة ؛ والوحي ، والقرب من الله تعالى ؛ بشراً مثله . فحسدوه ؛ وأحبوا زوال النبوة عنهم ، جزعاً أن يفضل عليهم من هو مثله في الخلقة . لأن قصد تكبر ، وطلب زيادة . وتقدم عداوة ، أو سبب آخر من سائر الأسباب وقالوا متمجعين (أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ^(٧)) وقالوا (أَوَلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا آيَاتٌ كَمَا ^(٨))

(بيان أسباب الحسد والثائفة)

(١) حديث سبب نزول قوله تعالى لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ؛ ذكره ابن اسحاق في السيرة وإن فُتِل ذلك الوليد بن القيرة قال أنزل على محمد وأتركوا كبر قريش وسردها وترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد تقيف فتحن عطاء القريتين فأُنزل الله فيما بلغني هذه الآية ورواه أبو محمد بن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيرهما من حديث ابن عباس إلا أنهما قالوا مسعود بن عمرو وفي رواية لابن مردويه حبيب بن عمير الثقفي وهو ضعيف

(١) الخزرف : ٣١ (٢) الأنعام : ٣٣ (٣) يونس : ١٥ (٤) المؤمنون : ٥٧ (٥) المؤمنون : ٣٤ (٦) الأسراء : ٩٤ (٧) الفرقان : ٢١

وقل تعالى (أَوْعَيْتُمْ أَنْ جَاءَ كُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رِجْلٍ مِنْكُمْ) الآية

السبب الخامس : الخوف من فوت المقاصد . وذلك يختص بتزاحم على مقصود واحد . فإن كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الانفراد بمقصوده . ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية ، وتحاسد الأخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين ، للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال . وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الأستاذ ، وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه ، للتوصل به إلى المال والجاه . وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة ، إذا كان غرضها نيل المال بالتبول عندهم . وكذلك تحاسد الدالين المتزاحمين على طائفة من المتفهمة محصورين ، إذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم إلى أغراض له

السبب السادس : حب الرياسة ، وطالب الجاه نفسه ، من غير توصل به إلى مقصود وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون ، إذا غلب عليه حب الشناء ، واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر وفريد العصر في فنه ، وأنه لا نظير له ، فإنه لو سمع بنظيره في أنهى العالم لساءه ذلك ، وأحب موته ، أو زوال النعمة عنه ، التي بها يشاركه في المنزلة ، من شجاعة ، أو علم ، أو عبادة ، أو صناعة ، أو جمال ، أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد هو به ، ويفرح بسبب تفرده . وليس السبب في هذا عداوة ، ولا تمززا ، ولا تكبرا على المحسود ، ولا خوفاً من قوات مقصود ، سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد . وهذا ورام ما بين آياد العلماء من طالب الجاه والمنزلة في قلوب الناس ، للتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة . وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به ، خيفة من أن تطل رياستهم واستتباعهم ، مما يسخ علمهم

السبب السابع : خبث النفس وشخها بالخير لعباد الله تعالى . فإنك تجد من لا يشغل برياسة ، وتكبر ، ولا طالب مال ، وإذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى ، فبما

أنعم الله به عليه ، يشق ذلك عليه . وإذا وصف له اضطراب أو الزلل ، وإدبار ، وفوات مقاصدهم ، وتنقص عيشهم ، فرح به . فهو أبدا يحب الإدبار لغيره ، ويبخل بنعمة الله على عباده ، كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه . ويقال البخل من يبخل بماله نفسه ، والشحيح هو الذي يبخل بماله غيره . فهذا يبخل بنعمة الله تعالى ، على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة . وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس ، ورذالة في الطبع ، عليه وقعت الجلبة ، ومنالته شديدة . لأن الحسد الثابت بسائر الأسباب ، أسبابه عارضة يتصور زوالها ، فيقطع في إزالتها . وهذا خبث في الجلبة ، لاعتبار سبب عارض فتعسر إزالته ، إذ يستحيل في المادة إزالته . فهذه هي أسباب الحسد ، وقد يجتمع بعض هذه الأسباب ، أو أكثرها ، أو جميعها في شخص واحد ، فيعظم فيه الحسد بذلك ، ويقوى قوة لا يقدر معها على الإخفاء والمجاملة ، بل يتهتك حجاب المجاملة ، وتظهر المداوة بالكاشفة وأكثر المحاسنات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب . قلنا يتجدد سبب واحد منها .

بيان

السبب في كثرة الحسد بين الأهل والأقربان والأخوة وبني المم والأقارب
وأن كده وقائه في غيرهم وضعفه

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التي ذكرناها ، وإنما يقوى بين قوم يجتمع جملة من هذه الأسباب فيهم وتظاهر ، إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يجتمع عن قبول التكبر ، ولأنه يتكبر ، ولأنه عدو ، ولأنه ذلك من الأسباب . وهذه الأسباب إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط ، يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ، ويتواردون على الأغراض ، فإذا خالف واحد منهم صاحبه في غرض من الأغراض ، قرر طبعه عنه ، وأبغضه ، وثبت الحقد في قلبه ، فمند ذلك يريد أن يستحققه ويتكبر عليه ، ويكافئه على مخالفته لغرضه ، ويكره تمكنه من النعمة التي توصله إلى أغراضه ، وترادف جملة من هذه الأسباب . إذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنايتين ، فلا يكون بينهما

محاسبة . وكذلك في محلتين . نعم إذا تجاوزا في مسكن . أو سوق ، أو مدرسة ، أو مسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها أغراضها . فيثور من التناقض التنافر والتباغض ، ومنه تثور بقية أسباب الحسد . ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد ، والعابد يحسد العابد دون العالم . والتاجر يحسد التاجر ، بل الإسكاف يحسد الإسكاف ولا يحسد البزاز ؛ إلا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة .

ويحسد الرجل أخاه وابن عمه ، أكثر مما يحسد الأجانب . والمرأة تحسد ضررتها ومسرة زوجها ، أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته ؛ لأن مقصد البزاز غير مقصد الإسكاف ، فلا يتزاحمون على المقاصد ، إذ مقصد البزاز الثروة ، ولا يحصلها إلا بكثرة الزبون ، وإنما ينافعه فيه بزاز آخر . إذ حريف البزاز لا يطلبه الإسكاف بل البزاز . ثم مزاحمة البزاز المجاور له ، أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق . فلا جرم يكون حسده الجار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم ، لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها ، وينفرد بهذه الخصلة ، ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض . وكذلك يحسد العالم . ولا يحسد الشجاع . ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقير والطبيب لأن التزاحم بينهما على مقصود واحد أخص

فأصل هذه المحاسدات العداوة ، وأصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد ، والغرض الواحد لا يجمع متباعين بل متناسبين ؛ فلذلك يكثر الحسد بينهما . نعم من اشتد حرصه على الجاه ، وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه ، فإنه يحسد كل من هو في العالم ، وإن بدد ، ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها .

ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا ، فإن الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين . أما الآخرة فلا تنطبق فيها . وإتمام مثل الآخرة نعمة العلم ، فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ، ومعرفة صفاته . وملائكته ؛ وأنبيائه ، وهلكوت سمواته وأرضه ، لم يحسد غيره إذ اعرف ذلك أيضا ، لأن المعرفة لا تضيق عن العارفين ، بل المعلوم الواحد بده ألف عالم ، ويخرج بمعرفة ، ويتلذذ به ، ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره ، بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس ، وثمرة الاستفادة والإفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسبة ، لأن مقصدهم معرفة الله تعالى ، وهو بحر واسع

لا حنيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى ولا حنيق أيضا فيما عند الله تعالى ، لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذة لقائه ، وليس فيها مماتمة وزاحمة ، ولا يضيق بمض الناظرين على بعض . بل يزيد الأُنس بكثرتهم

نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال ، والجاد ، تحاسدوا ، لأن المال أعيان وأجسام ، إذا وقعت مفارقة بينه والعلم والمال في يد واحد خلت عنها يد الآخر . ومعنى الجاه ملك القلوب . ومهما امتلأ قلب شخص بمعظم عالم ، انصرف عن تعظيم الآخر ، أو نقص عنه لاجل ، فيكون ذلك سببا للمحاسبة وإذا امتلأ قلب بالفرح ، معرفة الله تعالى ؛ لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره بها ، وأن يفرح بذلك . والفرق بين العلم والمال ، أن المال لا يحل في يدهم لم يرتحل عن اليد الأخرى . والعلم في قاب الهام مستقر ، ويحل في قلب غيره بتعليمه ، من غير أن يرتحل من قلبه . وللمال أجسام وأعيان ، ولها نهاية ؛ فلو ملك الإنسان جميع ما في الأرض ، لم يبق بعده مال يتملكه غيره . والدم لانهاية له ولا يتصور استيعابه . فن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته ، ولو ملكوت أرضه وسماؤه ، صار ذلك ألد عنده من كل نعيم ، ولم يكن نوعا منه ، ولا مزاحميه ، فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق ، لأن غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته ، بل زادت لذته بمؤانسته ، فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام ، أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة . فإن نعيم المعارف وجنته معرفته ، التي هي صفة ذاته ، يأمن زوالها ، وهو أبدا يحيى ثمارها . فهو بروحه وقلبه ، منذ بفاكهة علمه ، وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة ، بل قطوفها دانية . فهو وإن غمض الدين الظاهرة ، فروحه أبدا ترتفع في جنة عالية ، ورياض زاهرة . فإن فرض كثرة في المعارف لم يكثر وامتحاسدين ، بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ^(١)) فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا . فإذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ، ومشاهدة المحبوب في العقبى ! فإذا لا يتصور أن يكون في الجنة محاسبة ولا أن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسبة ، لأن الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ، ولا تنال إلا بمعرفة الله تعالى ، التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضا . فأهل الجنة بالضرورة برآء

من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا . بل الحسد من صفات المبغدين عن سعة عليين ، إلى
 • ضيق سجين . ولذلك وسم به الشيطان الامين ، وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام
 على ما خص به من الاجتهاد ، ولما دغى إلى السجود استكبر وأبى ، وتردوعه
 فقد عرفت أنه لاحسد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ، ولهذا
 لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ، ويتحاسدون على رؤية البساتين ، التي
 هي جزء يسير من جملة الأرض ، وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء ، ولكن
 السماء لسعة الأنظار وافية بجميع الأبصار ، فلم يكن فيها تراحم ولا تحاسد أصلا
 فلما كنت بصيرا ، وعلى نفسك مشفقا ، أن تطلب نعمة لازمة فيها ، ولذة لا كدر
 لها ، ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله عز وجل ، ومعرفة صفاته وأفعاله ، ومجائب
 ملكوت السموات والأرض . ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضا . فإن كنت
 لا تشفق إلى معرفة الله تعالى ، ولم تجد لذتها ، وتتر عنك رأيك ، وضعفت فيها رغبتك
 فأنت في ذلك معذور ، إذ العنين لا يشفق إلى لذة الوقاع ، والصبي لا يشفق إلى لذة الملك
 فإن هذه الذات يختص بإدراكها الرجال دون الصبيان والمختنين . فكذلك لذة المعرفة ،
 يختص بإدراكها الرجال (رِجَالٌ لَا تُلَهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ^(١)) ولا يشفق
 إلى هذه اللذة غيرهم ، لأن الشوق بعد الذوق ، ومن لم يذق لم يعرف ، ومن لم يعرف لم يشفق ، ومن لم
 يشفق لم يطلب ، ومن لم يطلب لم يدرك ، ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين
 (وَمَنْ يَدُسُّ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ تَقْيِضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ^(٢))

بيانه

الدواء الذي ينفى مرض الحسد عن القلب

اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ، ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم
 والعمل . والعلم النافع لمرض الحسد ، هو أن تعرف حقيقة أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين ،

وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينفع به فيهما. ومهما عرفت هذا عن بصيرة ، ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك ، فارت الحسد لا محالة .

ضرر المحسود
على ربه
المحسد

أما كونه ضررا عليك في الدين . فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى ، وكهرت نعمته التي قسمها بين عباده ، وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته ، فاستنكرت ذلك واستبشمت . وهذه جناية على حقة التوحيد ، وغدى في عين الإيمان ، وناهيك بهما جناية على الدين . وقد انضاف إلى ذلك أنك غششت رجلا من المؤمنين . وتركت نصيحتة ، وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباده تعالى ، وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلياء وزوال النعم . وهذه خيانت في القلب ، تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب ، وتحورها كما يحو الليل النهار .

ضرر المحسود
في الدنيا

وأما كونه ضررا عليك في الدنيا ، فهو أنك تتألم بحسدك في الدنيا ، أو تعذب به ولا تزال في كد وغم ، إذ أعدائك لا يخافهم الله تعالى عن نعم فيفضها عليهم ، فلا تزال تعذب بكل نعمة تراها ، وتتألم بكل بلية تصرف عنهم ، فتبقى مغموما ، محروما ، وتشب القلب ، ضيق الصدر ، قد نزل بك ما يشتهي الأعداء لك ، وتشتهي لأعدائك ، فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتجنزت في الحال محنتك وغمك نقدا ، ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك . ولو لم تكن تؤمن بالله وبالحساب ، لكان مقتضى الفطنة . إن كنت عاقلا : أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساوته ، مع عدم النفع . فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة ! فأعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله ، بل مع ضرر يحتمله ، وألم يقاسيه ، فيهلك دينه وديناه من غير جدوى ولا فائدة .

عدم ضرر
المحسود بالحسد
في الدين
والدنيا

وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه وديناه فواضح . لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة ، فلا بد أن يدوم إلى أجل معلوم ، قدره الله سبحانه ، فلا حيلة في دفعه . بل كل شيء عنده بقدر ، ولكل أجل كتاب . ولذلك شكائي من الأنبياء ، من امرأة ظالمة مستولية على الخلق ، فأوحى الله إليه فر من قدامها ، حتى تنقضي أيامها . أي ما قدرناه في الأزل لاسبيل إلى تغييره ، فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء

بدوام إقبالها فيها . و . يا لم تزل النعمة بالحسد : لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة . و املاك تقول آيت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدى . وهذا غاية الجهل ، فإنه بلا تشبيه أولا لنفسك ، فإنك أيضا لا تخلو عن عدو بحسبك . فلو كانت النعمة تزول بالحسد : لم يبق لله تعالى عليك نعمة ، ولا على أحدهم الخلق ، ولا نعمة الإيمان أيضا . لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الإيمان . قال الله تعالى (وَذَكِّرْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرْذَوْنَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ) إذ ما يريد المحسود لا يكون . نعم هو يضل بإرادته الضلال الغير ، فإن إرادة الكافر كفر فمن اشتى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد : فكأنما يريد أن يسلب نعمة الإيمان بحسد الكفار ، وكذا سائر النعم .

وإن اشتيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسبك ولا تزول عنك بحسد غيرك ، فهذا غاية الجهل والغباء . فإن كل واحد من حق الحساد أيضا ، يشتهى أن يخص بهذه الخاصية : ولست بأولى من غيرك ، فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تزل النعمة بالحسد ، مما يجب عليك شكرها ، وأنت بحسبك تكبرها

انتفاع المحسود ^{على حساب} وأما أن المحسود ينتفع به في الدين والدنيا : فواضح . أما منفعة في الدين ، فهو أنه مظلوم ^{من جهتك} على حساب من جهتك : لا سيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل : بالغبية : والقبح فيه : وهتك ^{حاسبه في} ستره ، وذكر مساويه : فبهذه هدايا تهديها إليه . أعنى أنك بذلك تهدي إليه حسناتك ، حتى ^{الآخرة} تلقاه يوم القيامة مفلسا ، محروما عن النعمة ، كما حرمت في الدنيا عن النعمة . فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل . نعم كان لله عليه نعمة ، إذ وفقت للحسنات فتلقاها إليه ، فأضفت إليه نعمة إلى نعمة ، وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة .

المحسود يفتد ^{باعتباره حاسبه} وأما منفعة في الدنيا ، فهو أن أم أغراض الخلق مساة الأعداء : وغمهم : وشقاوتهم : وكونهم معذيين ، مغمومين ، ولعذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد . وغاية أمانى أعدائك : أن يكونوا في نعمة ، وأن تكون في غم وحسرة بسببهم . وقد فعلت بنفسك

سماهو مرادهم . ولذلك لا يشتهي عدوك موتك ؛ بل يشتهي أن تطول حياتك ، ولكن

في عذاب الحسد ، انتظر إلى نعمة الله عليه . فينتزع قلبك حسدا . ولذلك قيل

لأملت أعداؤك بل خلدرا حتى يروا فيك الذي يكمد

لأزلت محسودا على نعمة فإنما الكامل من يحسد

ففرح عدوك بعمك وحسدك ، أعظم من فرحه بنعمته . ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه . لكان ذلك أعظم صيغة رغبة عنده . فأنت فيما لازم من غم الحسد ، إلا كما يشتهي عدوك فإذا تأملت هذا ، عرفت أنك عدو نفسك ، وصديق عدوك ، إذ تعاطيت ما تضرت به في الدنيا والآخرة ، وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة ، وصرت مذموما عند الخلق والخلائق ، شقيا في الحال والآل ، ولقمة المحسود دامة ، شدة أم أيت باقية .

ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك ، حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على ابليس الذي هو أعدى أعدائك ، لأنه لما رآه محروما من نعمة العلم ، والورع ، والجاه ، والمال ، الذي اختص به عدوك عنك ، خاف أن تحب ذلك له ، فتشاركه في الثواب بسبب المحبة ، لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ، ومن فاته الحاق بدرجته لأكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم ، مهما أحب ذلك . فذاف ابليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه ، فتفوز بثواب الحب ، فيفضله إليك ، حتى لا تنحرف بهبك . تكلم تلحقه بملاك . وقد قال أعرابي لابي - صلى الله عليه وسلم يارسول الله ^(١) الرجل يحب القوم ولما ياتق بهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « المرء مع من أحب » وقام أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب ، فقال ^(٢) يارسول الله ، متى الساعة ؟ فقال « ما أعددت لها » قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ، إلا أني أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم « أنت مع من أحببت » قال أنس ، فافرح المسلمون بإسلامهم كفرحهم يومئذ . إشارة إلى أن أكبر بغيتهم كانت حب الله ورسوله . قال أنس ، فنحن نحب رسول الله ، وأبا بكر . وعمر ، ولا نعمل مثل عملهم . . ونرجو أن نكون معهم

الورع في
شباك الشيطان
بالحسد

(١) حديث ازجل يحب القوم ولما ياتق بهم فقال هو مع من أحب : متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٢) حديث سؤال الأعرابي متى الساعة فقال ما أعددت لها - الحديث : متفق عليه من حديث أنس

وقال أبو موسى: ^(١) قلت يارسول الله، الرجل يحب المصالح ولا يصلي، وحبب
الدوام ولا يدوم حتى عد أشياء. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هُوَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»
وقال رجل لعمر بن عبد العزيز، إنه كان يقال إن استطمت أن تكون عالما فكُن عالما
سَلْبًا لم تستطع أن تكون عالما فكُن متعلما. فإن لم تستطع أن تكون متعلما فأحبهم
فإن لم تستطع فلا تبغضهم. فقال سبحانه الله، لقد جعل الله لنا مخرجا

فانظر الآن كيف حسدك إبليس. فقوت عليك ثواب الحب. ثم لم يقنع به حتى
بنفس إليك أخاك، وحنك على الكراهة، حتى أتمت. وكيف لا، وعساك تحاسد رجلا
من أهل العلم، وتحب أن يخطئ في دين الله تعالى؛ وينكشف خطؤه ليفتنع، وتحب
أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم، أو يرض حتى لا يعلم ولا يتعلم، وأرى إثم يزيد على
ذلك؛ فليتك إذ فتكت الأحاق به، ثم اغتممت بسببه. سلمت من الإثم وعذاب الآخرة
وقد جاء في الحديث ^(٢) «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: اِتَّخَسَنُوا وَالتَّجَبَّأُوا وَأَنكَافُوا عَنْهُ» أي من
يكف عنه الأذى، والبغض، والكراهة. فانظر كيف أبدلك إبليس عن جميع
المدخل الثلاثة؛ حتى لا تكون من أهل واحد منها أبية، فقد نفذ فيك حسد إبليس
وما نفذ حسدك في عدوك، بل على نفسك.

بل لو كوشفت بحالك في يقظة أو نام رأيت نفسك أيها الخاسد في صورة من يرى
سهما إلى عدوه ليصيب مقتله؛ فلا يصيبه، بل يرجع إلى حدقته النبي، فيقلعها، فيزيد
غضبه، فيعود ثانية، فيرمى أشد من الأولى؛ فيرجع إلى عينه الأخرى، فيميمها،
فيزداد غيظه، فيعود ثالثة، فيمود على رأسه فيشجه، وعدوه سالم في كل حال، وهو إليه
راجع مرة بعد أخرى، وأعداؤه حوله يفرحون به. ويضحكون عليه. وهذا حال
الحسود؛ وسخرية الشيطان منه.

(١) حديث أبي موسى قلت يارسول الله الرجل يحب المصالح ولا يصلي - الحديث: وفيه هو مع من أحب
مفق عليه من حديث بلقيث آخره سمرا الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال المرء مع من أحب
(٢) حديث أهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه: لم أجد له أصلا

بل حالك في الحسد أفتح من هذا ، لأن الرمية المائدة لم تفوت إلا العينين ، ولو بقيتا لغاتنا بالموت لا محالة ، والحسد يعود بالإثم ، والإثم لا يغتفر بالموت ، ولعله يسوقه إلى غضب الله ، وإلى النار . فلأن تذهب عينه في الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل به النار . فيقلعه الهيب النار . فانظر كيف انتقم الله من الحاسد ، إذ أراد زوال النعمة عن المحسود ، فلم يزلها عنه ، ثم أزالها عن الحاسد . إذ السلامة من الإثم نعمة ، والسلامة من النعم والنعمة نعمة ، وقد زالتا عنه ، نصدقا لقوله تعالى (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ^(١)) وربما يتلى بمعين ما يشبهه لعدوه ، وفلما يشمت شامت بمساءة إلا ويدتلى بثباتها ، حتى قالت عائشة رضي الله عنها ، ما تميت لثمان شيئا إلا نزل بي ، حتى لو تمنيت له القتل لقتلت

فهذا إثم الحسد نفسه ، فكيف ما يجر إليه الحسد من الاختلاف ، وجود الحق ، وإطلاقي
الاسان واليد بانفوا احش في التشفي من الأعداء ، وهو الداء الذي فيه هلاك الأمم السالفة

فهذه هي الأدوية العلمية ، فهما تفكر الإنسان فيها بذهن صاف ، وقلب حاضر ، انصرفت
نار الحسد من قلبه ، وعلم أنه مهلك نفسه ، وفرح عدوه . وسخط ربه ، ومنع عيشه
وأما العمل النافع فيه ، فهو أن يحكم الحسد ، فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل

مدح الحسد

فينبغي أن يكلف نفسه تقيضه . فإن بعثه الحسد على التمدح في محسوده ، كلف لسانه المدح
له ، والثناء عليه . وإن حمله على التكبر عليه ، ألزم نفسه التواضع له ، والاعتذار إليه . وإن
بعثه على كلف الإنعام عليه ، ألزم نفسه الزيادة في الإنعام عليه . فهما فعل ذلك عن تكلف .
وعرفه المحسود ، طاب قلبه وأحبه . ومهما ظهر حبه . عاد الحاسد فأحبه ، وتولد من ذات
الموافقة التي تقطع مادة الحسد ، لأن التواضع ، والثناء ، والمدح ، وإظهار السرور بالنعمة
يستجلب قلب المنعم عليه . ويستمره ، ويستطفه ، ويحمله على مقابلة ذلك بالإحسان . ثم
ذلك الإحسان يعود إلى الأول ، فيطيب قلبه ، ويصير ما تكنه أولا طبعها آخر . ولا يسدنه
عن ذلك قول الشيطان له ، لو تواضعت وأثنيت عليه ، حمك العدو على العجز . أو على النفاق
أو الخوف ، وأن ذلك مذلة ومهانة . وذلك من خدع الشيطان ومكايده . بل الجألة تكلفا
كانت أو طبعيا ، تكسر سورة المداوة من الجانبين ، وتقل مرغوبها . وتهدد القلوب

التألف والتحاب، وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد، وغم التباغض فهذه هي أدوية الحسد، وهي نافعة جدا، إلا أنها مُرّة على القلوب جدا. ولكن النفع في الدواء المر، فن لم يصبر على مرارة الدواء، لم ينل حلالة الشفاء. وإنما تهون مرارة هذا الدواء، أعنى التواضع للأعداء، والتقرب إليهم بالمدح والثناء، بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها، وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى، وحب ما أحبه، وعزة النفس وترفعها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل. وعند ذلك يريد ما لا يكون، إذ لا قطع في أن يكون ما يريد. وفوات المراد ذل وخسة، ولا طريق إلى الخلاص من هذا الفل إلا بأحد أمرين، إما بأن يكون ما تريد، أو بأن تريد ما لا يكون. والأول ليس إليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه. وأما الثاني فله مجاهدة فيه، مدخل، وتحصيله بالرياضة الممكن، فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء السكلى.

فأما الدواء المفصل، فهو تتبع أسباب الحسد، من الكبر وغيره، وعزة النفس، وشدة الحرص على ما لا ينبغي. وسيأتى تفصيل مداواة هذه الأسباب في مواضعها إن شاء الله تعالى فإنها مواد هذا المرض، ولا ينقم المرض إلا بقمع المادة. فإن لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتطفئة، ولا يزال يعود مرة بعد أخرى، ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواد. فإنه مادام محبا للأجاء. فلا بد وأن يحسد من استأثر بالأجاء والمنزلة في قلوب الناس دونه، وينميه ذلك لاحتالة. وإنما غايته أن يكون التمسك على نفسه، ولا يظهر بلسانه ويده، فأما الخلو عنه رأسا فلا يمكنه، والله الموفق

بيان

القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

اعلم أن المؤذى ممقوت بالطبع، ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالبا. فإذا تيسرت له نعمة، فلا يمكنك أن لا تكرهها له، حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة، ولا يزال الشيطان يثأرك إلى الحسد له. ولكن إن قوى ذلك فيك، حتى يمتك على إظهار الحسد بقول أو فعل، بحيث يعرف ذلك

من ذاهرك بأفعالك الاختيارية : فأنت حسود عاص بحسبك . وإن كففت ظاهرك بالكابة إلا أنك بباطلك تحب زوال النعمة : وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة ، فأنت أيضا حسود عاص . لأن الحسد صفة القلب لا صفة الفعل . قال الله تعالى (وَلَا يَحْدُون فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ^(١)) وقال عز وجل (وَذُؤِبُوا نَكَفَرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ^(٢)) وقال (إِنْ تَسْأَلْنَهُمْ حَسَنَةً تَسْأَلُوهُمْ ^(٣)) . أما الفعل ، فهو غيبة وكذب ، وهو عمل صادر عن الحسد : وليس هو عين الحسد . بل محل الحسد القلب دون الجوارح . نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها ، بل هو معصية بينك وبين الله تعالى ، وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح .

فأما إذا كففت ظاهرك ، وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع : من حب زوال النعمة ، حتى كأنك تحقت نفسك على ما في طبيعها ، فتكون تلك الكراهة من جهة العقل : في مقابلة الميل من جهة الطبع ، فقد أدبت الواجب عليك : ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا .

فأما تغيير الطبع ، يستوى عنده المؤذي والمحسن ، ويكون فرجه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة ، أو تنصب عليهما من بلية سواء ، فهذا مما لا يضارع الطبع عليه ، مادام ملتفتا إلى حفظ الدنيا ، إلا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى ، مثل السكران الواله . فقد ينتهي أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد : بل ينظر إلى الكل بعين واحدة ، وهي عين الرحمة . ويرى الكل عباد الله . وأفعالهم أفعالا لله ، ويراهم مسخرين . وذلك إن كان ، فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ، ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبيعته ، ويعود العدو إلى منازعته . أعني الشيطان . فإنه يتنازع بالوسوسة . فهما قابل ذلك بكرهته . وألزم قلبه هذه الحالة ، وقد أدى ما كانه .

وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأنهم إذا لم يظهر الحسد على جوارحه . لما روى عن الحسن ، أنه سئل عن الحسد فقال ، غمه فإنه لا يضرك ما لم تبده . وروى عنه موقفا

وصرفوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ثلاثة لا يخلو بهم المؤمن ولله منهن عرج»
فخرجه من الحسد أن لا يبنى .

والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه ، من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل ،
في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو . وتلك الكراهة تنم عن البني والإيداء ، فإن جميع
ما ورد من الأخبار في ذم الحسد ، يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم . ثم الحسد عبارة عن صفة
الغالب لا عن الأفعال فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد . فإذا كونه آثما بمجرد
حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد . وإلا ظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات
والأخبار ، ومن حيث المعنى . إذ يبعد أن يعنى عن العبد في إرادته إساءة مسلم ، واشتماله
بانتاب على ذلك من غير كراهة . وقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال
أحدها : أن تحب مساوئهم بطبعك ؛ وتكره حبك لذلك ، وميل قلبك إليه بمقتلك ،
وتحقت نفسك عليه ، وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الليل منك ، وهذا مسموع عنه
قطعا ، لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه .

الثاني : أن تحب ذلك . وتظهر الفرح بمساوئهم . إما بلسانك أو بجوارحك ؛ فهذا هو
الحسد المحظور قطعا .

الثالث : وهو بين الطرفين ، أن تحسد بالقلب ، من غير مقت لنفسك على حسدك ،
ومن غير إنكار منك على قلبك ، واسكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه ،
وهذا في محل الخلاف . والظاهر أنه لا يخلو عن آثم . بقدر قوة ذلك الحب وضيقه ،
والله تعالى أعلم .

والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

كِتَابُ فِتْحِ الدُّنْيَا

كتاب رفع الدنيا

وهو الكتاب السادس من ربيع الممالك
من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عرف أوليائه غوائل الدنيا وآفاتهما ، وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها ،
حتى نظروا في شواهدا وآياتها ، ووزنوا بحسناتها سيئاتها ، فعلموا أنه يزيد منكرها على
معروفها ، ولا يفي مرجوها بخوفها ، ولا يسلم طالعها من كسوفها . ولا سكنها في صورة
امرأة مليحة ، تستميل الناس بجمالها ، ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصلها . ثم
هي فرارة عن طلابها . شحيحة بإقبالها ، وإذا أقبلت لم يؤمن شرها ووبالها . إن أحسنت
ساعة ، أسأت سنة . وإن أسأت مرة . جعلتها سنة . فبدواثر إقبالها على التقارب دائرة
وتجارة بنيتها خاسرة باثرة ، وآفات على التوالى اصدور طلابها راشقة ، ومجاري أحوالها بذل
طالبها ناطقة . فكل منور بها إلى الدل مصيره ، وكل متكبر بها إلى التحسر مسيره .
شأنها الحرب من طالبها ، والطلب لها ربها . ومن خدمها فاته ، ومن أعرض عنها واتته
لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ، ولا يتفك سرورها عن المنقصات سلامتها تعقب
السقم ، وشبهها يسوق إلى الهرم ، ونعيمها لا يشمر إلا بالحسرة والندم . فهي خداعة مكررة
طيارة فرارة ، لاتزال تزين لطلابها : حتى إذا صاروا من أحبابها ، كشرت لهم عن أنيابها
وشوشت عليهم منازم أسباها . وكشفت لهم عن مكنون عجايبها ، فأذاقهم قوائل سماها
ورشتهم بصوائب سهاها ، بينما أمحباها منها في سرور وإنعام ، وإذوات عنهم كأنها أضاث
أجلام ، ثم عذرت عليهم بدواهبها فطحتهم طعن الحصيد . ووارتهم في أكفانهم تحت
الصعيد . إن ملكت واحدا منهم جميع ما طلمت عليه الشمس : جعلته حصيدا كأن لم يفن بالأمس .
تغنى أصحابها سرورا ، وتمدم غرورا . حتى يأملون كثيرا ، ويبنون قصورا . فتصيح قصورهم قبورا ،

وجمعهم يورا ، وسعيهم هباء منشورا ، ودعائهم ثيورا ، هذه صفتها وكان أمر الله قدرا مقدورا
والصلاة على محمد عبده ورسوله ، الرسل إلى العالمين بشيرا ونذيرا . وسراجا منيرا ، وعلى
من كان من أهله وأصحابه له في الدين ظهيرا . وعلى الظالمين نصيرا . وسلم تسليما كثيرا
أما بعد : فإن الدنيا عدوة لله ، وعدوة لأوليائه الله ، وعدوة لأعداء الله
أما عداوته الله ، فإنها قطعت الطريق على عباد الله . ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها
وأما عداوتها لأوليائه الله عز وجل ، فإنها تربت لهم بزيئها ، وعمتهم بزهرتها ونضارتها
حتى تجرعوا مرارة العسر في مقاماتها

وأما عداوتها لأعداء الله ، فإنها استدرجتهم بحكرها وكيدها ، فانتصتهم بشبكتها ،
حتى وثقوا بها : وعولوا عليها . فخرتهم أحوج ما كانوا إليها ، فاجتروا منها حسرة تنقطع
دونها الأكل ، ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد ، فهم على فراغها يتحسرون ، ومن مكايدها
يستغيثون ولا يغاثون ، بل يقال لهم اخسؤا فيها ولا تسكمون (أوتيتك الذين اشتروا
الحياة الدنيا بالآخرة ، فلا يؤتف عنهم الذب ولا هم ينصرون ^(١))
وإذا عظمت غوائل الدنيا وشروورها ، فلا بد أولا من معرفة حقيقة الدنيا ، وما هي ،
وما الحكمة في خلقها مع عداوتها . وما مدخل غورها وشروورها ، فإن من لا يعرف الشر
لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه . ونحن نذكر ذم الدنيا : وأمثلتها وحقيقتها ، وتفصيل معانيها
وأصناف الأشغال المتعلقة بها : ويوجه الحاجة إلى أصولها . وسبب انصراف الخلق عن الله
بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى ، وهو المعين على ما يرتضيه

بيان

ذم الدنيا

الآيات الواردة في ذم الدنيا ، وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا ، وحرف
الخلق عنها ، ودعوتهم إلى الآخرة . بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يعمشوا إلا لذلك
فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن أعظمورها ، وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها

فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) مر على شاة ميتة ، فقال
 « أُرُونِي هَذِهِ الشَّاةَ هَيَّئَةَ عَلَى أَهْلِهَا ؟ » قالوا من هوانها ألقوها : قال « وَالَّذِي
 نَفْسِي بِيَدِهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَى عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الشَّاةِ عَلَى أَهْلِهَا وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ
 عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ أَسْقَى كَأَفْرَأِهَا شَرْبَةً مَاءٍ » وقال صلى الله عليه وسلم^(٢) « الدُّنْيَا
 - جَنُّ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) « الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ
 مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ فِيهَا ، وقال أبو موسى الأشعري^(٤) قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ فَأَيُّوْا
 مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى » وقال صلى الله عليه وسلم^(٥) « حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ »

^(٦) وقال زيد بن أرقم ، كنا مع أبي بكر الصديق رضى الله عنه : فدعا بشراب ، فأتى بهاء
 وعسل . فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه ، وسكتوا وما سكت . ثم عاد وبكى
 حتى غلظوا أنفهم لا يقدرّون على مسأته . قال ثم مسح عينيه ، فقالوا يا خليفة رسول الله
 ما أبكاك ؟ قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيت يده يدفع عن نفسه شيئا ولم أرمعه
 أحدا . فقلت يا رسول الله : ما الذى تدفع عن نفسك ؟ قال « هَذِهِ الدُّنْيَا مُثَلَّتْ لِي فَقُلْتُ

كتاب دم الدنيا

(١) حديث مرعى شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على صاحبها - الحديث : ابن ماجه والحاكم وصحح

استاده من حديث سهل بن سعد وآخره عند الترمذى وقال حسن صحيح ورواه الترمذى

وابن ماجه من حديث السننورد بن شداد دون هذه القطعة الأخيرة وسلم نحوه من حديث جابر

(٢) حديث الدنيا سبعين المؤمن وجنة الكافر : مسلم من حديث أبي هريرة

(٣) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها : الترمذى وبعثه وابن ماجه من حديث أبي هريرة وزاد الأذكار الله

وما والا له وعالم ومعلم

(٤) حديث أبي موسى الأشعري من أحب دنياه أضرب آخرته - الحديث : أحمد والبراز والطبرانى

وابن حبان والحاكم وصححه

(٥) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة : ابن أبي الدنيا فى دم الدنيا واليهبى فى شعب الايمان من طريقه

من رواية الحسن مرسل

(٦) حديث زيد بن أرقم كنا مع أبي بكر فدعا بشراب فأتى بهاء وعسل فلما أدناه من فيه بكى - الحديث :

وفيه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت يده يدفع عن نفسه شيئا - الحديث : البراز

بسنه ضعيف بنحوه والحاكم وصحح استاده وابن أبي الدنيا واليهبى من طريقه بلفظه

لَهَا إِلَيْكَ عَنِّي ثُمَّ رَجَعَتْ فَقَالَتْ إِنَّكَ إِنِ أَقْبَلْتَ مِنِّي لَمْ يُفْلِتْ مِنِّي مَنْ بَعْدَكَ ،
 وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « يَأْجِبُ كُلَّ الْمُجِيبِ لِلْمُصَدِّقِ بِدَارِ الْخُلُودِ وَهُوَ يُسْنَى
 لِدَارِ النُّرُورِ » وروى ^(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزلة ، فقال « هَلُمُّوا
 إِلَى الدُّنْيَا » وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزلة ، وعظاما قد نخرت ، فقال « هَذِهِ الدُّنْيَا »
 وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا مستخاق مثل تلك الحرق ، وأن الأجسام التي ترى بها
 ستصير عظاما بالية . وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ
 مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَظَرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا بَسُرَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا وَهَمَدَتْ
 تَأْهُوَاتِ الْحِلْيَةِ وَالنِّسَاءِ وَالطَّيِّبِ وَالثِّيَابِ »

وقال عيسى عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا رباً فتتخذكم عبيدا ، اكسروا كنزكم عند من
 لا يضيعه ، فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة . وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة
 وقال عليه أفضل الصلاة والسلام ، يا مشر الخواريين ، إني قد كذبت لكم الدنيا على وجهها
 فلا تنعشوها بعدى . فإن من خبت الدنيا أن عصى الله فيها وإن من خبت الدنيا أن الآخرة لا تدرك
 إلا بتركها ؛ ألا فاعبروا الدنيا ولا تمروها ، واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ، وحب شهوة
 ساعة أو رث أهلها حزنا طويلا . وقال أيضا ؛ بطخت لكم الدنيا ؛ وجلستم على ظهرها ؛ فلا تنازعكم
 فيها الملوك والنساء . فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا ، فإنهم لن يمرنوا لكم ما تركتموهم وذريام .
 وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة . وقال أيضا ؛ الدنيا طالبة ومطلوبة ؛ فطالب الآخرة
 يطلبه الدنيا ، حتى يستكمل فيها رزقه . وطالب الدنيا تطالبه الآخرة ، حتى يجي الموت فيأخذ بعنقه

(١) حديث بإعجاب كل العجب للعبد - دق بدار الخلود وهو يسى لدار النور - ابن أبي الدنيا من حديث
 أبي جرير مرسل

(٢) حديث انه وقف على مزلة فقال هلموا الى الدنيا - الحديث : ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا واليهيقي في شعب

الايان من طريقه من رواية ابن ميمون النخعي مرسل وفيه بقة بن الوائد قد عنه وهو مدلس

(٣) حديث ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فانظروا كيف تعملون - الحديث : الترمذي وابن ماجه

من حديث أبي سعيد دون قوله ان بنى اسرائيل الخ والشرط الأول متفق عليه ورواه ابن أبي الدنيا

من حديث الحسن مرسل بالزيادة التي في آخره

وقال موسى بن يسار^(١) قال النبي صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا أَتْبَضَ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَأَتَمُّهُ مُنْذُ خَلَقَهَا لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا » وروى أن سليمان ابن داود عليهما السلام ، روى موكبه والطير أصله ، والجن والإنس عن يمينه وشماله ، قال فرمى باده من بني إسرائيل ، فقيل : والله يا ابن داود اقد آتاك الله ملكا عظيما ، قال فسمع سليمان وقال ، التسيحة في صحيفة ، ومن خير مما أعطى ابن داود فإن ما أعطى ابن داود يذهب ، والتسيحة تبقى . وقال صلى الله عليه وسلم^(٢) « أَلْهَاكُمْ الشَّكَاكُ يَقُولُ ابْنُ آدَمَ نَالِي مَالِي وَهَلْ لَكَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا كُنْتَ فَأَنْبِتَ أَوْ أَبْسَتْ فَأَبْسَتْ أَوْ أَصْدَمْتَ فَأَبْسَمْتَ » وقال صلى الله عليه وسلم^(٣) « الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ وَعَلَيْهَا يُمَادِي مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ وَعَلَيْهَا يُعْسِدُ مَنْ لَا فِقْهَ لَهُ وَلَهَا يَسْتَحْي مَنْ لَا يَتَّقِيَنَّ لَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم^(٤) « مَنْ أَصْبَحَ وَالدُّنْيَا أَكْبَرُ هَمٍّ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ » وألزم الله قلبه أربع خصال هما لا يقطع عنه أبداً وشغلا لا يتفرغ منه أبداً وفقرا لا يبلغ غناه أبداً وأملا لا يبلغ منتهاه أبداً » وقال أبو هريرة^(٥) قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَا أُرِيكَ الدُّنْيَا جَبِيماً غَافِياً ؟ » فقلت بلى يا رسول الله . فأخذ يدي : وأتى بي واديا من أودية المدينة فإذا مزلة فيهما رءوس أناس ، وعذرات ، وخرق ، وعظام : ثم قال « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ هَذِهِ

(١) حديث موسى بن يسار أن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبيض أبيض إليه من الدنيا وله منذ خالفها لم يطر إليها

ابن أبي الدنيا : من هذا الوجه بزيادة واليقي في الشعب من طريقه وهو مرسل

(٢) حديث ألكا كثر يقول ابن آدم مالي مالي - الحديث : - لم من حديث سيد الله بن الشيخ

(٣) حديث الدنيا دار من لا دار له - الحديث : أحمد من حديث عائشة مقتصر على هذا وعلى قوله ولها يجمع من لا عقل له دون بيت وزاد ابن أبي الدنيا واليقي في الشعب من طريقه وماله من لا مال له وإسناده جيد

(٤) حديث من أصبح والدنيا أكبر هم فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال - الحديث : الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر دون قوله وألزم الله قلبه الخ وكذلك رواه ابن أبي الدنيا

من حديث أنس باسناد ضعيف والحاكم من حديث حذيفة وروى هذه الزيادة - بغيره صاحب الفردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف

(٥) حديث أبي هريرة أن أريأت الدنيا جبيا غافيا قلت بلى يا رسول الله فأخذ يدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فإذا مزلة

الحديث : لم أجده أصلا

الرؤوس كانت تخرص كجر صمكهم وتأمل كآملكم ثم هي اليوم عظام بلا جناد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات هي ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم تذوقوا في بطونهم فأصابت والناس يتخذهونها وهذه الحرق البانية كانت ريشهم واباسهم فأصابت والرياح تفسقها وهذه العظام عظام ذوابهم التي كانوا يتجمعون عليها أطراف اليلاد فمن كان با كيا على الدنيا فليترك قال فإبرحنا حتى اشتد بكائنا وبروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم إلى الأرض قال له ابن الخراب : ولد للفناء وقال دازد بن هلال ، تكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام ، يا دنيا ما هو نك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم ؛ إلى فذقت في قلوبهم بفضك والصدود عنك ، وما خلقت خلقا أهون على منك ، كل شأنك صغير وإلى الفناء بعير ، قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدبى لأحد ؛ ولا يدوم لك أحد ، وإن بخل بك صاحبك وشح عليك . طوبى للأبرار الذين أطاعوا في من ألبسهم على الرضا ؛ ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة . طوبى لهم ، ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلى من قبوزهم إلا تنور يسمى أمهم ، والملائكة حافون بهم ، حتى ألبسهم ما يرجون من رحمتي . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لأذى أوليائك اليوم نصيبا فيقول اشكئي يا لاشيء وإني لم أؤنك لهم في الدنيا أؤنك لهم اليوم » . وروى في أخبار آدم عليه السلام ، أنه لما أكل من الشجرة ، تحركت معدته بخروج السفلى ، ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة . فلذلك نهى عن أكلها . قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكا خاضعه : فقل له قل له أي شيء تريد ؟ قال آدم ، أريد أن أضغ ما في بطني من الأذى فقيل للملك قل له في أي مكان تريد أن تضعه ؟ على الفريش ؟ أم على السرر ؟ أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار ؟ هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك ؟ أهبط إلى الدنيا

(١) حديث الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لا ينظر إليها . الحديث : تقدم بعضه من رواية

موسى بن يسار مرسلا ولم أجد باقية

وقال صلى الله عليه وسلم ^(١) « آيَجِشْنَ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَعْمَلُهُمْ كَجِبَالِ تِهَامَةَ فَيُؤْتَرُهُمْ إِلَى النَّارِ » قالوا يا رسول الله ، مصلين ؟ قال « نَعَمْ كَانُوا يُصَلُّونَ وَيَسْمُؤُونَ وَيَأْخُذُونَ هِنَةً مِنَ اللَّيْلِ فَإِذَا عَرَضَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا وَثَبُّوا عَلَيْهِ »
وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه ^(٢) « الْمَوْتُ مِنْ بَيْنِ عَاقِبَتَيْنِ بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ نَصَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ فَلْيَتَرَوُذِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ وَمِنْ حَيَاتِهِ لِمَوْتِهِ وَمِنْ شَبَابِهِ لِهَرَمِهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا خُلِقَتْ لَكُمْ وَأَنْتُمْ خُلِقْتُمْ لِلْآخِرَةِ وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ وَلَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ ».

وقال عيسى عليه السلام : لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن ؛ كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد . وروى أن جبريل عليه السلام : قال لنوح عليه السلام ، يا أطول الأنبياء عمرا ، كيف وجدت الدنيا ؟ فقال كدارها بابان ، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر . وقيل اميسى عليه السلام ، لو أخذت بيتا يسكنك ، قال يكفيني خلقان من كان قبلنا وقال نينا صلى الله عليه وسلم ^(٣) « اخذروا الدنيا فَإِنَّهَا أَسْحَرُ مِنْ هَارُوتَ وَمَارُوتَ » وعن الحسن قال ^(٤) « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال « هَلْ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ أَلْعَمَى وَيَجْعَلَهُ بَصِيرًا أَلَا إِنَّهُ مِنْ رَغَبٍ فِي الدُّنْيَا وَطَالَ أَمَلُهُ فِيهَا أَلْعَمَى اللَّهُ قَلْبَهُ عَلَى قَدَرِ ذَلِكَ وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا وَقَصُرَ فِيهَا أَمَلُهُ أَعْطَاهُ اللَّهُ عِلْمًا يَبْغِي تَعْلَمَ وَهَدَى بِغَيْرِ هِدَايَةٍ أَلَا إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدَكُمْ قَوْمٌ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُمْ

(١) حديث ليحيى بن أقيوم يوم القيامة قوامهم كجبال تهماء يؤمرهم إلى النار - الحديث : أبو نعيم في الحلية

من حديث ساه مولى أبي حذيفة بسند ضعيف وأبو نعير الدبلي من حديث أنس وهو ضعيف أيضا

(٢) حديث للمؤمن بين عاقبتين بين أجل قدس - الحديث : البيهقي في الشعب من حديث الحسن عن رجل

من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفيه انقطاع

(٣) حديث اخذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت : ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه من رواية

أبي الدرداء الراوى مرسلًا وقال البيهقي ان بعضهم قال عن أبي الدرداء عن رجل من الصحابة

قال انه لا يدري من أبو الدرداء قال وهذا منكرا لأصله

(٤) حديث الحسن هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى - الحديث : ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب

من طريقه هكذا مرسلًا وفيه إبراهيم بن الأشعث تكلم فيه أبو حاتم

الملك إلا بالقتل والتجبر ولا أنفى إلا بالقدر والبخل ولا المحبة إلا بالتباعد الهوى
 ألا قرأ أدرك الزمان منكم فصر على الفقر وهو يقدر على أنفى وصبر على الأيضا
 وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد ذلك إلا وجه الله تعالى
 أعطاه الله ثواب خمسين مديها . وروى أن عيسى عليه السلام ، اشتد عليه المطر
 والرعد والبرق يوما ، فحمل يطلب شيئا يلجأ إليه ، فوقعت عينه على خيمة من بعيد ، فاتاها
 فإذا فيها امرأة ، فجاد عنها ، فإذا هو بكهف في جبل ، فاتاه . فإذا فيه أسد . فوضع يده
 عليه وقال ، إلهي جعلت لكل شيء مأوى ، ولم تجعل لى مأوى . فأوحى الله تعالى إليه :
 مأواك فى مستقر رحمتى ، لأزورك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها يدي ، ولأعلمن فى
 عرسك أربعة آلاف عام ، يوم منها كعمر الدنيا ، ولأمرن مناديا ينادى أين الزهاد فى الدنيا
 زوروا عرس الزاهد فى الدنيا عيسى بن مريم . وقال عيسى بن مريم عليه السلام ، ويل
 لصاحب الدنيا ، كيف يموت ويتركها وما فيها ، وتفره ويأمنها ؛ ويثق بها وتحذله ، ويويل
 للمفتقرين ، كيف أرثهم ما يكرهون ، وفارقه ما يحبون ، وجاءهم ما يوعدون . ويويل لمن
 الدنيا همه ، والخطايا عمله ، كيف يختصم غدا بذنبه . وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ،
 ياموسى ، مالك ولدك الظالمين ؛ إنها ليست لك بدار ، أخرج منها همك ؛ وفارقها بملكك ، فبست
 الدار هي ، إلا تعامل يعمل فيها ، ففتمت الدار هي . ياموسى ، إلى مرصد الظالم حتى أخذ منه المظلوم
 وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) : بعث أبا عبيدة بن الجراح ، فجاءه بال
 من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة ، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم . فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتمرضوا له ، فقبهم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ، ثم قال « أَطْنَكُم سَبَقْتُمْ أَنْ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِيمٌ بَشِيءٌ ؟ »
 قالوا أجل يا رسول الله . قال « فَأَبَشِّرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْنَى عَلَيْكُمْ
 وَلَسَكُنَى أَخْنَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بَسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا

(١) حديث بعث أبا عبيدة بن الجراح جاءه بال من البحر يرفسمت الأنصار بقدوم أبى عبيدة : يفتق عليه
 من حديث عمرو بن عوف البدرى

كَمَا تَنَافَسُوهَا فَمَن لَّكُم مِّنْهَا أَهْلَكَكُمْ؟ كَمَا أَهْلَكَكُمْ؟ » وقال أبو سعيد الخدري ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « إِنَّ أَكْثَرَ مَا تَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ » فقيل ما بركات الأرض ؟ قال « زَهْرَةُ الدُّنْيَا » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٢) « لَا تَشْمَلُوا قُلُوبَكُمْ بِذِكْرِ الدُّنْيَا » فمضى عن ذكرها ، فضلا عن إصابتها

وقال صرار بن سعيد : مر عسى عليه تسلام بقرية ، فإذا أهلها ، ووفى في الأفنية والطرق فقال يا معشر الحواريين ، إن هؤلاء ماتوا عن سخطه ، ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا . فقالوا يا روح الله ، وددنا أن لو علمنا خبرهم . فسأل الله تعالى ، فأوحى إليه ، إذا كان الليل فتادهم يجيئوك . فلما كان الليل ، أشرف على نثر ، ثم نادى يا أهل القرية ، فأجابه يجيب لبيك يا روح الله . فقال ما حالكم وما قصتكم ؟ قال بقنا في عافية ، وأصبحنا في الهاوية . قل وكيف ذلك ؟ قال بجبتنا الدنيا ، وطاعتنا أهل المصاصي . قال وكيف كان حبكم للدنيا ؟ قال حب البصبي لأمه إذا أقبلت فرحنا بها ، وإذا أدبرت حزنا وبكىنا عليها . قال فما بال أصحابك لم يجيئوني ؟ قال لأنهم لمجمعون بلجم من نار ، بأيدي ملائكة غلاظ شداد . قال فكيف أجبتني أنت من بينهم ؟ قال لأني كنت فيهم ولم أكن منهم ، فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم ، فأنا معاق على سفير جنهم ، لا أدري أنجو منها أم لا كذب فيها . فقال المسيح للحواريين ، لأكل خبز الشعير بالمسح الجريش ، ليس المسوح والنوم على المزابل ، كبير مع عافية الدنيا والآخرة . وقال أنس ^(٣) : كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم المضياء لا تسبق . فجاء أعرابي بناقته فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين ، فقال صلى الله عليه وسلم « إِنَّهُ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ » وقال عيسى عليه السلام ، من الذي يبنى على موج البحر دارا تلحم الدنيا فلا تتخذوها قرارا . وقيل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه . قال انفضوا الدنيا يحكمكم الله تعالى .

(١) حديث أبي سعيد أن أكثر ما تخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض - الحديث : متفق عليه
(٢) حديث لا تشعروا قلوبكم بذكر الدنيا : الصحيح في الشعب من طريق ابن أبي الدنيا من رواية محمد بن النضر الحارثي مرسل

(٣) حديث أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم المضياء لا تسبق - الحديث : وفيه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه البخاري

تخدير
أبي الدرداء
الدين

وقال أبو الدرداء ^(١) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم كثيراً وبكيتكم كثيراً ولهايات عليكم الدنيا والآخرة » ثم قال أبو الدرداء : من قبل نفسه . لو تعلمون ما أعلم ، لخرجتم إلى الصدقات تجأرون وتبكون على أنفسكم ، وتتركتم أموالكم لأحارسها ، ولا راجع إليها إلا ما لا بد لكم منه ، ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة ، وحضر ما الأمل ، فصارت الدنيا أماناً بأعمالكم ، وصرت كالدين لا يعلمون فيه منكم شر من البهائم التي لا تدع هواها بخافة مما في عاقبتها . ما لكم لا تحبون ولا تتأخرون وأنتم إخوان على دين الله ، ما فرق بين أهوائكم إلا خبت سرائركم ، ولو اجتمعتم على البر لمعاً بكم . ما لكم تدمعون في أمر الدنيا ولا تتأخرون في أمر الآخرة ، ولا يملك أحدكم المصلحة لمن يحبه ويؤمته على أمر آخرته . ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم . لو كنتم توفقون بخير الآخرة وشر ما كانا توفقون بالدنيا ، لآثرتم طلب الآخرة ، لأنها أملاك لأه وركم . فإن فلم حب العاجلة غائب . ما نأراكم تدعون العاجلة من الدنيا للآجن منها ، تكذبون أنفسكم بالمسقة والاحتراف ، في طاب أمر ما لكم لا تدركونه ، فبئس القوم أنتم ، ما حققتم إيمانكم بما يعرف به إلا أن الباطن فيكم . فإن كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، فأتوا نبيين لكم . وإن ربكم من النور . طمئن إليه قلوبكم . والله أنتم بالمنقوصة عقولكم فتمزكم . إنكم تستبدلون صواب الرأي في دنياكم ، وتأخذون بالخزء في أموركم . ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيدونه ، وتخزون على اليسير منها يغوتكم ، حتى يبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم ، وتسدونها المسائب . وتقيمون فيها المآثم ، رعامتكم قدر كوا كثيراً من دينهم ، ثم لا يبين ذلك في وجوهكم ، ولا يتغير حالكم . إني لأرى الله قد تبرأ منكم يلقى بعنكم بعضاً بالسرور ، وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره ، بخافة أن يستقبله صاحبه بثله . فاد طحيتكم على الفل ، ونبتت مراعيكم على الدمن ، وتصافيتكم على رفض الأجل

(١) حديث أبي الدرداء . لو تعلمون ما أعلم لضحكتم كثيراً وبكيتكم كثيراً ولهايات عليكم الدنيا والآخرة الطبراني دون قوله لهايات الخبز زادوا لخرجتم إلى الصدقات - الحديث : وزاد الترمذي وإن صاحبه من حديث أبي ذر وما لفظتم بالنساء على الفرس وأول الحديث منفق عليه من حديث أنس وفي أفراد البخاري من حديث عائشة

ولوددت أن الله تعالى أراحني منكم ، وألحقني بمن أحب رؤيته ، ولو كان حيا لم يصاركم . فإن كان فيكم خير فقد أسمعتمكم ، وإن تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا ، والله أستمين على نفسي وعليكم . وقال عيسى عليه السلام ، يامعشر الخواريين ، ارضوا بدني الدنيا مع

سلامة الدين ، كما رضى أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا . وفي معناه قيل

أرى رجلا بأدنى الدين قد قنعوا وما أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنيام عن الدين

وقال عيسى عليه السلام ، ياطالب الدنيا لبر ، تركت الدنيا أبر . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ^(١) « لَتَأْتِيَنَّكُمْ بِمَدَى دُنْيَا تَأْكُلُ إِيمَانَكُمْ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ » ، وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ، ياموسى لا تركن إلى حب الدنيا ، فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها . وموسى عليه السلام يرجل وهو يبكي ، ورجع وهو يبكي . فقال موسى ، يارب عبدك يبكي من مخافتك . فقال يا ابن صمران ، لو سال دماغه مع دموع عينيه ، ورفع يديه حتى يسقطا ، لم أغفر له وهو يحب الدنيا

الآثار : قال على رضى الله عنه ، من جمع فيه ست خصال ، لم يدع للجنة مطلباً ، ولا عن النار مهرباً . أولها من عرف الله فأطاعه ، وعرف الشيطان فمضاه ، وعرف الحق فاتبه ، وعرف الباطل فاتقاه ، وعرف الدنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطابها . وقال الحسن : رحم الله أقواماً كانت الدنيا عندهم وديسة ، فأدوها إلى من ائتمنهم عليها ، ثم راحوا خفافاً . وقال أيضاً رحمه الله ، من نافسك في دينك فنافسه ، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره

وقال لقمان عليه السلام لابنه ، يا بني ، إن الدنيا بحر صميق ، وقد غرق فيه ناس كثير ، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل ، وحشوها بالإيمان بالله تعالى ، وشرعها التوكل على الله عز وجل ، لعلك تنجو وما أراك ناجياً . وقال الفضيل ، طالت فكرتي في هذه الآية (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ^(٢)) وقال بعض الحكماء ، إنك لن تصبح في شيء من الدنيا ، إلا وقد كان

(١) حديث لتأتينكم بمدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب لم أجده أصلاً

له أهل قبالك ، وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا ، إلا عشاء ليلة وغداء يوم ، فلا تهلك في أكله ، وصم عن الدنيا ، وأفطر على الآخرة وإن رأس مال الدنيا الهوى ، وربحها النار . وقيل لبعض الرهبان ، كيف ترى الدهر ؟ قال يخلق الأبدان ، ويحدد الآمال ويقرب المنية ، ويبعد الأمنية . قيل فاحال أهلها : قال من ظفر به تعب ، ومن فاته نصب وفي ذلك قيل

ومن يحمّد الدنيا لميش يسره فسوف لعمري عن قليل يلوها

إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثير أهومها

وقال بعض الحكماء : كانت الدنيا ولم أكن فيها ، وتذهب الدنيا ولا أكون فيها ، فلا أسكن إليها ، فإن عيشها تكدر ، وصفوها كدر ، وأهلها منها على وجل ، إما بنعمة زائلة أو بيلة نازلة ، أو منية قاضية . وقال بعضهم : من عيب الدنيا أنها لا تعطى أحدا ما يستحق أسكنها إما أن تريد وإما أن تنقص . وقال مقيان : أما ترى النعم كأنها مغنوب عليها . قد وضعت في غير أهلها . وقال أبو سليمان الداراني : من طلب الدنيا على المحبة لها ، لم يعب منها شيئا إلا أراد أكثر . ومن طلب الآخرة على المحبة لها ، لم يعب منها شيئا إلا أراد أكثر . وليس لهذا غاية . وقال وجل لأبي حازم . أشكو إليك حب الدنيا ، وليست لي بدار . فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها ، فلا تأخذها إلا من حله ، ولا تنمعه إلا في حقه ، ولا يضرك حب الدنيا . وإنما قال هذا ، لأنه لو أخذ نفسه بذلك لأنتمه ، حتى يتعب بالدنيا ، ويطلب الخروج منها . وقال يحيى بن معاذ : الدنيا حانوت الشيطان ، فلا تسرق من حانوته شيئا ، فيجىء في طلبه فيأخذك . وقال الفزيل . لو كانت الدنيا من ذهب يفتنى والآخرة من خرف يبق ، اسكن يفتنى لنا أن نختار خرفا يبق ، على ذهب يفتنى . فكيف وقد اخترنا خرفا يفتنى . على ذهب يبق ! وقال أبو حازم ، إياكم الدنيا ، فإنه بلغني أنه يوقف العبد يوم القيامة ، إذا كان معظما للدنيا ، فيقال هذا عظم . احتره الله . وقال ابن سعد ، لا يبيع أحد من الناس إلا وهو خفيف ، وماله عارية . فالخفيف مرتحل ، والعارية مردودة . وفي ذلك قيل :

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوما أن ترد الودائع

وزار رابعة أصحابها ، فذكروا الدنيا ، فأقبلوا على ذمها ، فقالت اسكتوا عن ذكرها : فلو لا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها : ألا من أحب شيئا أكثر من ذكره .

وقيل لإبراهيم بن آدم كيف أنت ؟ فقال :

ترقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرعى
فطوبى لعبد آثر الله ربه
وجاد بدنياه لما يتوقع

وقيل أيضا في ذلك

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره
كأن بنى بنيانه فأقامه
ونال من الدنيا سرورا وأنما
فلما استوى ما قد بناء تهدما

وقيل أيضا في ذلك

هب الدنيا تساق إليك عفوا
أليس معيبر ذاك إلى انتقال
وما دنياك إلا مثل فيء
أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقيمان لابنه ، يا بني ، بيع دنياك بآخرتك ترجعها جميعا . ولا تبع آخرتك بدنياك
تخبروها جميعا . وقال مطرف بن الشخير ، لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رباشهم
ولسكن النظر إلى سرعة ظنهم وسوء منقلبهم . وقال ابن عباس : إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء
جزء للبر ، جزء للعنافة ، وجزء للكافر . فالمرء من يزود ، والمنافق يتزين ، والكافر يتمتع .
وقال بعضهم ، الدنيا جيفة ، فمن أراد منها شيئا فليصبر على معاينة الكلاب . وفي ذلك قيل

يا خاطب الدنيا إلى نفسها
تنح عن خطبتها تسلم
إن التي تحطاب غدارة
قريبة العرس من المأثم

وقال أبو الدرداء ، من هو أن الدنيا على الله أنه لا يصح إلا فيها ، ولا ينال ما عنده
إلا بتركها . وفي ذلك قيل

إذا لم تحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق
وقيل أيضا .

ياراقند الليل - مسرورا بأوله -
أفتر القرون التي كانت منعمة
قد كان في الدهر نقاعا وضرا
يمسى ويصبح في دنياه سفارا

هلا تركت من الدنيا معاتقة . حتى تمانق في الفردوس أبكارا

إن كنت تبغى جنانا غلغل تسكنها . فينبغى لك أن لا تأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه ، لما بث محمد صلى الله عليه وسلم ، أنت إبليس جنوده فقلوا ، قد بث نبي وأخرجت أمة . قال يحبون الدنيا ؟ قالوا نعم . قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالي أن لا يمددوا الأوثان ؛ وإنما أعدو عليهم وأرواح بثلاث ، أخذ المال من غير حقه ، وإففاقه في غير حقه ، وإمساكه عن حقه . والشركه من هذا نفع . وقال رجل لعلي كرم الله وجهه ، يا أباير المؤمنين ، صف لنا الدنيا . قال وما أصف لك من دار من صبح فيها سقم ، ومن أمن فيها ندم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها افتقر ، في حلالها الحساب ، وفي جرامها العقاب ، ومتشابهها العتاب . وقيل له ذلك مرة أخرى فقال ، أطول أم أقصر ؟ ف قيل قصر ، فقال حلالها حباب ، وحرامها عذاب .

وقال مالك بن دينار ، اتقوا السحارة ، فإنها تسحر قلوب العلماء ، يعني الدنيا . وقال أبو سليمان الداراني ، إذا كانت الآخرة في القلب ، جاءت الدنيا تراجمها . فإذا كانت الدنيا في القلب ، لم تراجمها الآخرة ، لأن الآخرة كريمة ، والدنيا ثيمة ، وهذا تشديد عظيم . ونرجو أن يكون ما ذكره سيار بن الحكم أصح ، إذ قال : الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب ، فأيهما غلب كان الآخر تبعه . وقال مالك بن دينار ، بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك . وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك . وهذا اقتباس مما قاله علي كرم الله وجهه ، حيث قال ، الدنيا والآخرة ضربتان ، فبقدر ما مرضى أحدهما نسخا الأخرى . وقال الحسن ، والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ، ما يبالون أن شرقت الدنيا أم غربت ذهبت إلى ذا أو ذهبت إلى ذا . وقال رجل للحسن ، ما تقول في رجل آناه الله مالا ، فهو يتصدق منه ، ويصل منه ، أيحسن له أن يتعيس فيه ، يعني يتعتم . فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ، ويقدم ذلك ليوم فقره .

وقال الفضيل ، لو أن الدنيا مجذا فبرها عرضت على جلالا ، لا أحاسب عليها في الآخرة لكنت أقدرها ، كما يتقدر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه . وقيل ، لما قدم عمر رضي الله عنه الشام ، فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بجمل ، فسلم وسأله

ثم أتى منزله فلم يرفيه إلا سيفه وترسه ورحله ، فقال له عمر رضي الله عنه ، لو اتخذت متاعا فقال يا أمير المؤمنين ؛ إن هذا يلغذا المقييل . وقال سفيان ، خذ من الدنيا لبدنك ، وخذ من الآخرة لقلبك ، وقال الحسن ؛ والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا وقال وهب . قرأت في بعض الكتب ، الدنيا غنيمة الأكياس ، وغفلة الجاهل ، لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجمة فلم يرجعوا . وقال لقمان لابنه ، يا بني ، إنك استدبرت الدنيا من يوم تزلتها ، واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها ، أقرب من دار تباعد عنها . وقال سعيد بن مسعود ، إذا رأيت العبد تزداد دنياه ، وتنقص آخرته وهو به راض ، فذلك المغبون ، الذي يلبس بوجهه وهو لا يشعر

وقال عمرو بن العاص على المنبر ، ^(١) والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم . والله ما صر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إلا والذي عليه أكثر من الذي له . وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى (فَلَا تَفْرَحْ بِكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) من قال ذا ؟ قاله من خلقها ، ومن هو أعلم بها . إياكم وما شغل من الدنيا ، فإن الدنيا كثيرة الأشغال ، لا يفتح رجل على نفسه باب شغل ، إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب . وقال أيضا ، مسكين ابن آدم ، رضى بدار حلالها حساب ، وحرامها عذاب ، إن أخذه من حله حوسب به ، وإن أخذه من حرام عذب به . ابن آدم يستقل ماله ، ولا يستقل عمله . يفرح بمصيبته في دينه ، ويحزح من مصيبته في دنياه . .

وكتب الحسن إلى عمر بن عبدالعزيز ، سلام عليك ، أما بعد . فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات . فأجابه عمر ، سلام عليك ، كأنك بالدنيا ولم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تزل . وقال الفضيل بن عياض ، الدخول في الدنيا هين ، ولكن الخروج منها شديد . وقال بعضهم ، عجبا لمن يعرف أن الموت حق ، كيف يفرح ! وعجبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك ! وعجبا لمن رأى قلب الدنيا بأهلها ، كيف يطعن إليها ! وعجبا لمن يعلم

(١) حديث عمرو بن العاص والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم - الحديث : الحاكم وصححه ورواه أحمد وابن حبان بنحوه

أن القدر حق ، كيف ينصب ! وقدم على « ماوية رضى الله عنه رجل من نجران ، غمرة مائتة . فسأله عن الدنيا كيف يجدها ؟ فقال سنيات بلاء ، وسنيات رخاء . يوم فيوم وليلة قليلة يولد ولد ، ويهلك هالك . فاولا المولود لباد الخلق ، ولولا الله لك ضاقت الارض بمن فيها . فقال له سل ما شئت . قال : صرته ضى قدره ، وأجل حضرته فدفعه . قال لا أم لك ذلك . قال لا حاجة لي إليك وقال داود الطائي رحمه الله ، يا ابن آدم ، فرحت يلوغ أم لك ، وإنما بليته بانقضاء أجلك . ثم سوفت يملكك ، كأن منفعتك لنيرك . وقال بشر ، من سأل الله الدنيا فإعنا بسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم ، ما فى الدنيا شيء يسرك ، إلا وقد ألصق الله إليه شيئا يسوءك . وقال الحسن : لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث ، أنه لم يشبع مما جمع ، ولم يدرك ما أمل ، ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه . وقيل لِمَ مضى العباد ، قد نلت النغى . فقال إنما نال النغى من عتق من رق الدنيا .

وقال أبو سليمان : لا يصبر عن شهوات الدنيا ، إلا من كان فى قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار ، اسطلحنا على حب الدنيا ، فلا يأمر بمعضنا بمعضا ، ولا ينهى بمعضنا بمعضا ، ولا يدعنا الله على هذا ، فليت شمرى أى عذاب الله ينزل علينا . وقال أبو حازم ، يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة . وقال الحسن ، أهينوا الدنيا ، فوالله ما هى لأحد بأهتا منها لمن أهانها . وقال أيضا ، إذا أراد الله بعبد خيرا ، أعطاه من الدنيا عطية ، ثم عمسك فإذا تفتأ عاد عليه . وإذا هان عليه عبد ، بسط له الدنيا بسطا . وكان بعضهم يقول فدعائه يا ممسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك ، أمسك الدنيا عني ، وقال محمد بن المنكدر ، أ رأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر ، وقام الليل لا ينام ، وتصدق بماله ، وجاهد فى سبيل الله ، واجتنب محارم الله ، غير أنه يؤتى به يوم القيامة ، فيقال إن هذا عظم فى عينه ما صغره الله ، وصغر فى عينه ما عظمه الله ، كيف ترى يكون حاله ؟ فمن منا ليس هكذا ؟ الدنيا عظيمة عنده ، مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا

وقال أبو حازم ، اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة ، فأما مؤنة الآخرة فإنك لا تجد عليها أهوانا ، وأما مؤنة الدنيا فإنك لا تضرب بيدك إلى شيء منها ، إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليه .

وقال أبو هريرة، الدنيا، وموثة بين السماء والأرض، كالتن البالي، تنادى بها منذ خلقته إلى يوم يفنيها، يارب، يارب، لم تبغضني؟ فيقول لها اسكتي يا لاشيء. وقال عبد الله بن المبارك، حب الدنيا، والدنوب في القلب قد احتوشته؟ فتى يصل الخير إليه؟ وقال وهب بن منبه، من فرح قلبه بشيء من الدنيا، فقد أخطأ الحكمة. ومن جعل شهوته تحت قدميه، فرق الشيطان من ظله. ومن غاب عنه هواه، فهو الغالب. وقيل لبشر: مات فلان. فقال جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه. قيل له إنه كان يفعل ويفعل، وذكروا أبوابا من البر، فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا؟

وقال بعضهم، الدنيا تبغض إلينا نفسها، ونحن نحبها. فكيف لو تحببت إلينا. وقيل لحكيم، الدنيا لمن هي؟ قال لمن تركها. فقيل الآخرة لمن هي؟ قال لمن طلبها. وقال حكيم، الدنيا دار خراب، وأخرب منها قلب من يمرها. والجنة دار عمران، وأمر منها قلب من يطلبها. وقال الجنيد، كان الشافعي، رحمه الله، من الريدين الناطقة بين بلان الحق في الدنيا، وعظأ أخاله في الله، وخوفه بالله، قال يأخى، إن الدنيا داحض مزلة، ودار مذلة، عمرائها إلى الخراب سائر، يساكنها إلى القبور زائر. شمها على الفرقة، ووقوف، وغناها إلى الفقر مصروف الإ. كثار فيها إعمار، والإعمار فيها يسار، فافزع إلى الله، وأرض برزق الله لا تتسلف من دار فناءك إلى دار بقاءك، فإن عيشك في زائل، وجدار مائل. أكثر من عملك، وأقصر من أملك. وقال إبراهيم بن آدم لرجل: أدرم في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة؟ فقال دينار في اليقظة. فقال كذبت، لأن الذي تحبه في الدنيا، كأنك تحبه في المنام. والذي لا تحبه في الآخرة، كأنك لا تحبه في اليقظة. وعن اسماعيل بن عياش قال: كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة، فيقولون إليك عنا يا خنزيرة. فلو وجدوا لها إسما أقيح من هذا لسموها به. ويقال كسب، لتحبين إليكم الدنيا حتى تميدوها وأهلها. وقال يحيى بن معاذ الرازي، رحمه الله العقل ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تنزك، وبني قبره قبل أن يدخله، وأرضى خاتمه قبل أن يلقاه. وقال أيضا، الدنيا باع من شؤمها أن تغنيك لما يلهيك عن طاعة الله، فكيف الوقوع فيها. وقال بكر بن عبد الله، من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا، كان كعطى النار بالكبن. وقال بNDAR، إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد، فاعلم أنهم في سخرة الشيطان

وقال أيضا من أقبل على الدنيا أخرقته نيرانها ، بمعنى الحرص ، حتى يصير رمادا . ومن أقبل على الآخرة صفته بنيرانها . فصار سيكة ذهب ينتفع به . ومن أقبل على الله عز وجل ، أخرقته نيران التوحيد ، فصار جوهرًا لأحدانيته

وقال على كرم الله وجهه ، إنما الدنيا ستة أشياء ، مطموم ، ومشروب ، وملبوس ، ومركوب ، ومنكوح ، ومشموم . فأشرف المطمومات المسك ، وهو مذقة ذباب . وأشرف المشروبات الماء ، ويستوى فيه البر والفاجر . وأشرف الملبوسات الحرير ، وهو نسج دودة . وأشرف المركوبات الفرس ، وعليه يقتل الرجال . وأشرف المنكوحات المرأة ، وهي بال في مال . وإن المرأة تزين أحسن شئ منها ، ويراد أبيع شئ منها . وأشرف المشومات المسك ، وهو دم

بيان

المواعظ في ذم الدنيا وصفتها

قال بعضهم ، يأبىها الناس عملوا على عمل ، وكونوا من الله على وجل ، ولا تتروا بالأمل ونسيان الأجل ، ولا تركنوا إلى الدنيا فإنها غدارة خداعة ، قد ترخفت لكم بفرورها وفنتكم بآمانيها ، وتزينت لخطاياها ، فأصبحت كالعروس المجلية ، الديوث إليها ناظرة ، والقلوب عليها عاكفة ، والنفوس لها عاشقة . فكم من عاشق لها قتل ، ومطمئن إليها خذلت . فانظروا إليها بعين الحقيقة : فإنها دار كثير بوائقها ، وذمها خالقها ، جديدها بلى ، وملكمها يقضى ، وعزيرها يذل ، وكثيرها يذل ، وودها يموت ، وخيرها يفوت . فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم ، وانتهبوا من رقتكم ، قبل أن يقال فلان عليل ، أو مدنف ثقيل ، فهل على الدواء من دليل ؟ أو هل إلى الطبيب من سبيل ؟ فتدعى لك الأطباء ، ولا يرجى لك الشفاء . ثم يقال فلان أوصى ، ولما له أحصى . ثم يقال قد ثقل لسانه ، فما يكلم إخوانه ، ولا يعرف جيرانه . وغرق عند ذلك جبينك ، وتنازع أنينك ، وثبت يقينك ، وطهحت جفونك ، وصدقت غلظونك ، وتلجج لسانك ، وبكى إخوانك ، وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان . ومنت من الكلام فلا تنطق ، وختم على أسنانك فلا ينطق . ثم حل بك القضاء ، وانتزعت نفسك من الأعضاء ، ثم عرج بها إلى السماء ، فاجتمع عند ذلك

إخوانك ، وأحضرت أكفانك ففسلوك ، وكفنوك ، ففقطع عوادك ، واستراح حسادك
وانصرف أهلك إلى مالك ، وبقيت مرتها بأعمالك

وقال بعضهم لبعض الملوك : إن أحق الناس بدم الدنيا وأهلاها من بسط له فيها ، وأعطى
حاجته منها ، لأنه يتوقع آفة تدعو على ماله فتجتاحه ، أو على جمعه فتفرقه ، أو تأتى سلطانه
قهره من القواعد ، أو تدب إلى جسمه فتسقمه ، أو تفجمه بشيء هو ضنين به بين
أحبابه فالدنيا أحق بالدم ، هي الآخذة ماله على . الراجعة فيما تهب . بينا هي تضحك
صاحبها ، إذ أضحكت منه غيره . وبينما هي تبكى له ، إذ أبكت عليه . وبينما هي تبسط
كفها بالإعطاء ، إذ بسطتها بالاسترداد . فتمتد التاج على رأس صاحبها اليوم ، وتمفره بالتراب
غدا . سواء عليها ذهاب مذهب ، وبقاء ماقى ، مجد فى الباقي من الداهب خلفا ، وترضى
بكل من بكل بدلا . وكتب الحسن البصري ، إلى عمر بن عبد العزيز : أما بدد ، فإن
الدنيا دار ظنن ليست بدار إقامة ، وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة ، فأحذرهما
يأمر المؤمنين ، فإن الزاد منها تركها ، والنقى منها فقرها . لها فى كل حين قتيل ، تذلل من
أعزها ، وتفقر من جمعها . هي كالسم يأكله من لا يعرفه ، وفيه حتفه . فكن فيها كالمدبى
جراحه ، يحمى قليلا ، يخافه مايكره طويلا . ويصبر على شدة الدواء ، يخافه طول الداء .
فاحذر هذه الدار الفدارة : الختالة الخداعة : التي قد تربنت بخدعها ، وفنتت بضرورها ،
وحلت بأمالها ، وسوقت بخطابها ، فأصبحت كالمرس المجلية ، العيون إليها ناظرة ، والقلوب
عليها والهمة ، والنفوس لها عاشقة . وهي لأزواجها كلهم قالية . فلا الباقي بالماضى معتبر ،
ولا الآخر بالأول مزدجر ، ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مذكر . فماشى
لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطنى ، ونسى المعاد ، فشغل فيها لبه : حتى زلت به قدمه ،
فعمطت ندامته ، وكثرت حسرته ، واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه ، وحسرات
الفوت بغمته . وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ، ولم يروح نفسه من التعب ، فخرج
بغير زاد ، وقدم على غير مهاذ ، فاحذرهما يأمر المؤمنين ، وكن أسر ماتكون فيها ، أحذر
ماتكون لها . فإن صاحب الدنيا كلما اطمان منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه ، السار
فى أهلها غار ، والنافع فيها غثار سار . وفدوصل الرخاء منها بالبلاء ، وجعل البقاء فيها إلى فناء .

فسرورها مشوب بالأحزان ، لا يرجع منها ما لى وأدبر ، ولا يدري ما هوأت ، فينتظر . أمانيها كاذبة ، وآمالها باطلة ، وصفوها كدر ، وعيشها نكد ، وابن آدم فيها على خطر ، إن عقل ونظر . فهو من النماء على خطر ، ومن البلاء على حذر . فلو كان الخلاق لم يخبر عنها خبرا ، ولم يضرب لها مثلا ، لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ، ونبهت النافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر ، وفيها واعظ ، فإلها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر إليها منذ خلقها ^(١) . ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بتفانيها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح يموضة ، فأبى أن يقبلها ، إذكره أن يخالف على الله أمره ، أويحب ما ينفضه خالقه ، أو يرفع ما وضعه ملكه . فزواها عن الصالحين اختبارا ، وبسطها لأعدائه اغترارا ، فيظن المنزور بها ، المقتدر عليها ، أنه أكرم بها ، ونسى ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ^(٢) حين شد الحجر على بطنه ، ولقد جاءت الرواية منه عن ربه عز وجل ، أنه قال لموسى عليه السلام ، إذا رأيت النفي مقبلا ، فقل ذنب مجملت عقوبته . وإذا رأيت الفقر مقبلا ، فقل مرجا بشمار الصالحين . وإن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة ، عيسى بن مريم عليه السلام ، فإنه كان يقول ، إدامى الجوع ، وشعاري الخوف ، ولباسى الصوف ، وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس ، وسراجي القمر ، وذاتي رجلاى ، وطمايى وفاكهي ما أنبت الأرض ، أبيت وأيس لى شيء ، وأصبح وليس لى شيء . وليس على الأرض أحد أغنى منى . وقال وهب بن منبه ، لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام إلى فرعون ، قال لا يرو عنك لباسه الذى لبس من الدنيا ، فإن ناصيته يدي ، ليس ينطق ، ولا يطرف ، ولا يتنفس إلا بإذنى ولا يمجيتكا ما تنعم به منها فإنما هي زهرة الحياة الدنيا ، وزينة المترفين . فلو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا ، يعرف

(١) حديث الحسن وكتب به إلى عمر بن عبد العزيز عرضت أى الدنيا على نبيك صلى الله عليه وسلم بتفانيها وخزائنها - الحديث : ابن أبي الدنيا هكذا مرسل ورواه أحمد والطبراني متصلا من حديث أبي مويبة في ثناء حديث فيه أنى قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة - الحديث : وسنده صحيح والترمذي من حديث أبي أمامة عرض على ربي ليجعل لى بطحاء مكة ذهابا - الحديث :

(٢) حديث الحسن مرسل فى شد الحجر على بطنه : إن أبى الدنيا أيضا هكذا والبخارى ، من حديث أنس رضى الله عنه عن جبر جبر فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين وقال حديث غريب

فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتها : انقلبت . ولكنى أرغب بكم عن ذلك ،
فأزوى ذلك عنكم ، وكذلك أقفل بأوليائى ، إني لأذودهم عن نصيبها ، كما يذود الراعى الشفيق
غنمه عن مراعى الهلكة ، وإني لأجنبهم ملاذها ، كما يجنب الراعى الشفيق إبله
عن منازل الفرة . وما ذاك لهوانهم على ، ولكن ايسكتلوا نصيبهم من كرامتى سالما
موفرا . إنما يزين لى أوليائى بالذل ، والخوف ، والخضوع ، والتقوى تنبت فى قلوبهم ،
وتظهر على أجسادهم ، فبى ثيابهم التى يلبسون ، وديارهم التى يظهرون ، وضيقهم الذى
يستشعرون ، ونجاتهم التى بها يفوزون ، ورجاؤهم الذى يأمون ، وعجزهم الذى به يفخرون
وسبامهم التى بها يمرقون . فإذا لقيتهم فاقض لهم جناحك ، وذلل لهم قلبك ولسانك .
واعلم أنه من أخاف لى ولما فقد بارزنى بالحاربة ، ثم أنا الناصر له يوم القيامة .

خطبة على كرم
الله وجهه فى
ذم الدنيا

وخطب على كرم الله وجهه يوما خطبة ، فقال فيها ، اعلموا أنكم ميتون ، ومبعوثون
من بعد الموت ، وموقوفون على أعمالكم ، ومجزيون بها . فلا تفرنكم الحياة الدنيا ، فإنها
بالبلاء محفوفة ، وبالقضاء معروفة ، وبالفقر موصوفة . وكل ما فيها إلى زوال ، وهى بين أهلهما
دول وسجال . لا تدوم أحواله ، ولا يسلم من شرها نزالها . بينا أهلها منها فى رخاء وسرور
إذا هم منها فى بلاء وغرور . أحوال مختلفة ، وتارات منصرفة : البش فيها مذموم ، والرخاء
فيها لا يدوم . وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة : ترميهم بسهامها ، وتقصمهم بحماها ، وكل
حقتة فيها مقدور ، وحظه فيها موفور . واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا
على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا ، وأشد منكم بطشا ، وأعمر ديارا ، وأبعد
آثارا . فأصبحت أصواتهم هامة خامة من بعد طول تغلبها : وأجسادهم بالية : وديارهم على
عروشها خاوية ، وآثارهم عافية ، واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والمارق المبهدة ،
المصخور والأحجار المسندة ، فى القبور اللاتئة الملعدة ، فحلها مقرب ، وساكها مقرب
بين أهل عمارة موحشين ، وأهل محلة متشاغلين ، لا يستأنسون بالمران ، ولا يتواصلون
تواصل الجيران والإخوان ، على ما بينهم من قرب المكان والجرار ، وذو الدار . وكيف
يكون بينهم تواصل : وقد طعنهم بكسكه البلاء ، وأكلتهم الجنادل والثرى ، وأصبحو

بعد الحياة أمواتا ، وبعد نضارة العيش رفاتا ، فجمع بهم الأحباب ، وسكنوا تحت التراب
وظننوا فليس لهم إياب ، هيات هيات (كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ
إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ^(١)) فيكأن قد صرتم إلى ماصاروا إليه ، من البلا والوحدة في دار الموتى
وازتهنت في ذاك المضعج ، وضمكم ذلك المستودع ، فكيف بكم لو عاينتم الأمور ، وبعثت
القبور ، وحصل ما في الصدور ، وأوقفتكم للحصول ، بين يدي الملك الجليل . فطارت القلوب
لإشفائها من سالف الذنوب ، وهتكت عنكم الحجب والأستار ، وظهرت منكم السيوب
والأسرار ، هنالك تجزى كل نفس بما كسبت . إن الله عز وجل يقول (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ
أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّنِ^(٢)) وقال تعالى (وَدُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى
الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ^(٣) بِمَا فِيهِ^(٤)) الآية جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابيه ، متبين لأوليائه
حتى يخلصنا وإياكم دار المقامة من فضله ، إنه حميد محيد . وقال بعض الحكماء ، الأيام سهام
والناس أغراض ، والدرهم يرميك كل يوم بسهامه ، ويحترمك بلياليه وأيامه ، حتى يستغرق
جميع أجزائك . فكيف بقاء سلامتك ، مع وقوع الأيام بك ، وبسرعة الليالي في يدك
لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص ، لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك
واستثقلت عمر الساعات بك . ولكن تدير أفعه فوق تدير الاعتبار ، وبالسجود غوائل الدنيا
وجهد طم لذاتها ، وإنها لأمر من الملقم إذا مجننها الحكيم . وقد أعيت الواصف لعيوبها
بظهور أفعالها ، وما تأتي به من المعائب ، أكثر مما يحيط به الواعظ ، اللهم أرشدنا إلى الصواب
وقال بعض الحكماء ، وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال ، الدنيا وقتك الذي يرجع
إليك فيه طرفك ، لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه ، وما لم يأت فلا علم لك به . والدرهم
يوم مقبل تنهأ ليلته ، وتطويه ساعاته ، وأحداثه تتوالى على الإنسان بالتفسير والنقصان
والدهر مسوكل بتشتيت الجماعات ، وانحرام الشمل ، وتنقل الدول . والأمل طويل ،
والعمر قصير ، وإلى الله تصير الأمور : وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه فقال خطبة مشهورة
يا أيها الناس ، إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فإنكم حقى ، وإن كنتم تكذبون به
فإنكم هلكى . إنما خلقتم للأبد ، ولكنكم من دار إلى دار تنقلون عباد الله ، إنكم

في دار لكم فيها من طعامكم غصص ، ومن شرابكم شرق ، لانصفولكم نعمة تسرون بها
 إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون إليه ، وغالدون فيه ثم غلبه البكاء وتزل
 وقال على كرم الله وجهه في خطبته ، أوصيكم بتقوى الله ، والترك للدنيا التارك لكم
 وإن كنتم لا تحبون تركها ، البلية أجسامكم ، وأنتم تريدون تجديدها . فإنما مثلكم
 ومثلها كمثل قوم في سفر ، سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه ، وأفضوا إلى علم فكأنهم
 بلغوه . وكم عسى أن يمرى الجبرى حتى ينتهى إلى الناية ، وكم عسى أن يبقى من له يوم في
 الدنيا طالب حثيث يطلبه حتى يفارقها . فلا تجزعوا اليأسوا وضرائها فإنه إلى انقطاع ، ولا تفزحوا
 بتاعها ونعماتها فإنه إلى زوال . عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمفول عنه
 وقال محمد بن الحسين ، لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والأدب أن الله عز وجل قد أهان
 الدنيا ، وأنه لم يرضها لأوليائه ، وأنها عنده حقيرة قليلة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 زهد فيها ، وحذر أصحابه من فتنها ، أكلوا منها قصدا ، وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي ،
 وتركوا ما يلهي . لبسوا من الثياب ما ستر العورة ، وأكلوا من الطعام أدناه مما سدا الجوعة ،
 ونظروا إلى الدنيا بعين أنها هانية ، وإلى الآخرة أنها باقية ، فزودوا من الدنيا كزاد الركب ،
 ففرضوا الدنيا ، وحرزوا بها الآخرة . ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم ، فعملوا أنهم سينظرون إليها
 بأعينهم ، فارتحلوا إليها بقلوبهم ، لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم . تبعوا قليلا ، وتنموا
 طويلا . كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم ، أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم

مخطبة على
 كرم الله
 وجهه

هذا لمحمد بن
 الحسين

بيان

صفة الدنيا بالأمثلة

اعلم أن الدنيا سريرة الفناء ، برؤية الانقضاء ، تعد بالبقاء ، ثم تخاف في الوفاء . تنظر
 إليها فترها ما سكة مستقرة ، وهى سائرة سيرا عنيفا ، ومرحلة ارتحالا سريرا . ولكن
 الناظر إليها قد لا يحس بحركتها ، فيطمئن إليها . وإنما يحس عند انقضاءها
 ومثلها الظل ، فإنه متحرك شاكنا متحرك في الحقيقة ، ساكن في الظاهر ، لا تترك حركته
 بالبصر الظاهر ، بل بالبصيرة الباطنة . ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله . أنشد وقال :

أحلام نوم أو كطل زائل إن التلييب بثلاثها لا يندفع
وكان الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، يمثل كثيرا ويقول
يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها إن اغترارا بطل زائل حق

وقيل إن هذا من قوله

ويقال أن أعرابيا نزل بقوم ، فقدموا إليه طعاما ، فأكل ، ثم قام إلى ظل خيمة لهم
فنام هناك ، فاقلموا الخيمة ، فأصابته الشمس ، فاتبته فقام وهو يقول
ألا إنما الدنيا كطل ثنية ولا بد يوما أن ظلك زائل

وكذلك قيل

وإن امرأ دنياه أكبر همه لمستمسك منها بجبل غرور

مثال آخر للدنيا ، من حيث التغرير بخيالاتها ، ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها
تشبه خيالات المنام ، وأضغاث الأحلام . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « الدنيا
حُلْمٌ وَأَهْلُهَا عَلَيْهِمْ عِجَازُونَ وَمُتَأَقِبُونَ » وقال يونس بن عبيد ، ما شئت نفسي في الدنيا
إلا كرجل نام ، فرأى في منامه ما يكره وما يحب . فبينما هو كذلك إذ انتبه . فكذلك
الناس نيام ، فإذا ماتوا انتبهوا ، فإذا ليس بأيديهم شيء مما ركنوا إليه ، وفرحوا به .

وقيل لبعض الحكماء ، أي شيء أشبه بالدنيا ، قال أحلام النائم

مثال آخر للدنيا ، في عداوتها لأهلها ، وإهلاكها لبنينا

أعلم أن طبع الدنيا التلطف في الاستدراج أولا ، والتوصل إلى الإهلاك آخرا . وهي
كامرأة تترين للخطاب ، حتى إذا نكحتهم ذبحتهم . وقد روى أن عيسى عليه السلام ،
كوشف بالدنيا ، فرأها في صورة مجوز هباء ، عليها من كل زينة ، فقال لها كم تزوجت
قالت لا أحصيهم ، قال فكلمهم مات عنك أم كلمهم طلقك ؟ قالت بل كلمهم قتلت . فقال
عيسى عليه السلام ، بؤسألا زواجك الباقين ، كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين !
كيف هلكتهم واحدا بعد واحد ، ولا يكونون منك على حذر !

(١) حديث الدنيا حلم وأهلها عليها عجزون وه متأقبون : لم أجده له أصلا

مثال آخر للدنيا ، في غفلة ظاهرها لباطنها .

اعلم أن الدنيا زينة الطواهر ، قبيحة السرائر . وهي شبه عجوز متزينة ، تخدع الناس بظواهرها ، فإذا وقفوا على باطنها ، وكشفوا القناع عن وجهها ، غش لهم قبايحها ، فندوا على اتباعها ، وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظواهرها . وقال الملا بن زياد : رأيت في المنام عجوزا كبيرة ، متعسبة بالجلد ، عليها من كل زينة الدنيا ، والناس عكوف عليها ، محبون ينظرون إليها . فبحثت ونظرت وتعبت من نظري إليها ، وإباليهم عليها . فقلت لها : ويلك من أنت ؟ قالت : أو ما تعرفني ؟ قلب لا أدري من أنت ، قالت أنا الدنيا . قلت أعوذ بالله من شرك . قالت إن أحببت أن تماذ من شري فابغض الدرهم . وقال أبو بكر بن عياش ، رأيت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شطاء ، تصفق يديها ، وخلفها خلق يقيمونها بصفقون ويزقصفون . فلما كانت بمحذاي ، أقبلت علي فقلت : لو ظفرت بك لصنمت بك مثل ما صنعت بهؤلاء . ثم بكى أبو بكر وقال ، رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد . وقال الفضيل بن عياض ، قال ابن عباس ، يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شطاء زرقاء ، أياها بادية ، مشوه خلقها . فتشرف على الخلائق ، فيقال لهم أترفون هذه ؟ فيقولون نعموذ بالله من معرفة هذه . فيقال هذه الدنيا التي تناحرتم عليها ، بها تقاطعتم الأرحام ، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم . ثم يقذف بها في جهنم ، فتنادى أي رب ، أين أتباعي وأشياعي ؟ فيقول الله عز وجل ، ألحقوا بها أتباعها وأشياعها . وقال الفضيل ، بلغني أن رجلا عرج بروحته ، فإذا امرأة على قارعة الطريق ، عليها من كل زينة من الحلى والثياب ، وإذا لا يمر بها أحدا إلا أجرحته . فإذا هي أبذرت كانت أحسن شيء رآه الناس ، وإذا هي أقبلت كانت أقيح شيء رآه الناس . عجوزا شطاء ، زرقاء عشاء . قال فقلت أعوذ بالله منك . قالت لا والله ، لا يميزك الله . معنى حتى تبغض الدرهم . قال فقلت من أنت ؟ قالت أنا الدنيا .

مثال آخر للدنيا وعيوب الإنسان بها .

اعلم أن الأحوال ثلاثة : حالة لم تكن فيها شيئا ، وهي ما قبل وجودك إلى الأزل . وحالة لا تكون فيها مشاهدا للدنيا ، وهي ما بعد موتك إلى الأبد . وحالة متوسطة بين الأبد والأزل ، وهي أيام حياتك في الدنيا . فانظر إلى مقدار طولها ، وانسبه إلى طرفي الأزل

والأبد ، حتى تلم أنه أقل من منزل قصير ، في سفر بعيد . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
 (١) « إلى ولدتنيا وإنيما ، يئلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم حائف فرقت له
 شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وترككم » ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها
 ولم يبال كيف انقضت أيامه ، في ضر وضيق ، أو في سعة ورفاهية . بل لا يبنى لينة على لينة
 توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ، وما وضع لينة على لينة ، ولا قصبة على قصبة (٣)

ورأى بعض الصحابة يبنى بيتا من جص ، فقال أرى الأمر أعجل من هذا ، وأنكر ذلك
 وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال ، الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تمروها . وهو
 مثال واضح ، وإن الحياة الدنيا ممر إلى الآخرة والمهدو المليل الأول على رأس القنطرة وللحدهو
 المليل الآخر . وبينهما مسافة محدودة . فمن الناس من قطع نصف القنطرة ، ومنهم من قطع ثلثها ، ومنهم
 من قطع ثمنها ، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها . وكيف كان فلا بد له
 من العبور . والبناء على القنطرة وتركها بأصناف الزينة ، وأنت عابر عليها غاية الجبل والغد لان
 مثال آخر للدنيا في ابن مودرها ، وخشونة مصدره

منها بالينة

اعلم أن أوائل الدنيا تبدو هيئة لينة ، يظن الخائف فيها أن حلاوة خفضها تحلاوة الخوض
 فيها ، وهييات . فإن الخوض في الدنيا سهل : والخروج منها مع السلامة شديد . وقد كتب
 على رضى الله عنه ، إلى سلمان الفارسي تنالها فقال : مثل الدنيا مثل الحية ، ابن مسها ، ويقتل سمها .
 فأعرض عما يمجيك منها . اغتة ما يصحبك منها . وضع عنك هو مها . بما أبقنت من فرائها . وكن أسر
 ماتكون فيها ، أحذر ما تكون لها . فإن صاها كلها طمأن منها إلى سرور شخصه عنه مكرهه والسلام

(١) حديث مالى وللدنيا إنما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب - الحديث : الترمذي وابن ماجه والحاكم . من

حديث ابن مسعود بنحوه ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس

(٢) حديث ما وضع لينة على لينة - الحديث : ابن جبان في الثقات والطبراني في الأوسط من حديث

عائشة بسند ضعيف من سأل عن أوسره أن ينظر إلى فلينظر إلى أمث شاحب مشعر لم

ينسج لينة على لينة - الحديث :

(٣) حديث برأى بعض أصحابه يبنى بيتا من جص فقال أرى الأمر أعجل من هذا : أبو داود والترمذي

من حديث عبيد الله بن عمرو وقال حسن صحيح

تمثيل الدنيا
بالخاء الحوب أن
يؤثره حوائف.

مثال آخر الدنيا ، في تمذر الخلاص من تيمتها بمد الخوض فيها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الدُّنْيَا كَأَنَّ مَاشِيًا فِي الْمَاءِ هَلْ
يَسْتَطِيعُ الَّذِي يَمْشِي فِي الْمَاءِ أَنْ لَا تَبْتَئِلَ قَدَمَاهُ » وهذا بر فاك جهالة قوم ضنوا أنهم يخوضون
في نعيم الدنيا بأبدانهم ، وقلوبهم منها مطهرة ، وعلاقتها عن بواطنهم منقطعة ، وذلك سكرية
من الشيطان . بل لو أخرجوا مما هم فيه ، لكانوا من أعظم المتفجعين بفراقها . فكما أن
المشي على الماء يقتضي بلالاً لا محالة يلتصق بالقدم ، فكذلك ملازمة الدنيا تقتضي علاقة
وظلمة في القلب . بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلالة العباد . قال عيسى عليه السلام :
بحق أقول لكم ، كما ينظر المريض إلى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع ، كذلك صاحب
الدنيا ، لا يلتذ بالعبادة ، ولا يجد حلالاتها مع ما يجد من حب الدنيا . وبحق أقول لكم ،
إن الدابة إذا لم تتركب وتمتنع ، تصعب وتثير خلقها . كذلك القلوب إذا لم ترفق بذكر
الموت ، ونصب العباد ، تقسو وتغلظ . وبحق أقول لكم ، إن الزق مالم ينخرق أو يقحل
يوشك أن يكون وعاء للعسل . كذلك القلوب مالم تنخرقها الشهوات ، أو يدنسها الطمع
أو يقسمها النعيم ، فسوف تكون أوعية للحكمة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) « إِنَّمَا بَقِيَ
مِنَ الدُّنْيَا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ وَإِنَّمَا مَثَلُ مَحَلٍّ أَحَدِكُمْ كَمَثَلِ الْوِعَاءِ إِذَا طَابَ أَغْلَاهُ طَابَ أَشْفَلُهُ
وَإِذَا خَبِثَ أَغْلَاهُ خَبِثَ أَشْفَلُهُ »

تمثيلها
بالخاء
المتقوس
المتعلق على
فوطه

مثال آخر لما بقي من الدنيا وقلته بالإضافة إلى ماسبق
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) « مَثَلُ هَذِهِ الدُّنْيَا مَثَلُ ثَوْبٍ شَقَّ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى
آخِرِهِ قَبْلِي مُتَمَلِّقًا يَخِيطُ فِي آخِرِهِ قِيُودُكَ ذَلِكَ الْخِيطُ أَنْ يَنْقَطِعَ »

- (١) حديث إنما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء - الحديث : ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب
من رواية الحسن وقال بلقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره ووصله البيهقي
في الشعب وفي الزهد من رواية الحسن عن أنس
- (٢) حديث إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنة - الحديث : ابن ماجه من حديث معاوية فرقه في موضعين ورجاله ثقات
- (٣) حديث مثق هذه الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره أبو الشيخ ابن حبان في الثواب وأبو نعيم
في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أنس بسند ضعيف

مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حتى الهلاك

قال عيسى عليه السلام : مثل طائب الدنيا ، مثل شارب ماء البحر ، كلما ازداد شرباً ، تميل طالع
الدينيا وتبارك
ماد البحر
ازداد عطشاً حتى يقتله

مثال آخر لخلفة آخر الدنيا أولها ، ولنضارة أولها ، وخبث عواقبها

اعلم أن شهوات الدنيا في القلب لذينة : كشهوات الأطمعة في المعدة . وسيجد البعد تمهيداً
عند الموت : لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنزوة والقيح ، ما يجده للأطعمة اللذيذة بالطعام
إذا بلغت في المعدة غايتها . وكما أن الطعام كلما كان ألذ طمأ ، وأكثر دسماً ، وأظهر حلاوة
كان رجيته أفقر وأشد تنبهاً ، فكذلك كل شهوة في القلب هي أشهى وألذ وأقوى ، فتنها .
وكرهتها والتأذى بها عند الموت أشد . بل هي في الدنيا مشاهدة . فإن من نهبت داره
وأخذ أهله وماله وولده ، فتكون مصيبته وألمه وتقبحه في كل ما فقد ، بقدر لذته به ، وجبه
له . وحرصه عليه . فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وألذ ، فهو عند الفقد أدهى وأمر
ولا معنى للموت إلا فقد ما في الدنيا . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) قال للضحاك
ابن سفيان الكلاني « أَلَسْتُ تُؤْتَى بِطَعَامِكَ وَقَدْ مُلِحَ وَفُزِحَ ثُمَّ تَشْرَبُ عَلَيْهِ الْآبَنَ وَالْمَاءَ »
قال بلى . قال « فَأَلَيْمَ يَصِيرُ ؟ » قال إلى ما قد علمت يا رسول الله . قال « فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
ضَرَبَ مَثَلُ الدُّنْيَا بِمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ طَعَامُ ابْنِ آدَمَ » . وقال أبي بن كعب ^(٢) قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الدُّنْيَا ضُرِبَتْ مَثَلًا لِابْنِ آدَمَ فَإِنْ نَظَرَ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ
وَإِنْ قَذَحَهُ وَمَلَحَهُ إِلَى مَا يَصِيرُ » وقال صلى الله عليه وسلم ^(٣) « إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ الدُّنْيَا لِمَطْعَمِ
ابْنِ آدَمَ مَثَلًا وَضَرَبَ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ لِدُنْيَا مَثَلًا وَإِنْ قَزَحَهُ وَمَلَحَهُ » وقال الحسن : قد

(١) حديث أنه قال للضحاك بن سفيان الكلاني أَلَسْتُ تُؤْتَى بِطَعَامِكَ وَقَدْ مُلِحَ وَفُزِحَ - الحديث : وفيه
فإن الله ضرب مثل الدنيا . . . يصير إليه طعام ابن آدم أحمد والطبراني من حديثه بنحوه وفيه
على بن زيد بن جعدان مختلف فيه

(٢) حديث أبي بن كعب أن الدنيا ضربت مثلاً لابن آدم الحديث : الطبراني وابن حبان بلفظ أن
مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلاً ورواه عبد الله بن أحمد في زياداته بلفظ جمل

(٣) حديث أن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلاً وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلاً - الحديث : الشطر
الأول منه غريب والشرط الأخير هو الذي تقدم من حديث الضحاك بن سفيان أن الله ضرب
ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا

رأيهم يطيبونه بالأفواه والطيب ، ثم يرمون به حيث رأيتم . وقد قال الله عز وجل ،
 (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ^(١)) قال ابن عباس ، إلى رجليه . وقال رجل لابن عمر ، إني
 أريد أن أسألك وأستحي . قال فلا تستحي وأسأل . قال إذا قضى أحدنا حاجته ، فقام ينظر
 إلى ذلك منه . قال نعم ؛ إن الملك يقول له انظر إلى ما بخلت به ، انظر إلى ماذا صار . وكان
 بشر بن كعب يقول ، انطلقوا حتى أرىكم الدنيا ، فيذهب بهم إلى مزبلة ، فيقول انظروا
 إلى ثمارهم ، ودجاجهم ، وعسلهم ، وسمهم
 ، مثل آخر في نسبة الدنيا إلى الآخرة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) « مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَثَلٍ ، مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ
 ضَاةً ^{من الدنيا} وَصَلَةً ^{في الآخرة} فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ »
 مثل آخر الدنيا وأهلها ، في اشتغالهم بنعيم الدنيا ، وغفلتهم عن الآخرة . وخسرانهم العظيم سببها
 اعلم أن أهل الدنيا ، مثلهم في غفلتهم ، مثل قوم ركبوا سفينة ، فأتته بهم إلى جزيرة
 فأمرهم الملاح بالخروج إلى قضاء الحاجة ، وحذرهم المقام ، وخوفهم مرور السفينة واستعجالها
 ففارقوا في نواحي الجزيرة ، ففضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة ، فعادف المكان خاليا
 فأخذ أوسع الأماكن ، وأينها ، وأوقفها لمراده . وبعضهم توقف في الجزيرة ، ينظر
 إلى أنوارها ، وأزهارها العجيبة ، وغياضها اللطيفة ، ونفحات طيورها الطيبة ، وألحانها الموزونة
 الغريبة ، وصار يلحظ من برمتها أحجارها ، ووجواهرها ، ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال
 الحسنة المنظر ، العجيبة النقوش ، السالبة أعين الناظرين بحسن زبرجدها ، وعجائب صورها
 ثم تنبه لخطر فوات السفينة ، فرجع إليها ، فلم يصادف إلا مكانا ضيقا حرجا ، فاستنقر فيه
 وبعضهم أكب على تلك الأصداف والأحجار ، وأعجبه حسنها ، ولم تسمح نفسه
 بإمائها ، فاستعجب منها جملة ، فلم يجد في السفينة إلا مكانا ضيقا . وزاده ما حله من الحجارة

(١) حديث ما الدنيا في الآخرة الا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر يم يرجع اليه - مسلم من
 حديث للتورود بن شاذ

ضيقا . وصار ثفيلاً عليه ووبالا ، فندم على أخذه ، ولم يقدر على رمية ، ولم يجد مكانا لوضعه
فحمله في السفينة على عنقه ، وهو متأسف على أخذه ، وليس ينفعه التأسف .

وبعضهم تولى النياض ، ونسى المركب ، وبعد في متخرجه ومتزهره ، أنه ، حتى لم يلبثه
نداء السلاح ، لاشتغاله بأكل تلك الثمار ، واستشمام تلك الأنوار ، والتفرج بين تلك
الأشجار ، وهو مع ذلك بخائف على نفسه من السباع ، وغير خال من السقطات والنكبات
ولا منفك عن شوك ينشب بثيابه ، وغصن يحرق بدنه ، وشوكة تدخل في رجله . وصوت
هائل يرفع منه ، وعوسج يخرق ثيابه ، ويهتك عورته ، ويمنه عن الانصراف لو أراد
فلم يلبث نداء أهل السفينة ، انصرف متملعا بما معه ولم يجد في المركب موضعا ، فبقى في
الشط حتى مات جوعا ، وبعضهم لم يبلغه النداء ، وصارت السفينة ، فمنهم من اقترسته السباع
ومنهم من تاه فهم على وجهه حتى هلك ، ومنهم من مات في الأحوال ، ومنهم من نهشته
الحيات ، فنفروا كالجيف المنة وأما من وصل إلى المركب بثقل ما أخذه من الأزهار
والأحجار ، فقد استرقت ، وشغلته الحزن بحفظها ، والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه
مكانه ، فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار ، وكادت تلك الألوان والأحجار ، فظهرت
رائحتها ، فصارت مع كونها مضيقة عليه ، مؤذية له بنيتها ووحشتها ، فلم يجد حيلة إلا أن
ألقاها في البحر هربا منها . وقد أثر فيه ما أكل منها ، فلم ينته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت
عليه الأسقام بتلك الروائح ، فبلغ سقيا مدبرا . ومن رجع قريبا ، ما فاته إلا سمة المحل
فتأذى بضيق المكان مدة ، ولكن لما وصل إلى الوطن استراح . ومن رجع أولا
وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالما

فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بمحظوظاتهم العاجلة ، ونسيانهم موردوم ومصدرهم
وغفلتهم عن عاقبة أمورهم . وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تفره أحجار الأرض ،
وهي الذهب والفضة ، وهشيم النبات ، وهي زينة الدنيا ، وشئ من ذلك لا يصحبه عند
الموت ، بل يصير كلاً ووبالا عليه ، وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه . وهذه
حال الخلق كلهم ، إلا من عصمه الله عز وجل

مثال آخر لا غترار بالخلق بالدنيا وضعف إيمانهم

من اضعف
انما يمانه
واوثره
بالدنيا

وقال الحسن رحمه الله ^(١) : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : **إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُكُمْ وَمِثْلُ الدُّنْيَا كَمِثْلِ قَوْمٍ سَلَكَوا مَقَاذَ غَبْرَاءَ حَتَّى إِذَا لَمْ يَذَرُوا مَا سَلَكَوا مِنْهَا أَكْثَرَ أَوْ مَا كُنِيَ أَفْعَدُوا الزَّادَ وَخَسِرُوا الظُّهْرَ وَبَقُوا بَيْنَ ظَهْرَانِي الْفَقَارَ وَلَا زَادَ وَلَا حَوْلَ فَأَيَقْنُوا بِالْمِلْكِ قَبِيحًا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فِي حُلْوٍ تَقَطَّرُ رَأْسُهُ فَقَالُوا هَذَا قَرِيبٌ عَهْدٌ بِرَيْبٍ وَمَا جَاءَكُمْ هَذَا إِلَّا مِنْ قَرِيبٍ فَلَمَّا أَنْتَهَى إِلَيْهِمْ قَالَ يَا هَؤُلَاءِ فَقَالُوا يَا هَذَا فَقَالَ عَلَامَ أَنْتُمْ ؟ فَقَالُوا عَلَى مَا تَرَى فَقَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ هَدَيْتُكُمْ إِلَى مَاءٍ رَوَاهُ وَرِياضٍ خَضِرٍ مَا تَعْمَلُونَ ؟ قَالُوا لَا نَعْصِيكَ شَيْئًا قَالَ غُودُكُمْ وَمَوَائِقُكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطَوْهُ غُودَهُمْ وَمَوَائِقَهُمْ بِاللَّهِ لَا يَعْصُونَ شَيْئًا قَالَ فَأَوْرَدَهُمْ مَاءً رَوَاهُ وَرِياضًا خَضِرًا فَكَثَرَ فِيهِمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ يَا هَؤُلَاءِ قَالُوا يَا هَذَا قَالَ الرَّحِيلُ قَالُوا إِلَى أَيْنَ ؟ قَالَ إِلَى مَاءٍ لَيْسَ كَمَا لَكُمْ وَإِلَى رِياضٍ لَيْسَتْ كَمَا بِأَيْدِيكُمْ فَقَالَ أَكْثَرُهُمْ وَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا هَذَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّا لَنْ نَجِدَهُ وَمَا نَصْنَعُ بِمَيْشِ خَيْرٍ مِنْ هَذَا ؟ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ وَهُمْ أَكْثَلُهُمْ أَلَمْ نَعْمَلْ هَذَا الرَّجُلَ غُودُكُمْ وَمَوَائِقُكُمْ بِاللَّهِ أَنْ لَا تَعْصُوهُ شَيْئًا وَقَدْ صَدَقْتُمْ فِي أَوَّلِ حَدِيثِهِ فَوَاللَّهِ لَيَصُدُّنَكُمْ فِي آخِرِهِ فَرَّاحٌ فَيَمِينَ اتَّبَعَهُ وَتَخَلَّفَ بَقِيَّتُهُمْ فَبَدَرَهُمْ عَدُوٌّ فَأَصْبَحُوا بَيْنَ أُسَيْرٍ وَقَتِيلٍ »**

مثال آخر انتم الناس بالدنيا ، ثم تفجهم على ذمها

الدنيا غارة
لومناها أمر

اعلم أن مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا ، مثل رجل هيا دارا وزينها ، وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد . فدخل واحد داره ، فقدم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ، ايشمه ويتركه لمن يلحقه ، لا ليمتلكه ويأخذه ، فجعل رصمه ،

(١) حديث الحسن بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه إنما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا

كمثل قوم سلكوا مقادير غبراء - الحديث : ابن أبي الدنيا هكذا بطوله لاحد والبرار والطبراني من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيما يرى النائم ملكان الحديث : وفيه فقال أي أحد المسلمين إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سافروا إلى مقادير فذكر نحوه أخسر منه واستاده حسن

وظن أنه قد وهب ذلك منه. فملاق به قابله الماثلن أنه له . فلما استرجع منه ضجرو وتفجع . ومن كان عالما برسمه ، انتفع به وشكره ، ورده بطيب قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا ، علم أنها دار ضيافة ، سببت على المجتازين لاعلى المقيمين ، ليتزودوا منها ، ويتفغوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري ، ولا يصرفون إليها كل قلوبهم ، حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها :
فهذه أمثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها : نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه

بيان

حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ، ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي ، وما الذي ينبغي أن يمتنع منها ، وما الذي لا يمتنع . فلا بد وأن تبين الدنيا المذمومة ، الأمور باحتسابها لكونها عدوة قاطمة لطريق الله ما هي فنقول : ذنباك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك ، فالقريب الداني منها يسمى دنيا ، وهو كل ما قبل الموت . والمتراخي المتأخر يسمى آخرة ، وهو ما بعد الموت . فكل مالك فيه حظ ، ونصيب ، وغرض ، وشهوة ، ولذة ، عاجل الحال قبل الوفاة . فهي الدنيا في حقك إلا أن جميع مالك إليه ميل ، وفيه نصيب وحظ ، فليس بمنموم ، بل هو ثلاثة أقسام .

القسم الأول : ما يصحبك في الآخرة ، وتبقى معك ثمرته بعد الموت ، وهو شيثان ، العلم ، والعمل فقط . وأعنى بالعلم العلم بالله ، وصفاته ، وأفعاله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وملكوته أرضه وسمائه ، والعلم بشرية نبيه . وأعنى بالعمل ، العبادة الخالصة لوجه الله تعالى . وقد يأنس العالم بالعلم ، حتى يصير ذلك ألد الأشياء عنده ، فيهجر النوم ، والمطعم . والمنكح في لذته ، لأنه أشهى عنده من جميع ذلك . فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ، ولكننا إذا ذكرنا الدنيا المذمومة ، لم نعد هذا من الدنيا أصلا ، بل قلنا إنه من الآخرة

وكذلك العابد ، قد يأنس بعبادته فيستلذها ، بحيث لو منع عنها لكاتب ذلك أعظم

المقوبات عليه ، حتى قال بعضهم : ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل . وكان آخر يقول : اللهم ارزقني قوة الصلاة ، والركوع ، والسجود في القبر . فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه المأجلة ، وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه : من حيث الاشتقاق من الدنو ، ولكننا لسنا نغنى بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثُ النَّسَاءِ وَالطَّيِّبُ وَفَرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا . وكذلك كل ما يدخل في الحس والشهادة فهو من عالم الشهادة ، وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع : والسجود ، إنما يكون في الدنيا : ، فلهذا أضاعها إلى الدنيا ، إلا أنا لسنا في هذا الكتاب نعرض إلا للدنيا المذمومة ، فنقول هذه ليست من الدنيا .

القسم الثاني : وهو المقابل له على الطرف الأقصى ، كل ما فيه حظ عاجل ، ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً ، كالتلذذ بالمعاصي كلها ، والتمتع بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات ، والضرورات الداخلة في جملة الرفاهية والعونات ، كالتمتع بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخليل المسومة ، والأنعام ، والحراث ، والغلمان ، والجواري ، والخيول ، والمواشي ، والقصور ، والدور ، ورفع الثياب ، ولذا نذ الأطلعة . فخط المبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة . وفيما بعد فضولا ، أو في محل الحاجة ، نظر طويل ، إذ روى عن عمر رضي الله عنه ، أنه استعمل أبا الدرداء على حصص ، فاتخذ كنيفاً أنفق عليه درهمين ، فكتب إليه عمر : من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عويمر ، قد كان لك في بناء فارس والروم ، ما نكتفي به عن همران الدنيا حين أراد الله خرابها : فإذا أتاك كتابي هذا ، فقد سيرتك إلى ديشق أنت وأهلك . فلم يزل بها حتى مات . فهذا رآه فضولا من الدنيا فتأمل فيه

القسم الثالث ، وهو متوسط بين الطرفين ، كل حظ في العاجل ، معين على أعمال الآخرة . كقدر القوت من الطعام ، والقميص الواحد الخشن ، وكل ما لا بد منه ليتأني للإنسان البقاء والصحة ، التي بها يتوصل إلى العلم والعمل . وهذا ليس من الدنيا كالقسم

(١) حديث حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثُ النَّسَاءِ وَفَرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ : النساء والحاكم من حديث أنس دون قوله ثلاث وتقدم في التسكاح

الأول ، لأنه معين على التقسيم الأول ؛ ووسيلة إليه فيها تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل ، لم يكن به متناولا للدنيا ، ولم يصربه من أبناء الدنيا . وإن كان باعشه الحظ العاجل ، دون الاستعانة على التقوى ، التزحق بالتقسيم الثاني ، وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات ، صفاء القلب ، أعنى طهارته عن الأدناس وأنسه بذكر الله تعالى ، وجهه لله عز وجل . وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان إلا بالكف عن شهوات الدنيا . والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى ، والمواظبة عليه ، والحب لا يحصل إلا بالمعرفة . ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر . وهذه الصفات الثلاث هي المنجيّات المسعدات بعد الموت . أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا ، فهي من المنجيّات إذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله ، كما ورد في الأخبار ^(١) : « أَنْ أَعْمَالَ الْقَبْدِ تُنْصَلُ عَنْهُ فَإِذَا جَاءَ الْعَذَابُ مِنْ قَبْلِ رَجُلَيْهِ جَاءَ قِيَامُ الْآخِرِ لِي يَدْفَعُ عَنْهُ وَإِذَا جَاءَ مِنْ جِهَةِ يَدَيْهِ جَاءَتْ الصَّدَقَةُ تَدْفَعُ عَنْهُ » الحديث

وأما الأنس والحب فهما من المسعدات ، وهما موصلان العبد إلى لذة اللقاء والمشاهدة ؛ وهذه السعادة تتجمل عقيب الموت ، إلى أن يدخل أواب الرؤية في الجنة ، فيصير القبر روضة من رياض الجنة . وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ، ولم يكن له إلا محبوب واحد ، وكانت الدقائق تعوقه عن دوام الأنس بدوام ذكره ، ومطالعة جماله فارتفعت العوائق ، وأفلت من السجن ، وخلي بينه وبين محبوبه ، فقدم عليه مسروراً سليماً من الموانع ، آمناً من العوائق ، وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت ممزناً ، ولم يكن له محبوب إلا الدنيا ، وقد غصب منه ، وحيل بينه وبينه ، وسدّت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه . ولذلك قيل

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

(١) حديث مناضلة أعمال العبد عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل فدفع عنه - الحديث :

الطبراني من حديث عبد الرحمن بن سمرة بطوله وفيه ظاهر بن عبد الرحمن الخزرجي ضعه البخاري وأبو حاتم ولاحده من حديث أسماء بنت أبي بكر إذا دخل الإنسان قبره قال كان مؤمناً أخرجه عمله الصلاة والصيام - الحديث : وإسناده صحيح

وليس الموت عدما . إنما هو فراق لمحباب الدنيا ، وقدم على الله تعالى . فإذا سالك طريق الآخرة هو المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث ، وهى الذكر ، والفكر ، والعمل الذى يقطعه عن شهوات الدنيا ، ويمنض إليه ملازمها ، ويقطعه عنها . وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن . وصحة البدن لا تنال إلا بقوت ، وملبس ، ومسكن ، واحتياج كل واحد إلى أسباب . فالقدر الذى لابد منه من هذه الثلاثة ، إذا أخذ العبد من الدنيا للآخرة ، لم يكن من أبناء الدنيا ، وكانت الدنيا فى حقه مزرعة للآخرة . وإن أخذ ذلك لحظ النفس ، وعلى قصد التنعم ، صار من أبناء الدنيا ، والراغبين فى حظوظها . إلا أن الرغبة فى حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يعرض صاحبه لمذاب الآخرة ، ويسمى ذلك حراما ، وإلى ما يحول بينه وبين الدرجات الملا ، ويعرضه لطول الحساب ، ويسمى ذلك حلالا . والبصير يعلم أن طول الموقف فى عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضا عذاب ، ^(١) فمن نوقش الحساب عذب ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) « حَلَّاهُ حِسَابٌ وَحَرَّاهُ عَذَابٌ » وقد قال أيضا « حَلَّاهُ عَذَابٌ » ، إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب ، لكان ما يفوت من الدرجات العلى فى الجنة ، وما يرد على القلب من التحسر على تقويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لبقاء لها ، هو أيضا عذاب . وفس به حاله فى الدنيا ، إذا نظرت إلى أفرانك وقد مهبوك بسعادات دنيوية ، كيف يتقطع قلبك عليها حسرات ، مع علمك بأنها سعادات منصرمة لبقاء لها ، ومنصصة بكدورات لأصناف لها . فحالها فى قوآت سعادة لا يحيط الوصف بمظمتها ، وتنقطع الدهور دون غايتها . فكل من تنم فى الدنيا ولو بسمع صوت من طائر ، أو بالنظر إلى خضرة ، أو شربة ماء بارد ، فإنه ينقص من حظه فى الآخرة أضغافه . وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لعمري الله عنه ^(٣) « هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُ عَنْهُ » أشار به إلى الماء البارد ، والتعرض لجواب السؤال فيه ذل ، وخوف ، وخطر ، ومشقة ، وانتظار . وكل ذلك من نقصان

(١) حديث من نوقش الحساب عذب : متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب ابن أبي الدنيا والبيهقي فى الشعب من طريقه ، وقولنا على بن أبي طالب

بإسناد متقطع بلقط وحرامها النار ولم أجده مرفوعا

(٣) حديث هذا من النعيم الذى تسأل عنه نهم فى الإطعمة

الحفظ . ولذلك قال عمر رضى الله عنه ، اعزلوا عني حسابها ، حين كان به عطش ، فمرض عليه ماء بارد بمسل ، فأداره في كفه ، ثم امتنع عن شربه .

فالدنيا قليلها وكثيرها : حرامها وحلالها : مملونة إلا ما أعان على تقوى الله . فإن ذلك القدر ليس من الدنيا . وكل من كانت معرفته أقوى وأتقن ، كان حذره من نعيم الدنيا أشد . حتى أن عيسى عليه السلام : وضع رأسه على حجر لما نام ، ثم رماه ، إذ تنثل له إبليس وقال : رغبت في الدنيا . وحتى أن سليمان عليه السلام في ملكه ، كان يطعم الناس لذائد الأطمعة : وهو يأكل خبز الشمير ، فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتنانا وشدة ، فإن الصبر عن لذائد الأطمعة ، مع القدرة عليها ووجودها أشد . ولهذا روى أن الله تعالى ^(١) زوى الدنيا عن نبيينا صلى الله عليه وسلم ، فكان يطوى أياما ^(٢) وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع . ولهذا سخط الله البلاء والمحن على الأنبياء والأولياء ، ثم الأئمة فلا مثل ، كل ذلك نظرا لهم ، وامتنانا عليهم : ليتوفر من الآخرة حظهم . كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة القواكه ، ويلزم ألم القصد والحجامة ، شفقة عليه ، وجباله ، لاجتلا عليه . وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا ، وما هو منه فذلك ليس من الدنيا فإن قلت فما الذى هو لله ؟

فأقول الأشياء ثلاثة أقسام . منها ما لا يتصور أن يكون لله ، وهو الذى يبر عنه بالمعاصي والمحظورات ، وأنواع التثنيات في المباحات ، وهى الدنيا المحفنة المذمومة : فهى الدنيا صورية ومعنى ومنها ماصورته لله ، ويمكن أن يحمل لغير الله ، وهى ثلاثة ، الفكر ، والذكر ، والكف عن الشهوات . فإن هذه الثلاثة إذا جرت سرا ، ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر ، فهى لله ؛ وليست من الدنيا . وإن كان الغرض من الفكر ، طلب العلم لالتشرف به ، وطلب القبول بين الخلق بإظهار المعرفة ، أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال

(١) حديث زوى الله الدنيا عن نبيينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوى أيام : محمد بن خفيف في شرف الفقراء .

من حديث عمر بن الخطاب قال قلت يا رسول الله عجا لمن بسط الله لهم الدنيا وزواها عنك

- الحديث : وهو من طريق ابن اسحاق معتنى ولقرئنى وابن ماجه من حديث ابن عباس ان النبي

صلى الله عليه وسلم كان بيت اليالى للتأبى طاويوا أهله - الحديث : قال الترمذى حسن صحيح

(٢) حديث كان يشد الحجر على بطنه من الجوع فهدم

أو الحمية لصحة البدن . أو الاشتهار بالزهد ، فقد صار هذا من الدنيا بالدنى ، وإن كان يقطن بصورته أنه لله تعالى . ومنها ما صورته لحظ النفس ، ويمكن أن يكون معناه الله . وذلك كألا سكي ، والنكاح ، وكل ما يرتبط به بقاءه وبقاء ولده . فإن كان القصد حفظ النفس . فهو من الدنيا . وإن كان القصد الاستعانة به على التقوى ، فهو لله بمعناه ، وإن كانت صورته صورة الدنيا . قال صلى الله عليه وسلم ^(١) « مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا خَلَا مُكَاثِرًا مُفَاخِرًا آتَى اللَّهُ وَهْرَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ وَمَنْ طَلَبَهَا اسْتَفْغَاكَ عَنْ الْمَسْأَلَةِ وَصِيَانَةَ لِنَفْسِهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةً أَبَدَرٌ » فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد

فإذا الدنيا حظ نفسك العاجل ، الذي لا حاجة إليه لأمر الآخرة ، ويمر عنه بالهوى ، وإليه الإشارة بقوله تعالى (وَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ^(١)) وجامع الهوى خمسة أمور ، وهى ما جمعه الله تعالى فى قوله (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَتُهُمْ وَمَتَاعُهُمْ يُتْلَىٰ لَهُمْ وَتَكُفُّرُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ^(٢)) والأعيان التى تحصل منها هذه الخمسة سبعة ، يجمعها قوله تعالى (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ^(٣)) . فقد عرفت أن كل ما هو لله فليس من الدنيا . وقدر ضرورة القوت ، وما لا بد منه من مسكن وملبس ، هو لله إن قصد به وجه الله . والاستكثار منه تنم ، وهو لغير الله . وبين التمتع والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ، ولها طرفان وواسطة . طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر ، فإن الاقتصاد على حد الضرورة غير ممكن . وطرف يزاحم جانب التمتع ويقرب منه ، وينبغى أن يحذر منه . وبينهما وسائط متشابهة ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . والحزم فى الحذر والتقوى ، والتقرب من حد الضرورة . المسكن ، اقتداء بالأنبياء والأولياء عليهم السلام ، إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حد الضرورة حتى أن أويسا القرنى ، كان يظن أهله أنه مجنون ، لشدة تعذيبه على نفسه ، فبنوا له بيتا

(٣) حديث من طلب الدنيا خلا مكارا . ففاخر الله وهو عليه غضبان - الحديث : أبويعيم فى الحجة والبيهقى فى الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف

على باب دارهم ، فكان يأتي عليهم السنة ، والستان ، والثلاث ، لا يرون له وجهاً . وكان يخرج أول الأذان ، ويأتي إلى منزله بعد العشاء الآخرة . وكان طعامه أن يتنقط النوى ، وكلما أصاب حشفة خبأها لإفطاره : وإن لم يصب مايقوته من الحشف باع النوى ، واشترى بثمنه مايقوته . وكان لباسه مما يلتقط من المزابل من قطع الأكسية ، فيفسلها في الفرات ويالفق بعضها إلى بعض ، ثم يلبسها . فكان ذلك لباسه . وكان ربما مر الصبيان ، فبيرونه ويظنون أنه مجنون : فيقول لهم ، يا إخوتاه ، إن كنتم ولا بدان ترموني ، فارموني بأحجار صغار ، فإنني أخاف أن تدموا عيني ، فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب الماء . فمكثا كانت سيرته . ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ، فقال ^(١) : « إِنِّي لَأَجِدُ نَفْسَ الرَّحْمَنِ مِنْ بَنَائِبِ الْيَتِيمِ » إشارة إليه رحمه الله .

ولما ولي الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : أيها الناس : من كان منكم من العراق فليقم . قال فقاموا . فقال اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة . فجلسوا . فقال اجلسوا إلا من كان من مراد . فجلسوا . فقال اجلسوا إلا من كان من قرن . فجلسوا كلهم إلا رجلاً واحداً . فقال له عمر ، أرنى أنت ؟ فقال نعم . فقال أتعرف أويس بن عامر القرني ؟ فوصفه له ، فقال نعم ، وماذا تسأل عنه يا أمير المؤمنين ! والله ما فينا أحق منه ، ولا أجن منه ، ولا أوحش منه ، ولا أدنى منه . فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال ، ما قلت ماقلت إلا لأنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) يقول ، يدخل في شفاعته مثل ريعة ومضر . فقضى هرم بن حبان : لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب ، قدمت الكوفة . فلم يكن لي هم إلا أن أطلب أويساً القرني ، وأسأله عنه ، حتى سقطت عليه جالساً على شاطئ الفرات نصف النهار ، يتوضأ ويفعل توبه . قال فمرفته بالتمت الذي نمت لي ، فإذا رجل لحيم شديد الأدمة ، محروق الرأس ، كث اللحية ، متغير جداً ، كرهه الوجه ، متهبب المنظر . قال فسلمت . فإشارة إليه بزيارة أبيه عليه ، فرد علي السلام ونظر إلي . فقلت حيّك الله من رجل . ومددت يدي لأصافحه ، فإشارة إليه بزيارة أبيه

(١) حديث إني لأجد نفس الرحمن من جانب الجن أشار به إلى أويس القرني تقدم في قواعد العقائد لم أجده لأصلاً

(٢) حديث عمر يدخل الجنة في شفاعته مثل ريعة ومضر يريد أويبا ورويتاه في جزء ابن السكيت من حديث

أبي أمامة يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمي أكثر من ريعة ومضر وإسناده حسن وليس فيه

ذكر لأويس بل في آخره في كتاب الشيخة يرون أن ذلك الرجل شأن بن عفان

فأبى أن يصالحني . فقلت رحمك الله يا أويس وغفر لك ، كيف أنت رحمك الله . ثم خففتي العبرة من حيي وإياه ، ورقى عليه ، إذ رأيت من حاله ما رأيت ، حتى بكيت وبكى . فقال وأنت خياك الله ياهرم بن حبان ، كيف أنت يا أخي ؟ ومن ذلك علي ؟ قال قلت الله . فقال لا إله إلا الله سبحانه الله . إن كان وعد ربنا لمفعولا . قال فمعبت حين عرفني ، ولا والله ما رأيتك قبل ذلك ولا رأي . فقلت من أين عرفت اسمي واسم أبي ، وما رأيتك قبل اليوم ؟ قال نبأني العليم الخبير ، وعرفت روعي وروحك ، حين كلت نفسي نفسك ، إن الأرواح لها أنفس كأففس الأجساد ، وإن المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ، ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا ، يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم النار ، وتفرقت بهم المنازل . قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : بمحدث أسمعه منك . قال إني لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن لي معه محبة . بأبي وأمي رسول الله . ولكن رأيت رجلا قد صحبوه ، وبلغني من حديثه كما بلغك ، ولست أحب أن أفصح على نفسي هذا الباب ، أن أكون محدثا ، أو مفتيا ، أو قاضيا . في نفسي شغل عن الناس ياهرم بن حبان . فقلت يا أخي اقرأ على آية من القرآن أسمعا منك ، وادع لي بدعوات ؛ وأوصني وصية أحفظها عنك ، فإني أحبك في الله حبا شديدا . قال فقام وأخذ يدي على شاطئ الفرات ، ثم قال ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، ثم بكى ، ثم قال ، قال ربني ، والحق قول ربني ، وأصدق الحديث حديثه ، وأصدق الكلام كلامه ، ثم قرأ (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بَرَاءَةً وَإِنِّي لَأَعْلَمُ) . ثم قرأ (وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ^(١)) حتى انتهى إلى قوله (إِنَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الرَّحِيمُ ^(٢)) فشبق شهقة فلننت أنه قد غشى عليه . ثم قال ، يا ابن حبان ، مات أبوك حيان ، ويوشك أن تموت ، فلما إلى الجنة وإما إلى نار . ومات أبوك آدم ، ومات أمك حواء ، ومات نوح ، ومات إبراهيم خليل الرحمن ، ومات موسى نبي الرحمن ، ومات داود خليفة الرحمن ، ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم ، وهو رسول رب العالمين ، ومات أبو بكر خليفة المسلمين ، ومات عمر بن الخطاب أخي وصفي . ثم قال ياهره ياهره . قال فقلت رحمك الله إن عمر لم يمت ، قال فقد ندماء إلى ربني ، ونمي إلى نفسي

ثم قال ، أنا وأنت في الموتى كأنه قد كان . ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم دعا بدعوات خفيات ، ثم قال هذه وصيتي إياك يا هرم بن حبان ، كتاب الله ، ونهج الصالحين ، المؤمنين ، فقد أبيت إلى نفسي ونفسك ، عليك بذكر الموت ، لا يغارق قلبك طرفة عين ما بقيت وأنذر قومك إذا رجعت إليهم ، وانصح للأمة جميعا . وإياك أن تفارق الجماعة قيد شبر ، فتفارق دينك وأنت لا تعلم ، فتدخل النار يوم القيامة . ادع لي ونفسك . ثم قال ، اللهم إن هذا يزعم أنه يحبني فيك ، وزارني من أجلك ، فمرفى وجهه في الجنة ، وأدخله علي في دارك دار السلام ، واحفظه مادام في الدنيا حيثما كان ، وضم عليه ضيعته ، وأرضه من الدنيا باليسير ، وما أعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا ، واجعله لما أعطيت من نعمائك من الشاكرين ، وأجزه عن خير الجزاء . ثم قال استودعك الله يا هرم بن حبان ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، لا أراك بعد اليوم رحلك الله تطلبي ، فإني أكره الشهرة ، والوحدة أحب إلي ، إني كثير الهمم ، شديد النعم مع هؤلاء الناس مادمت حيا ، فلا تسأل عني ولا تطلبي ، واعلم أنك مني على بال وإن لم أرك ولم ترني فاذكرني ، وادع لي ، فإني سأذكرك وأدعوك إن شاء الله . انطلق أنت ههنا ، حتى أنطلق أنا ههنا . فخرصت أن أمشي معه ساعة ، فأبى علي ، وفارقه ، فبكى وأبكاني ، وجعلت أنظر في قفاه ، حتى دخل به من السلك ، ثم سألت عنه بعد ذلك ، فما وجدت أحدا يخبرني عنه بشيء ، رحمه الله وغفر له .

فهيكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المرضين عن الدنيا . وقد عرفت مما سبق في بيان الدنيا ، ومن سيرة الأنبياء والأولياء ، أن حد الدنيا كل ما أظلك الخضر ، وأظلمه النبراء ، إلا ما كان لله عز وجل من ذلك . وعند الدنيا الآخرة ، وهو كل ما أريد به الله تعالى ، مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا ، لأجل قوة طاعة الله ، وذلك ليس من الدنيا . ويتبين هذا بمثال . وهو أن الحاج إذا حلف أنه في طريق الحج ، لا يشتغل بغير الحج ، بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد ، وعلف الجمل وخرز الراوية ، وكل مالا بدل الحج منه لم يحث في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج . فكذلك البدن مركب النفس ، تقطع به مسافة العمر ، فتشبه البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل ، هو من الآخرة لا من الدنيا .

نعم إذا قصد تليذ البدن، وتنعمه بشئ من هذه الأسباب، كان منحرفاً عن الآخرة، ويخشى على قلبه القدوة. قال الطناتسي: كنت على باب بنى شيبه في المسجد الحرام سبعة أيام طاولوا فسمعت في الليلة الثامنة منادياً وأنا بين اليقظة والنوم، ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه أعمى الله عين قلبه. فهذا يان حقيقة الدنيا في حقلك، فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى.

بيان

حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقت همم الخلق حتى أنسهم أنفسهم
وخالقهم ومصدرهم ووردهم

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة، للإنسان فيها حظ، وله في إصلاحها شغل. فهذه ثلاثة أمور قد يظن أن الدنيا عبارة عن أحادها، وليس كذلك. أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها، فهي الأرض وما عليها. قال الله تعالى المزمومة (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّآبْصَارِهِمْ فَأَبْصَرُوا أَحْسَنُ عَمَلًا^(١)) فالأرض فراش للآدميين، وهناد، ومسكن، ومستقر، وما عليها لهم ملبس، ومطعم، ومشرب، ومنكح ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام: للمعادن، والنبات، والحيوان. أما النبات، فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوى. وأما المعادن، فيطلبها للآلات والأواني، كالتحاس والرصاص، ولانقد كالذهب والفضة، ولتخير ذلك من المقاصد. وأما الحيوان، فينقسم إلى الإنسان، والبهائم. أما البهائم، فيطلب منها الحوم، والامآكل، وظهورها للامراكب والزينة، وأما الإنسان فقد يطلب الآدمي أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستغفرهم كالغلمان، أو ليتبع بهم كالجوارى والنسوان. ويطلب قلوب الناس ليلبسها، بأن يفرس فيها التعميم والإكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه، إذ معنى الجاه ملك قلوب الإدميين. فهذه هي الأعيان التي يعبر عنها بالدنيا، وقد جمعا الله تعالى في قوله (زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ^(٢)) وهذا من الإنس (وَالْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ^(٣)) وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلئ واليوافق وغيرها (وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ^(٤)) وهي

البهائم والحيوانات (وَالْحَرْثُ^(١)) وهو النبات والزرع
فهذه هي أعيان الدنيا ، إلا أن لها مع العبد علاقتين ، علاقة مع القلب ، وهو حبه لها
وحظه منها ، وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كالمدب ، أو المحب المستمتر بالدنيا ، ويدخل
في هذه العلاقة جميع صفات القلب المعلقة بالدنيا ، كالكبر ، والغل ، والحسد ، والرياء ، والسمعة
وسوء الظن ، والمداينة ، وحب الثناء ، وحب التكبر والتفاخر ، وهذه هي الدنيا الباطنة
وأما الظاهرة فهي الأعيان التي ذكرناها ، العلاقة الثانية مع البدن ، وهو اشتغاله بإصلاح هذه
الأعيان ، لتصلح لحظوظه وحفظ غيظه ، وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون
بها . والخلق إنما نسوا أنفسهم ، وما بهم ، ومتقلبهم بالدنيا ، لهاتين العلاقتين ، علاقة
القلب بالحسب ، وعلاقة البدن بالشغل . ولو عرف نفسه ، وعرف ربه ، وعرف حكمة الدنيا
وسرها ، علم أن هذه الأعيان التي سميتها دنيا ، لم تخلق إلا لطف الدابة التي يستعملها إلى
الله تعالى . وأعنى بالدابة البدن . فإنه لا يبق إلا يطعم ، ومشرب ، وملبس ، ومسكن . كما
لا يبق الجمل في طريق الحج إلا بلف ، وماء ، وجلال

ومثال العبد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده ، مثال الحاج الذي يقف في منازل
الطريق ، ولا يزال يلف الناقة ، ويتمدها ، ويتظفها ، ويكسوها أثواب الثياب ، ويحمل
إليها أنواع الحشيش ، ويرد لها الماء بالثلاج ، حتى تفوته القافلة ، وهو غافل عن الحج وعن
مرور القافلة ، وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته . والحاج البصير لا يهمل من
أمر الجمل إلا القدر الذي يقوى به على المشي ، فيتمده وقلبه إلى السكبة والحج . وإنما
يلتفت إلى الناقة بقدر الضرورة . فكذلك البصير في السفر الآخرة ، لا يشتغل بتمهيد البدن
إلا بالضرورة ، كما لا يدخل بيت الماء إلا لضرورة . ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن
وبين إخراجها من البطن ، في أن كل واحد منهما ضرورة البدن ، ومن همت ما يدخل بطنه
فقيمه ما يخرج منها . وأكثر ما يشغل الناس عن الله تعالى هو البطن . فإن القوت ضروري
وأمن المسكن والملبس أهون . ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور ، واقتصروا عليه
لم تستغرقهم أشغال الدنيا . وإنما استغرقهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها ، وحفظ غلظهم منها . ولكنهم

جهلوا وغفلوا ، وتنابت أشغال الدنيا عليهم ، واتصل بعضها ببعض ، وتداعت إلى غير نهاية محدودة ، فتاهوا في كثرة الأشغال : ونسوا مقاصدها . ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا ، وكيفية حدوث الحاجة إليها ، وكيفية غلط الناس في مقاصدها ، حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى ، وكيف أنستهم عاقبة أمورهم فنقول :

الأشغال الدنيوية هي الحرف ، والصناعات ، والأعمال التي ترى الخلق منكبين عليها وسبب كثرة الأشغال ، هو أن الإنسان مضطر إلى ثلاث ، القوت ، والسكن ، والملبس فالقوت للبقاء والبقاء ، والملبس لدفع الحر والبرد ، والسكن لدفع الحر والبرد ، ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال . ولم يخلق الله القوت ، والسكن ، والملبس ، لمصلح بحيث يستغنى عن صنعة الإنسان فيه . نعم خلق ذلك للبهائم ، فإن النبات يغذى الحيوان من غير طبع ، والحر والبرد لا يؤثر في بدنه ، فيستغنى عن البقاء ، ويقنع بالصحراء ، ولباسها شعورها وجلودها ، فتستغنى عن اللباس . والإنسان ليس كذلك ، فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات ، هي أصول الصناعات ، وأوائل الأشغال الدنيوية ، وهي الفلاحة : والرعاية ، والاقتناس ، والحياكة ، والبناء . أما البناء فلامسكن . والحياكة وما يكتنفها من أمر المنزل والحياطة ، فلاملبس . والفلاحة للمطعم . والرعاية للجواشي . والحيل أيضا للمطعم والمركب . والاقتناس بمعنى به تحصيل ما خلقه الله من صيد ، أو مبدن ، أو حشيش ، أو حطب فالفلاح يحصل النباتات ، والرامي يحفظ الحيوانات ويستنتجها ، والمقتنص يحصل ما نبت وتبيح بنفسه من غير صنع آدمي . وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي . ونعني بالاقتناس ذلك ويدخل تحته صناعات وأشغال عدة

ثم هذه الصناعات تقتدر إلى أدوات وآلات ، كالحياكة ، والفلاحة ، والبناء ، والاقتناس والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب ، أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع آخر من الصناعات ، النجارة ، والحداة والخرز : وهؤلاء هم عمال الآلات . ونعني بالتجار كل عامل في الحشيش كيفما كان . وبالحداد كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما . وغرضنا ذكر الأجناس فأما آحاد الحرف فكثيرة . وأما الخراز ، فنعني به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها .

فهذه أمهات الصناعات . ثم إن الإنسان خلق بحيث لا يعيش وحده ، بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين : أحدهما : حاجته إلى النسل لبقاء جنس الإنسان ، ولا يكون ذلك إلا بالاجتماع الذكر والأنثى وعشيرتهما . والثاني : التنازل على تهيئة أسباب الطعام والملبس وتربية الولد . فإن الاجتماع يفضي إلى الولد لا محالة . والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت . ثم ليس يكفي اجتماع مع الأهل والولد في المنزل ، بل لا يمكنه أن يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة ، لتكفل كل واحد بصناعة ، فإن الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده ، وهو يحتاج إلى آلتها ، وتحتاج الآلة إلى حداد ونجار ، ويحتاج الطعام إلى طحان وخباز . وكذلك كيف يفرد بتحصيل اللبس : وهو يقتدر إلى حراسة القطيع ، وآلات الحياة والحياطة وآلات كثيرة . فلذلك امتنع عيش الإنسان وحده ، وحدثت الحاجة إلى الاجتماع . ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة ، لتأذوا بالحر والبرد والمطر والأمموص من الناس فافتقروا إلى أبنية محكمة ، ومنازل يفرد كل أهل بيت به وبمعامه من الآلات ، والأثاث ، والمنازل تدفع الحر والبرد والمطر ، وتدفع أذى الجيران من الامموصية وغيرها . لكن المنازل قد تقصدها جماعة من الامموص خارج المنازل ، فافتقر أهل المنازل إلى التناصر والتعاون ، والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل . فحدثت البلاد لهذه الضرورة .

ثم هما اجتماع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا ، تولدت بينهم خصومات ، إذ تحدث رياضة ، وولاية للزوج على الزوجة ، وولاية للأبوين على الولد لأنه ضعيف يحتاج إلى قوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل أفضى إلى المخصوصة : بخلاف الولاية على البهائم ، إذ ليس لها قوة المخاصمة وإن ظلمت . فأما المرأة فتخاصم الزوج ، والولد يتخاصم الأبوين ، وهذا في المنزل وأما أهل البلد أيضا ، فيتعاملون في الحاجات ، ويتنازعون فيها ، ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا . وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة : يتواردون على المراعي ، والأراضي ، والمياه ، وهي لا تنفي بأغراضهم ، فيتنازعون لا محالة . ثم قد يمجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة ، بمعنى ، أو مرض ، أو هرم ، وتعرض غوارض مختلفة ، ولو ترك صانعا لهلاك ، ولو وكل تفقده إلى الجميع لتغادروا . ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له لحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى ، فمنها صناعة المساحة ،

الخاصة إلى أهل
البيات
والحرف
وفيرها

التي بها تعرف، قاديرو الأرض، لتتمكن القسمة بينهم بالعدل. ومنها صناعة الجندية، لحراسة البلد بالسيف، ودفع اللصوص عنهم: ومنها صناعة الحكم، والتوصل لفصل الخصومة. ومنها الحاجة إلى الفقه، وهو معرفة القانون الذي يفني أن يضبط به الحق، ويلزموا الوتوف على حدوده، حتى لا يكثر النزاع، وهو معرفة حدود الله تعالى في المعاملات وشروطها. فهذه أمور سياسية لا بد منها، ولا يشتغل بها إلا خدوصون بصفات مخصوصة من العلم، والتميز، والهداية. وإذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة أخرى، ويحتاجون إلى المداش، ويحتاج أهل البلد إليهم، إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء، مثلاً، تمطلت الصناعات. ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت، تمطلت البلاد عن الحراس، واستضر الناس. فست الحاجة إلى أن يصرف إلى ما يشهم وأرزاقهم الأموال الضائنة التي لا ممالك لها إن كانت. أو تصرف الغنائم إليهم إن كانت العداوة مع الكفار فإن كانوا أهل ديانة وورع، فتموا بالقليل من أموال المصالح. وإن أرادوا التوسع: فتمس الحاجة لإعالة إلى أن يدم أهل البلد بأموالهم، ليدوم بالحراسة، فتحدث الحاجة إلى الخراج. ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج الحاجة لصناعات أخرى، إذ يحتاج إلى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال، وم المال. وإلى من يستوفى منهم بالرفق وم الحياة والمتخرجون. وإلى من يجمع عنده ليحفظه إلى وقت التفرقة، وم الخزائن. وإلى من يفرق عليهم بالعدل، وهو الفارض للمساكر. وهذه الأعمال لو تولها الملوك، إلى الملك عدد لا تجمعهم رابطة، انخرم النظام، فتحدث منه الحاجة إلى ملك يدبرهم، وأمير مطاع يمين لكل عمل شخصاً، ويختار لكل واحد ما يليق به، ويراعى النصفة في أخذ الخراج وإعطائه، واستعمال الجند في الحرب، وتوزيع أسلحتهم، وتعيين جهات الحرب، ونصب الأمير والقائد على كل طائفة منهم، إلى غير ذلك من صناعات الملك. فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح، وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم، الحاجة إلى الكتاب، والخزان، والحساب، والجباة، والمال. ثم هؤلاء أيضاً يحتاجون إلى معيشة. ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف، فتحدث الحاجة إلى مال الفزع مع ملك الأصل وهو المسمى فرع الخراج. وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف،

الفلاحون ، والرعاة ، والمحترفون . والدنية الجندية الحماة بالسيوف . والثالثة المترددون بين
الطائفتين في الأخذ والعطاء ، وهم المال ، والحياة ، وأمشأهم . فانظر كيف ابتدأ الأمر
من حاجة القوة ، والملبس ، والسكن ، وإلى ماذا انتهى . وهكذا أمور الدنيا ، لا يفتح
منها باب ، إلا ويفتح بسببه أبواب آخر وهكذا تنتهي إلى غير حد محصور ، وكأنها
هاوية لا نهاية لعمقها ، من وقع في مهواة منها سقط منها إلى أخرى ، وهكذا على التوالي
فهذه هي الحرف والصناعات ، إلا أنها لا تتم إلا بالأموال والآلات ، والمال عبارة عن
أعيان الأرض وما عليها مما ينتفع به ، وأغلاها الأغذية ، ثم الأمكنة التي يأوى الإنسان
إليها وهي الدور ، ثم الأمكنة التي يسمى فيها للتعيش كالجوانيت ، والأسواق ، والمزارع ثم
الكسوة ، ثم أثاث البيت وآلاته . ثم آلات الآلات وقد يكون في الآلات ما هو حيوان ، كالكلب
آلة الصيد والبقر آلة الحراثة ، والفرس آلة الركوب في الحرب . ثم يحدث من ذلك حاجة البيع ، فإن
الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة ، والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن
فيها الزراعة ، فبالضرورة يحتاج الفلاح إليهما ، ويحتاجان إلى الفلاح . فيحتاج أحدهما أن
يئذل ما عنده للآخر ، حتى يأخذ منه غرضه ، وذلك بطريق المماوضة : إلا أن النجار مثلا
إذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ، ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت إلى آله ، فلا يبيعه
والفلاح إذا طلب الآلة من النجار بالتمام ، ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت ، فلا يحتاج
إليه . فتتموق الأغراض . فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة ، ليرصد بها صاحبها
أرباب الحاجات . وإلى أيات يجمع إليها ما يحمله الفلاحون ، فيشتريه منهم صاحب الأليات
ليترصده أرباب الحاجات . فظهرت لذلك الأسواق والمخازن ، فيحمل الفلاح الحبوب ،
فإذا لم يصادف محتاجا ، باعها بثمان رخيص من الباعة ، فيخزنونها في انتظار أرباب الحاجات
طعما في الربح . وكذلك في جميع الأمتعة والأموال : ثم يحدث لا محالة بين البلاد
والقرى تردد ، فيتردد الناس ، يشترى من القرى الأطعمة ، ومن البلاد الآلات وينقلون
ذلك ويتمشون به ، لتنظم أمور الناس في البلاد بسببهم ، إذ كل بلد ربما لا توجد فيه
كل آلة ، وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام . فالبعض يحتاج إلى البعض ، فيجوز إلى النقل
فيحدث التجار المتكادون بالنقل ، وباعثهم عليه حرص جمع المال لأحالة ، فيتعبون طول

الحاجة إلى
الأسواق
والجوانيت

الحاجة إلى
التمار

الليل والنهار في الأسفار امراض غيرهم ، ونصيبهم منها جمع المال الذي يأكله لراحة غيرهم إما قاطع طريق ، وإما سلطان ظالم . ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهاً لهم نظاماً للبلاد ومصلحة للعباد . بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالنفلة وخسة الهمة . ولوعقل الناس وارتفعت همهم زهدوا في الدنيا . ولوفعلوا ذلك ، لبطلت الممايش ولوبطلت لهلكوا ، ولهلك الزهاد أيضاً ثم هذه الأموال التي تنقل لا يقدر الإنسان على حملها ، فحتاج إلى دواب تحملها .

وصاحب المال فلا يتكوف له دابة ، فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الإجارة . وبصير السكران نوعاً من الاكتساب أيضاً . ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة إلى التدين ، فإن من يريد أن يشتري طعاماً بثوب ، فمن أين يدرى المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو . والمعاملة تجري في أجناس مختلفة ، كما يباع ثوب بطعام ، وحوان بثوب . وهذه أمور لا تتناسب ، فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين ، يعدل أحدهما بالآخر ، فيطلب ذلك العدل من أعيان الأموال ، ثم يحتاج إلى مال يطول بقاؤه لأن الحاجة إليه تدوم . وأبقى الأموال المعادن ، فاتخذت النقود من الذهب ، والفضة ، والنحاس . ثم مست الحاجة إلى الضرب ، والنقش ، والتقدير ، فست الحاجة إلى دار الضرب والصارفة . وهكذا تنداعى الاشغال والأعمال بعضها إلى بعض ، حتى انتهت إلى ما تراه

ذم الناس
إلى الفقر

كيف ينشأ فهذه أشغال الخلق ، وهى معاشهم . وشيء من هذه الحرف لا يمكن مباشرته إلا بنوع نظام تعلم وتعب في الابتداء . وفي الناس من يففل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به ، أو يمنعه راحته عن تعلم ، فيبقى عاجزاً عن الاكتساب ، لمجزء عن الحرف . فيحتاج إلى أن يأكل مما ينتج عنه مانع ، فيحدث منه حرفتان خسيستان ، اللصوصية ، والكذابة . إذ يجمعهما أنها يسمى فيه غيره ، فيحدث منه حرفتان خسيستان ، اللصوصية ، والكذابة . إذ يجمعهما أنها يأكلان من سعي غيرهما . ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ، ويحفظون عنهم أموالهم ، فافتقروا إلى صرف عقولهم في استنباط الحيل والتدابير أما اللصوص ، ففهم من يطلب أعواناً ، ويكون في يديه شوكة وقوة ، فيجتمعون ويتكاثرون ، ويقطعون الطريق كالأعراب والأكراد . وأما الضمفاء منهم ، فيفزعون إلى الحيل ، إما بالنقب أو التسلق عند انتهاز فرصة النفلة ، وإما بأن يكون طرارا أو سلالا ، إلى غير ذلك من أنواع

التلصص ، الحادثة بحسب ما تنتج الأفكار المصروفة إلى استنباطها

وأما المكدي ، فإنه إذا طلب، أسعى فيه غيره ، وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك
فالك والبطالة ، فلا يعطى شيئا . فافتقروا إلى حيلة في استخراج الأموال ، وتمهيد المذر
لأنفسهم في البطالة ، فاحتالوا للاتل بالمعجز : إما بالحقيقة ، كجماعة يعمون أولادهم وأنفسهم
بالحيلة ، ليعذروا بالعمى ، فيعطون . وإما بالعماسى ، والتفالج ، والتجانن ، والتمارض ، وإظهار
ذلك بأنواع من الحيل ، مع بيان أن تلك محنة أصابت من غير استحقاق ، ليكون ذلك سبب الرحمة
وجاعة يلتصون أقوالا وأفعالا ، يتمجب الناس منها ، حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها
فيستخوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ، ثم قد يندم بعد زوال التعجب ،
ولا ينفع الندم . وذلك قد يكون بالنسخ ، والمحاكاة ، والشبهة ، والأفعال المضحكة وقد
يكون بالأشعار الغريبة ، والكلام المنشور المسجع ، مع حسن الصوت . والشعر الموزون
أشد تأثيرا في النفس ، لاسيما إذا كان فيه تمصّب يتعلق بالمذاهب كأشعار مناصب الصحابة
وفضائل أهل البيت . أو الذى يحرر لداعية العشق من أهل المجانة كصناعة الطباخين فى الأسواق
وصناعة ما يشبه العوض وليس بموض ، كبيع التعويذات والحشيش ، الذى يخيل بأنعمائها
أدوية ، فيخدع بذلك الصبيان والجهال ، وكأصحاب القرعة والفأل من المنجمين . ويدخل
فى هذا الجنس الوعاظ ، والمكدون على رؤوس المنابر ؛ إذا لم يكن وراءهم طائل علمى ، وكان
غرضهم استمالة قلوب العوام ، وأخذ أموالهم بأنواع الكدية ، وأنواعها تزيد على ألف
نوع وألفين ، وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لأجل المعيشة

فهذه هى أشغال الخلق وأعمالهم التى أكبوا عليها ، وجرم إلى ذلك كله الحاجة إلى
القوت والكسوة ، ولكنهم نسوا فى أثناء ذلك أنفسهم ، ومقصودهم ، ومتقلبهم ، ومآبهم
فتأهوا وصلوا ، وسبق إلى عقولهم الضميمة بعد أن كدرت هزيمة الاشتغالات بالدنيا ، خيالات
فاسدة ، فانقسمت مذاهبهم ، واختلفت آراؤهم على عدة أوجه . فطائفة غلبهم الجهل
والغفلة ، فلم تنفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم ، فقالوا المقصود أن نعيش أياما فى الدنيا
فنجتهد حتى نكسب القوت ، ثم نأكل حتى تقوى على الكسب ، ثم نكسب حتى نأكل
فيأكلون ليكسبوا ، ثم يكسبون ليأكلوا . وهذا مذهب الفلاحين والمخترفين ، ومن ليس
له تنعم فى الدنيا ، ولا قدم فى الدين . فإنه يتعب نهارا ليأكل ليلا ، ويأكل ليلا لئلا يتعب نهارا

وذلك كبير السوائى ، فهو سفر لا ينقطع إلا بالموت . وطائفة أخرى زعموا أنهم تفتنوا الأمر ، وأنه ليس المقصود أن يشقى الإنسان بالعمل ولا يتمتع في الدنيا ، بل السعادة في أن يقضى طوره من شهوة الدنيا ، وهى شهوة البطن والفرج ، فهو لاء نسوا أنفسهم ، وصرفوا همهم إلى اتباع النساء ، وجمع لفاذا الأطلمة . يأكلون كما تأكل الأنعام ، ويظنون أنهم إذا نالوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة . فشنغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر . وطائفة ظنوا أن السعادة فى كثرة المال ، والاستغناء بكثرة الكنوز . فأسهروا ليلهم ، وأتعبوا نهارهم فى الجمع ، فهم يتعبون فى الأسفار طول الليل والنهار ، ويترددون فى الأعمال الشاقة ، ويكتسبون ويجمعون ، ولا يأكلون إلا قدر الضرورة ، شحا وبخلًا عليها أن تنقص ، وهذه لذتهم ، وفى ذلك دأبهم وحركتهم ، إلى أن يدركهم الموت فيبقى تحت الأرض أو يظفر به من يأكله فى الشهوات واللذات ، فيكون للجماع تمبه ووباله ، وللآكل لذته . ثم الذين يجمعون ينظرون إلى أمثل ذلك ولا يعتبرون . وطائفة ظنوا أن السعادة فى حسن الاسم ، وانطلاق الألسنة بالثناء ، والمدح بالتجمل والمروءة ، فهو لاء يتعبون فى كسب المعاش ، وبضيقون على أنفسهم فى المطعم والمشرب ، ويصرفون جميع ما لهم إلى الملابس الحسنة ، والدواب النفيسة . ويزخرفون أبواب الدور ، وما يفع عليها أبصار الناس ، حتى يقال إنه غنى ، وإنه ذو ثروة ، ويظنون أن ذلك هى السعادة فهمتهم فى نهارهم وليلهم ، فى تهدد مرقع نظر الناس . وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة فى الجاه والكرامة بين الناس ، واثقياد الخلق بالتواضع والتوقير ، فصرفوا همهم إلى استئجار الناس إلى الطاعة بطلب الولايات ، وتقلد الأعمال السلطانية ، لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس ، ويرون أنهم إذا اتسمت ولايتهم ، وانقادت لهم رعاياهم ، فقد سعدوا وسعادة عظيمة وأن ذلك غاية المطلب . وهذا أغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس ، فهو لاء مشغلهم بحب تواضع الناس لهم عن التواضع لله ، وعن عبادته ، وعن التفكير فى آخرتهم ومعادهم ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها ، تزيد على نيف وسبعين فرقة ، كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل . وإنما جرم إلى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن ، ونسوما ما زادله هذه الأمور الثلاثة ، والقدر الذى يكفى منها ، وانجرت بهم أوائل أسبابها إلى أواخرها ، وتداعى بهم ذلك إلى مهاو لم يمكنهم الرقى منها

فمن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال ، وعرف غاية المقصود منها ، فلا يخوض في شغل وحرقة وعمل ، إلا وهو عالم بقصوده ، وعالم بحظه ونصيبه منه ، وأن غاية مقصوده تمهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك . وذلك إن سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الأشغال عنه ، وفرغ القلب ، وغلب عليه ذكر الآخرة ، وانصرفت الهمة إلى الاستعداد له . وإن تمدى به قدر الضرورة ، كثرت الأشغال : وتداعى البعض إلى البعض : وتسلسل إلى غير نهاية . فتشعب به المهوم . ومن تشعبت به المهوم في أودية الدنيا ، فلا يزال الله في أي واد أهلك منها . فهذا شأن . كمين في أشغال الدنيا

وتنبه لذلك طائفة : فأعرضوا عن الدنيا ، فخدموا الشيطان ، ونهبوا أموالهم في الأمراض ^{المفسدة} أيضا ، حتى انقسموا إلى طوائف ، فظننت طائفة أن الدنيا دار بلاء ، والآخرة دار ^{يقطع أنفسهم} سعادة لسكل من وصل إليها ، سواء تمعبد في الدنيا أو لم يتمعبد ، فرأوا أن الصور ^{ببعض أسباب} أن يقتلوا أنفسهم ، للخلاص من محنة الدنيا : وإليه ذهب طوائف من المباد من أهل الهند ، فهم يجمعون على النار ، ويقتلون أنفسهم بالإحراق ، ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محنة الدنيا . وظننت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص ، بل لا بد أولا من إماتة الصفات البشرية ^{ببعض أسباب} وقطعها عن النفس بالكيفية ، وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب . ثم أقبوا على المجاهدة وشددوا على أنفسهم ، حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة ، وبعضهم بقيد عقله ورجن ، وبعضهم مرض وانسد عليه الطريق في العبادات ، وبعضهم خرج عن قعر الصفات بالكيفية ، فظن أن ما كلفه الشرع محال ، وأن الشرع تلييس لا أصل له ، فوقع في الإلحاد . وظنر لبعضهم أن هذا التمسك كله لله ، وأن الله تعالى مستغن عن عبادة العباد ، لا ينقصه عسيان عاص ، ولا تزيد عبادة متعبد . فدادوا إلى الشهوات ، وسلكوا مسلك الإيالة ، وطلوا بساط الشرع والأحكام ، وزعموا أن ذلك من صفات توحيدهم ، حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد ، وظن طائفة أن المقصود من العبادات المجاهدة ، حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله تعالى ، فإذا حصلت المعرفة فقد وصل ، وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحيلة ، فتركوا النسي والعبادة وزعموا أنه ارتفع علمهم في معرفة الله سبحانه عن أن يعتنوا بالتكاليف وإعنا التكليف على عوام الخلق . ووراء هذا مذاهب باطلة ، وضلالات هائلة ، يطول إحصاؤها إلى ما يبلغ نيفا وسبعين فرقة . وإعنا الناجي منها فرقة واحدة ، وهي السالكة ما كان عليه الشرع ^{المندرجة}

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية. ولا يقيم الشهوات بالكلية. أما الدنيا، فيأخذ منها قدر الزاد. وأما الشهوات، فيقيم منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل؛ ولا يتبع كل شهوة، ولا يترك كل شهوة. بل يتبع العدل، ولا يترك كل شيء ولا يطلب كل شيء من الدنيا. بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا، ويحفظه على حدم مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة، ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد، ومن الكسوة كذلك، حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن؛ أقبل على الله تعالى بكنهه همة؛ واشتغل بالذكر والفكر طول العمر، وبقي ملازماً لسياسة الشهوات، ومراقباً لها، حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى. ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالافتداء بالهجرة الناجية ومصحابة فإنه عليه السلام ^(١) لما قال «التأجبي منها واحدة» قالوا يا رسول الله. ومن ثم؟ قال «أهل السنة والجماعة» فقيل ومن أهل السنة والجماعة؟ قال «ما أنا عليه وأصحابي» وقد كانوا على النهج القصد، وعلى السبيل الواضح الذي فصلناه من قبل. فلهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين. وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية. وما كان لهم في الأمور تعريض ولا إفراط. بل كان أمرهم بين ذلك قواماً. وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين، وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع، والله أعلم

تم كتاب ذم الدنيا، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(١) حديث افتراق الأمة وفيه التأجبي منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل السنة والجماعة - الحديث: الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وخسنة تفرق أمتي على ثلاث وسبعين سنة كلهم في النار إلا ملة واحدة فقالوا من هي يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي ولابن داود من حديث معاوية وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك وهي الجماعة وأسانيدها جيدة

فهرست الجزء التاسع

١

رقم الصفحة رقم	من الجزء مسلسل	رقم الصفحة رقم	من الجزء مسلسل
٣	١٥٥٧	٢٥	١٥٧٩
	الوقت الثالثة - الخوض في الباطل		التدبر المسموح به من الزناح
٤	١٥٥٨	٢٦	١٥٨٠
	الوقت الرابعة - الرأء والجدال		بعض أمثلة من مزاحه صلى الله عليه وسلم
٦	١٥٦٠	٢٧	١٥٨١
	حد للرأء - المجادلة		مزاحه صلى الله عليه وسلم مع السيدة عائشة رضي الله عنها
٧	١٥٦١	٢٨	١٥٨٢
	الوقت الخامسة - المحسومة		مطابته صلى الله عليه وسلم خواتم الانصارى
٨	١٥٦٢	٢٩	١٥٨٣
	الوقت السادسة - المحسومة لنيل الحق		مزاحه صلى الله عليه وسلم مع نبيان الانصارى
٩	١٥٦٣	٣٠	١٥٨٤
	الحصومة للضمومة - المحسومة لنيل الحق		الوقت السابعة عشرة - السخرية والاستهزاء
١٠	١٥٦٤	٣١	١٥٨٥
	الحصام مبدأ الشرور		الوقت الثامنة عشرة - افشاء السر
١١	١٥٦٥		افشاء السرخيابة عظمى
	الوقت التاسعة - التمر في الكلام		الوقت التاسعة عشرة - الوعد والكاذب
١٢	١٥٦٦	٣٢	١٥٨٦
	ماورد في التشديق والتصنع		علامات النفاق
١٤	١٥٦٨	٣٣	١٥٨٧
	الوقت العاشرة - الفحش والسب		صاحب الثمانين والرامي
١٥	١٥٦٩	٣٤	١٥٨٨
	وبذاءة اللسان		الوقت الرابعة عشرة - الكذب في القول واللين
١٦	١٥٧٠	٣٥	١٥٨٩
	حد الفحش - كيف يتحدث التأديبون		الكذب في ملاعبة الصبيان
١٧	١٥٧١	٣٦	١٥٩٠
	الباعث على الفحش		الآثار في ذم الكذب
١٨	١٥٧٢	٣٧	١٥٩١
	الوقت العاشرة - الامن		الوقت الخامسة عشرة - ماوخس فيه من الكذب
١٩	١٥٧٣	٣٨	١٥٩٢
	تأديب الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه		الكذب الواجب والكذب للباح
٢٠	١٥٧٤	٣٩	١٥٩٣
	حد الامن		أدلة الترخيس في الكذب للباح
٢١	١٥٧٥	٤٠	١٥٩٤
	مقضييات الامن - مراتب الامن		مايرخص فيه الكذب
٢٢	١٥٧٦	٤١	١٥٩٥
	الاحتياط الشديد في لمن شخص بعينه		أدلة الترخيس في الكذب للباح
٢٣	١٥٧٧	٤٢	١٥٩٦
	الوقت السادسة عشرة - المزاح		مايرخص فيه الكذب
٢٤	١٥٧٨	٤٣	١٥٩٧
	خطر الدائمة على المزاح والافراط فيه		الكذب لدفع الضرر عن النفس والغير
٢٥	١٥٧٩	٤٤	١٥٩٨
	كثرة الضحك تيم القلب		دقة الحد للبيع لا الكذب
	المزاح مسقط الوفاق		خطروضع الأحاديث لظن المصلحة
		٤٥	١٥٩٩
		٤٦	١٦٠٠
		٤٧	١٦٠١
		٤٨	١٦٠٢
			أمثلة التعريض
			المزاح والكذب فيه
			بعض الكذب للعتاد
			الكذب في الرؤيا
			الوقت السابعة عشرة - الغيبة
			منفعة الغيبة في الكتاب والسنة

رقم الصفحة رقم	رقم الصفحة رقم
٤٩	١٦٠٣ اثر الغيبة في الصوم
٥٠	١٦٠٤ الغيبة وعذاب القبر
٥١	١٦٠٥ الفرق بين البرز والبرز
	بيان معنى الغيبة ومرورها
٥٢	١٦٠٦ حذ الغيبة
٥٣	١٦٠٧ انبية في الدين
	بيان انه الغيبة لا يختص به الاسم
٥٤	١٦٠٨ طرق الغيبة المختلفة وأمثلتها
٥٥	١٦٠٩ أحب أنواع الغيبة
٥٦	١٦١٠ لاصفاء الى الغيبة غيبة
٥٧	١٦١١ بيانه لاسباب الباعثة على الغيبة
	الحقد والغضب
	مجاهلة الأصحاب - البهاجة للدفاع عن النفس
	اتهام الغير لبرئته النفس - البهاجة والتعنن
	الحسد - الهزل والطايرة
٥٨	١٦١٢ السخرية والتحقير - إظهار التعجب من حال
	الخطيئة
	إظهار الرحمة والغضب لله تعالى
٥٩	١٦١٣ بيان المصلح الذي يمنع الاسم من الغيبة
	علاج الغيبة على الجملة
٦٠	١٦١٤ الغضب
٦١	١٦١٥ عدم موافقة الجلساء في معاصيهم
	تنزيه النفس باتهام الغير
	عدم الاقتداء بالغير في المعاصي
	البهاجة وتركبة النفس
٦٢	١٦١٦ الحسد - الاستهزاء بالغير
	الغيبة عن طريق الرحمة
	الغيبة عن طريق الغضب لله تعالى - التعجل
٦٣	١٦١٧ بيان محرم الغيبة بالقب
٦٤	١٦١٨ صلاة عقد سوء الثقل
٦٥	١٦١٩ علاج الحائط السيء - كيفية نصيح المسلم
٦٦	١٦٢٠ بيان الاعتذار المرحمة في الغيبة
	التنظيم - الاستعانة على تغيير الفكر
	الاستغفار - تحذير المسلم من الشر
٦٧	١٦٢١ ذكر القرب المعروف به - التجاهر بالفسق
٦٨	١٦٢٢ إجماع كفارة الغيبة - الاستحلال والاستفجار
٦٩	١٦٢٣ التحليل وكفه
٧٠	١٦٢٤ اوزن السابعة عشرة النعيم
٧١	١٦٢٥ ذم النمام في الكتاب
٧٢	١٦٢٦ بيان حد النعمة وما يجب في ردها
٧٣	١٦٢٧ الباعث على النعمة - واجب النعم له
	تكذيب النمام - نهيه - بغضه
	تحسين الظن بأخيه - التحرز عن التجسس
٧٤	١٦٢٨ ملازمة النمام لصفات النعمة
٧٥	١٦٢٩ السعاية
٧٦	١٦٣٠ تأثير النعمة في الفرقة بين الزوجين
٧٧	١٦٣١ اوزن السابعة عشرة - كلام ذي اللسانين
	مذمة ذي اللسانين
٧٨	١٦٣٢ تحويد ذي اللسانين
٧٩	١٦٣٣ اوزن الثامنة عشرة - للدح
	آفات للدح : الكذب - الرياء
٨٠	١٦٣٤ عدم جواز مدح الفاسق أو الظالم
	إحداث الكبر في المدوح
	فنون المدوح وكفه
٨٢	١٦٣٦ بيان ما على الممدوح - بيان واجبه
	اوزن التاسعة عشرة - الغفلة عن دقائق
	الخطأ في غموى الكلام
٨٣	١٦٣٧ أدب الرسول مع الله عز وجل
	حس ما لا يجوز قوله بما اعتاده الناس
٨٤	١٦٣٨ اوزن العشرة - سؤال العوام عن
	صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف
٨٨	١٦٤٢ كتاب ذم الغضب
	والفقد والمسر
٨٩	١٦٤٣ بيان ذم الغضب
٩١	١٦٤٥ ذم الغضب في القرآن - ذم الغضب في الحديث
٩٢	١٦٤٦ بعض الآثار في ذم الغضب - الحق يجب الشهور
	أسفل الناس أقام غضبا
	بيان حقيقة الغضب

رقم الصفحة رقم	رقم الصفحة رقم	
١٦٤٦	١١٥	الطبعة تكوين الجسم تنعقد فأنه
١٦٤٧	١١٦	الأسباب الخارجة عن الجسم التي تهلك أنوار
١٦٤٨	١١٧	ذم الأفرط في الغضب
١٦٤٩	١١٨	أسباب الأفرط في الغضب
١٦٥٠	١١٩	أثر الغضب في الظاهر
١٦٥١	١٢٠	أثره في اللسان - أثره في الأعضاء
١٦٥٢	١٢١	أثره في القلب
١٦٥٣	١٢٢	الغيرة من عزائم أنوار
١٦٥٤	١٢٣	الغضب عند دوح
١٦٥٥	١٢٤	إياه انفضى كل بكاء يزداد أمد الرباط
١٦٥٦	١٢٥	أسماء
١٦٥٧	١٢٦	أقسام ما به الإنسان - الضرورات - الكليات
١٦٥٨	١٢٧	الضرورات في حق البعض دون البعض
١٦٥٩	١٢٨	تهذيب الغضب لقوات الضرورات
١٦٦٠	١٢٩	تهذيب الغضب لقوات الكليات
١٦٦١	١٣٠	إياه الأسباب المهيبة للغضب
١٦٦٢	١٣١	ليس الغضب شجاعة
١٦٦٣	١٣٢	إياه علاج الغضب بعد هيجانه
١٦٦٤	١٣٣	رجاء ثواب كظم الغيظ
١٦٦٥	١٣٤	الخوف من الله تعالى
١٦٦٦	١٣٥	الحذر من الأكثر من الأعداء
١٦٦٧	١٣٦	الفور من صورة الغضب
١٦٦٨	١٣٧	الجلوس والاضطجاع عند الغضب
١٦٦٩	١٣٨	الوضوء عند الغضب
١٦٧٠	١٣٩	الاجود لله - ذهب للغضب
١٦٧١	١٤٠	فضيد كظم الغيظ
١٦٧٢	١٤١	الأحاديث امدالة على فضيلة كظم الغيظ
١٦٧٣	١٤٢	آثار الواردة في كظم الغيظ
١٦٧٤	١٤٣	إياه - فضيلة الحلم - كيفية الوصول إلى الحلم
١٦٧٥	١٤٤	الأحاديث في فضيلة الحلم
١٦٧٦	١٤٥	آثار الواردة في فضل الحلم
١٦٧٧	١٤٦	حلم على بن الحسين - حكم غالية لابن منبه
١٦٧٨	١٤٧	إياه - القدر الذي يجوز الاتصاف والتشفي
١٦٧٩	١٤٨	به من الكلام
١٦٨٠	١٤٩	أمثلة بما يجوز الرد على الشاتم به
١٦٨١	١٥٠	أدب حوائز الرد على الشاتم
١٦٨٢	١٥١	درجات الناس في الغضب
١٦٨٣	١٥٢	القول في معنى الحذر ونتائجه وفضيلة
١٦٨٤	١٥٣	أنه والرفق
١٦٨٥	١٥٤	مساويء الحقد - الحسد - النجاسة - الحجر
١٦٨٦	١٥٥	الأعراض - الغيبة - الاستهزاء - الأيذاء
١٦٨٧	١٥٦	منع الحق
١٦٨٨	١٥٧	فضيد اعقر والوصامة
١٦٨٩	١٥٨	آثار في فضل العفو
١٦٩٠	١٥٩	فضيد الرفق
١٦٩١	١٦٠	الأحاديث في فضيلة الرفق
١٦٩٢	١٦١	آثار الواردة في الرفق
١٦٩٣	١٦٢	القول - في ذم الحسد وفي حقيقة وأدبائه
١٦٩٤	١٦٣	ومدحه غاية الواجب في إزالته
١٦٩٥	١٦٤	إياه فم الحسد
١٦٩٦	١٦٥	الأحاديث الواردة في ذم الحسد
١٦٩٧	١٦٦	آثار الواردة في ذم الحسد
١٦٩٨	١٦٧	اللعن - عجزى بأسائه
١٦٩٩	١٦٨	إياه - حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومبراته
١٧٠٠	١٦٩	حد الحسد - حد البغضة
١٧٠١	١٧٠	أدب على تحريم الحسد
١٧٠٢	١٧١	للتأفة وحكمها
١٧٠٣	١٧٢	للتأفة تعتبرها الأحكام الشرعية
١٧٠٤	١٧٣	إياه - أسباب الحسد والتأفة
١٧٠٥	١٧٤	أسباب للتأفة - أسباب الحسد
١٧٠٦	١٧٥	المدواة والبغضاء
١٧٠٧	١٧٦	التعزير - التكبر - التعجب
١٧٠٨	١٧٧	الخوف من فوت المقاصد
١٧٠٩	١٧٨	حب الرياسة - حب النفس
١٧١٠	١٧٩	إياه - السبب في كثرة الحسد بين الأمثال
١٧١١	١٨٠	والأقران والأخوة وبين العلم والأطراب
١٧١٢	١٨١	وتأكله وقلته في غيرهم وضعفه
١٧١٣	١٨٢	أين يكون الحسد - منشأ الحسد
١٧١٤	١٨٣	مقارنة بين العلم والمال - انتفاء الحسد في الجنة
١٧١٥	١٨٤	إياه - الدواء الذي ينفي مرض الحسد

رقم الصفحة من الجزء مسلسل	رقم الصفحة من الجزء مسلسل	رقم الصفحة من الجزء مسلسل	رقم الصفحة من الجزء مسلسل
١٤٥	١٤٦	١٤٧	١٤٨
عن القلب	عن القلب	عن القلب	عن القلب
ضرب الحسد على دين الحاسد	ضرب الحسد على دين الحاسد	ضرب الحسد على دين الحاسد	ضرب الحسد على دين الحاسد
١٤٩	١٥٠	١٥١	١٥٢
ضرب الحسد في الدنيا	ضرب الحسد في الدنيا	ضرب الحسد في الدنيا	ضرب الحسد في الدنيا
عند ضرب الحسد بالحسد في الدين والدنيا	عند ضرب الحسد بالحسد في الدين والدنيا	عند ضرب الحسد بالحسد في الدين والدنيا	عند ضرب الحسد بالحسد في الدين والدنيا
١٤٦	١٤٧	١٤٨	١٤٩
انتفاع المحسود على حساب حاسده في الآخرة	انتفاع المحسود على حساب حاسده في الآخرة	انتفاع المحسود على حساب حاسده في الآخرة	انتفاع المحسود على حساب حاسده في الآخرة
المحسود يلهو بفنائه حاسده	المحسود يلهو بفنائه حاسده	المحسود يلهو بفنائه حاسده	المحسود يلهو بفنائه حاسده
١٤٧	١٤٨	١٤٩	١٥٠
الوقوف في شبك ابليس في الحسد	الوقوف في شبك ابليس في الحسد	الوقوف في شبك ابليس في الحسد	الوقوف في شبك ابليس في الحسد
١٤٩	١٥٠	١٥١	١٥٢
علاج الحسد بمخالفة نفسه	علاج الحسد بمخالفة نفسه	علاج الحسد بمخالفة نفسه	علاج الحسد بمخالفة نفسه
١٥٠	١٥١	١٥٢	١٥٣
الشفاء في الصبر على مرارة الدواء	الشفاء في الصبر على مرارة الدواء	الشفاء في الصبر على مرارة الدواء	الشفاء في الصبر على مرارة الدواء
١٥٢	١٥٣	١٥٤	١٥٥
بإيه التندر الواجب في نهي الحسد عن القلب	بإيه التندر الواجب في نهي الحسد عن القلب	بإيه التندر الواجب في نهي الحسد عن القلب	بإيه التندر الواجب في نهي الحسد عن القلب
١٥٣	١٥٤	١٥٥	١٥٦
حالة الزم مع أعدائه	حالة الزم مع أعدائه	حالة الزم مع أعدائه	حالة الزم مع أعدائه
١٥٤	١٥٥	١٥٦	١٥٧
كتاب دُم الدنيا	كتاب دُم الدنيا	كتاب دُم الدنيا	كتاب دُم الدنيا
١٥٥	١٥٦	١٥٧	١٥٨
بإيه دُم الدنيا	بإيه دُم الدنيا	بإيه دُم الدنيا	بإيه دُم الدنيا
١٥٦	١٥٧	١٥٨	١٥٩
الأحاديت الواردة في دُم الدنيا	الأحاديت الواردة في دُم الدنيا	الأحاديت الواردة في دُم الدنيا	الأحاديت الواردة في دُم الدنيا
١٥٧	١٥٨	١٥٩	١٦٠
تخدير سيدنا عيسى عليه السلام من الدنيا	تخدير سيدنا عيسى عليه السلام من الدنيا	تخدير سيدنا عيسى عليه السلام من الدنيا	تخدير سيدنا عيسى عليه السلام من الدنيا
١٥٨	١٥٩	١٦٠	١٦١
الكتاب على الدنيا يؤرب الموم	الكتاب على الدنيا يؤرب الموم	الكتاب على الدنيا يؤرب الموم	الكتاب على الدنيا يؤرب الموم
١٥٩	١٦٠	١٦١	١٦٢
احتفال الله بالدنيا منذ خلقها	احتفال الله بالدنيا منذ خلقها	احتفال الله بالدنيا منذ خلقها	احتفال الله بالدنيا منذ خلقها
١٦٠	١٦١	١٦٢	١٦٣
مركز ابن آدم بين الدنيا والآخرة	مركز ابن آدم بين الدنيا والآخرة	مركز ابن آدم بين الدنيا والآخرة	مركز ابن آدم بين الدنيا والآخرة
١٦١	١٦٢	١٦٣	١٦٤
حب الدنيا طريق الهاوية	حب الدنيا طريق الهاوية	حب الدنيا طريق الهاوية	حب الدنيا طريق الهاوية
١٦٢	١٦٣	١٦٤	١٦٥
تخدير أبي الدرداء من الدنيا	تخدير أبي الدرداء من الدنيا	تخدير أبي الدرداء من الدنيا	تخدير أبي الدرداء من الدنيا
١٦٣	١٦٤	١٦٥	١٦٦
الآثار الواردة في دُم الدنيا	الآثار الواردة في دُم الدنيا	الآثار الواردة في دُم الدنيا	الآثار الواردة في دُم الدنيا
١٦٤	١٦٥	١٦٦	١٦٧
بإيه الواعظ في دُم الدنيا وصفها	بإيه الواعظ في دُم الدنيا وصفها	بإيه الواعظ في دُم الدنيا وصفها	بإيه الواعظ في دُم الدنيا وصفها
١٦٥	١٦٦	١٦٧	١٦٨
تصحيح الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز	تصحيح الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز	تصحيح الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز	تصحيح الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز
١٦٦	١٦٧	١٦٨	١٦٩
خطبة على كرم الله وجهه في دُم الدنيا	خطبة على كرم الله وجهه في دُم الدنيا	خطبة على كرم الله وجهه في دُم الدنيا	خطبة على كرم الله وجهه في دُم الدنيا
١٦٧	١٦٨	١٦٩	١٧٠
خطبة عمر بن عبد العزيز	خطبة عمر بن عبد العزيز	خطبة عمر بن عبد العزيز	خطبة عمر بن عبد العزيز
١٦٨	١٦٩	١٧٠	١٧١
خطبة لعلي كرم الله وجهه	خطبة لعلي كرم الله وجهه	خطبة لعلي كرم الله وجهه	خطبة لعلي كرم الله وجهه
١٦٩	١٧٠	١٧١	١٧٢
عظة لحمد بن الحسين	عظة لحمد بن الحسين	عظة لحمد بن الحسين	عظة لحمد بن الحسين
١٧٠	١٧١	١٧٢	١٧٣
بإيه صف الدنيا بالوشم	بإيه صف الدنيا بالوشم	بإيه صف الدنيا بالوشم	بإيه صف الدنيا بالوشم
١٧١	١٧٢	١٧٣	١٧٤
تمثيل الدنيا بالحلم	تمثيل الدنيا بالحلم	تمثيل الدنيا بالحلم	تمثيل الدنيا بالحلم
١٧٢	١٧٣	١٧٤	١٧٥
تمثيلها بالجوهر الزينة للظهر القبيحة الخبز	تمثيلها بالجوهر الزينة للظهر القبيحة الخبز	تمثيلها بالجوهر الزينة للظهر القبيحة الخبز	تمثيلها بالجوهر الزينة للظهر القبيحة الخبز
١٧٣	١٧٤	١٧٥	١٧٦
تمثيل الدنيا بالقطرة	تمثيل الدنيا بالقطرة	تمثيل الدنيا بالقطرة	تمثيل الدنيا بالقطرة
١٧٤	١٧٥	١٧٦	١٧٧
تمثيل الدنيا بالماء لا بد أن يبذل خاضعه	تمثيل الدنيا بالماء لا بد أن يبذل خاضعه	تمثيل الدنيا بالماء لا بد أن يبذل خاضعه	تمثيل الدنيا بالماء لا بد أن يبذل خاضعه
١٧٥	١٧٦	١٧٧	١٧٨
تمثيلها بالثوب الشقوق التعلق على خيط	تمثيلها بالثوب الشقوق التعلق على خيط	تمثيلها بالثوب الشقوق التعلق على خيط	تمثيلها بالثوب الشقوق التعلق على خيط
١٧٦	١٧٧	١٧٨	١٧٩
تمثيل طالب الدنيا بشارب ماء البحر	تمثيل طالب الدنيا بشارب ماء البحر	تمثيل طالب الدنيا بشارب ماء البحر	تمثيل طالب الدنيا بشارب ماء البحر
١٧٧	١٧٨	١٧٩	١٨٠
تمثيلها بالطعام النديز أوله الخبيث آخره	تمثيلها بالطعام النديز أوله الخبيث آخره	تمثيلها بالطعام النديز أوله الخبيث آخره	تمثيلها بالطعام النديز أوله الخبيث آخره
١٧٨	١٧٩	١٨٠	١٨١
مسألة الدنيا بالنسبة للآخرة	مسألة الدنيا بالنسبة للآخرة	مسألة الدنيا بالنسبة للآخرة	مسألة الدنيا بالنسبة للآخرة
١٧٩	١٨٠	١٨١	١٨٢
تمثيلها بالفنعة واختلاف أحوال ركاها	تمثيلها بالفنعة واختلاف أحوال ركاها	تمثيلها بالفنعة واختلاف أحوال ركاها	تمثيلها بالفنعة واختلاف أحوال ركاها
١٨٠	١٨١	١٨٢	١٨٣
مثال لضعف الآذان والاعتقار بالدنيا	مثال لضعف الآذان والاعتقار بالدنيا	مثال لضعف الآذان والاعتقار بالدنيا	مثال لضعف الآذان والاعتقار بالدنيا
١٨١	١٨٢	١٨٣	١٨٤
الدنيا عارية لا يلبسها أحد	الدنيا عارية لا يلبسها أحد	الدنيا عارية لا يلبسها أحد	الدنيا عارية لا يلبسها أحد
١٨٢	١٨٣	١٨٤	١٨٥
بإيه : حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد	بإيه : حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد	بإيه : حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد	بإيه : حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد
١٨٣	١٨٤	١٨٥	١٨٦
ما يصعب الإنسان في الآخرة من حظوظ الدنيا	ما يصعب الإنسان في الآخرة من حظوظ الدنيا	ما يصعب الإنسان في الآخرة من حظوظ الدنيا	ما يصعب الإنسان في الآخرة من حظوظ الدنيا
١٨٤	١٨٥	١٨٦	١٨٧
حظوظ الدنيا التي لا تمر لها في الآخرة	حظوظ الدنيا التي لا تمر لها في الآخرة	حظوظ الدنيا التي لا تمر لها في الآخرة	حظوظ الدنيا التي لا تمر لها في الآخرة
١٨٥	١٨٦	١٨٧	١٨٨
الخطوط العاجلة للعينة على الآخرة	الخطوط العاجلة للعينة على الآخرة	الخطوط العاجلة للعينة على الآخرة	الخطوط العاجلة للعينة على الآخرة
١٨٦	١٨٧	١٨٨	١٨٩
شهادة ابن الخطيب في أويس القرني	شهادة ابن الخطيب في أويس القرني	شهادة ابن الخطيب في أويس القرني	شهادة ابن الخطيب في أويس القرني
١٨٧	١٨٨	١٨٩	١٩٠
زيارة ابن حبان لأويس القرني	زيارة ابن حبان لأويس القرني	زيارة ابن حبان لأويس القرني	زيارة ابن حبان لأويس القرني
١٨٨	١٨٩	١٩٠	١٩١
بإيه : حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها الخ	بإيه : حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها الخ	بإيه : حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها الخ	بإيه : حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها الخ
١٨٩	١٩٠	١٩١	١٩٢
أعيان الدنيا الموجودة بها	أعيان الدنيا الموجودة بها	أعيان الدنيا الموجودة بها	أعيان الدنيا الموجودة بها
١٩٠	١٩١	١٩٢	١٩٣
تفصيل أشغال الدنيا	تفصيل أشغال الدنيا	تفصيل أشغال الدنيا	تفصيل أشغال الدنيا
١٩١	١٩٢	١٩٣	١٩٤
أصول الصناعات ، آلات الصناعات	أصول الصناعات ، آلات الصناعات	أصول الصناعات ، آلات الصناعات	أصول الصناعات ، آلات الصناعات
١٩٢	١٩٣	١٩٤	١٩٥
حاجة الإنسان إلى الاجتماع	حاجة الإنسان إلى الاجتماع	حاجة الإنسان إلى الاجتماع	حاجة الإنسان إلى الاجتماع
١٩٣	١٩٤	١٩٥	١٩٦
حاجة الإنسان إلى إنشاء البلاد	حاجة الإنسان إلى إنشاء البلاد	حاجة الإنسان إلى إنشاء البلاد	حاجة الإنسان إلى إنشاء البلاد
١٩٤	١٩٥	١٩٦	١٩٧
الحاجة إلى أهل السياسة والحرف وغيرها	الحاجة إلى أهل السياسة والحرف وغيرها	الحاجة إلى أهل السياسة والحرف وغيرها	الحاجة إلى أهل السياسة والحرف وغيرها
١٩٥	١٩٦	١٩٧	١٩٨
الحاجة إلى الخراج وعماله . الحاجة إلى الملك	الحاجة إلى الخراج وعماله . الحاجة إلى الملك	الحاجة إلى الخراج وعماله . الحاجة إلى الملك	الحاجة إلى الخراج وعماله . الحاجة إلى الملك
١٩٦	١٩٧	١٩٨	١٩٩
الحاجة إلى الأسوان والحوانيت	الحاجة إلى الأسوان والحوانيت	الحاجة إلى الأسوان والحوانيت	الحاجة إلى الأسوان والحوانيت
١٩٧	١٩٨	١٩٩	٢٠٠
الحاجة إلى التجار	الحاجة إلى التجار	الحاجة إلى التجار	الحاجة إلى التجار
١٩٨	١٩٩	٢٠٠	٢٠١
حاجة الناس إلى النقد . كيف ينشأ قطاع	حاجة الناس إلى النقد . كيف ينشأ قطاع	حاجة الناس إلى النقد . كيف ينشأ قطاع	حاجة الناس إلى النقد . كيف ينشأ قطاع
١٩٩	٢٠٠	٢٠١	٢٠٢
الطريق والصوم والمتسولون	الطريق والصوم والمتسولون	الطريق والصوم والمتسولون	الطريق والصوم والمتسولون
٢٠٠	٢٠١	٢٠٢	٢٠٣
لنول وفنونه - وجهة نظر الجهل في الحياة	لنول وفنونه - وجهة نظر الجهل في الحياة	لنول وفنونه - وجهة نظر الجهل في الحياة	لنول وفنونه - وجهة نظر الجهل في الحياة
٢٠١	٢٠٢	٢٠٣	٢٠٤
وجهة نظر أصحاب الشهوات	وجهة نظر أصحاب الشهوات	وجهة نظر أصحاب الشهوات	وجهة نظر أصحاب الشهوات
٢٠٢	٢٠٣	٢٠٤	٢٠٥
وجهة نظر جامعي المال لوجهة نظر عباد الظاهر	وجهة نظر جامعي المال لوجهة نظر عباد الظاهر	وجهة نظر جامعي المال لوجهة نظر عباد الظاهر	وجهة نظر جامعي المال لوجهة نظر عباد الظاهر
٢٠٣	٢٠٤	٢٠٥	٢٠٦
وجهة نظر عباد الجاه	وجهة نظر عباد الجاه	وجهة نظر عباد الجاه	وجهة نظر عباد الجاه
٢٠٤	٢٠٥	٢٠٦	٢٠٧
تصعدون بقتل أنفسهم بسبب من اسباب الالحاد	تصعدون بقتل أنفسهم بسبب من اسباب الالحاد	تصعدون بقتل أنفسهم بسبب من اسباب الالحاد	تصعدون بقتل أنفسهم بسبب من اسباب الالحاد
٢٠٥	٢٠٦	٢٠٧	٢٠٨
الاباحيون - المخدوعون - المرأة الناجية	الاباحيون - المخدوعون - المرأة الناجية	الاباحيون - المخدوعون - المرأة الناجية	الاباحيون - المخدوعون - المرأة الناجية
٢٠٦	٢٠٧	٢٠٨	٢٠٩

إحياء العلوم الدينية

للإمام أبي حامد الغزالي

مضاف إليه . . تخريج الحافظ العراقي

يصدر عن « دار الغد العربي » للنشر والإعلان في [١٦ جزءاً] . . يومى ١ ، ١٥ من كل شهر . . ثمن الجزء الواحد ١٧٥ قرشاً ، ولن يرغب في الاشتراك في المجموعة كاملة [١٦ جزءاً] فما عليه إلا أن يرسل حوالة بريدية ، أو شيكاً مصرفياً بمبلغ ٢٥ جنيهاً باسم « دار الغد العربي للنشر والإعلان » ٣ شارع دانشر - العباسية - القاهرة - جمهورية مصر العربية . .

ويطلب الكتاب من منافذ التوزيع التالية :-

١ - « دار الغد العربي » : ٣ شارع دانشر - العباسية - القاهرة

تليفون : ٨٢٤٣٢٩ : مبنى الأهرام شارع الجلاء - القاهرة

١ - شركة توزيع الأهرام : تليفون : ٧٥٨٣٣٣ - ٧٤٥٦٦٦ - ٧٥٥٥٠٠

١ - مكتبة الكليات الأزهرية : ٩ شارع الصناديق - الأزهر

تليفون : ٩٣١٢٩٦

٤ - دار جوامع الكلم : ١٧ شارع الشيخ صالح الجعفرى

الدراسة - القاهرة

٥ - أبولو . . للنشر والتوزيع : ١٦ شارع البورصة - التوفيق

القاهرة

تليفون : ٧٥٢٢٢٤

سيصدر الجزء العاشر

بمشيئة الله يوم ١ مايو ١٩٨٧

الثنى ١٧٥ قرشاً

